

Al-Jamal (The Camel) Battle Justification and Conclusions

By

Hammoodi Challab Naheeb

Supervised by

Prof. Dr. Qais Abdel Wahed

**Doctor of Philosophy in
Islamic Studies**

2013

Matriculation Number: A0179

Abstract.

The End of this study is the beginning of dangerous events of Islamization so the Arab nation had been having a deep roots in human history. It had been giving humanity many lessons in peoples experiences. In spite of the existence of Christians and Jewish in Arab land knew that a prophet is going to appear and Justice would be spread. But those who got in touch with their religion prevented from saying Openly of what their book said. Mohammad began of his mission to spread Islam among Urban but Qurish harmed him, but God want this religion to be spread. The student who studies the rising of the Islamic state in its earlier stages could find many unique events that accompanied the emergence of the this state, for example the caliph is the symbol who represents the messenger of God so the rebellion against the caliph means rebellion against the messenger of god and that leads to rebellion against God himself, so can the rebels against Authman be considered rebels against God? or did they find legal text that authorized them to rebel against the head of the state? Getting the answer for that question required a comprehensive study for all aspects of the Arabic and the Islamic state that can be seen -by the student of the subject - relevant to this study or research . Muslims realized that caliphate transits from one caliph to another by the different legal ways but the process of transmission out of the legal framework is forbidden. The events which accompanied Uthman's caliphate had generated new directions in dealing with the caliph and his enemies. These directions were also new in the way of planning and standing against the caliph's highest decision as well as in the way of weaving the new strategies -depending on the external support- in putting forward , execution and dealing

with the events which finally led to the assassination of the caliph Uthman, such event of the caliph's assassination happened for the first time in the rising Islamic state because the caliph was killed by those who had been ordered by God and his messenger to be obedient to the caliph in order to carry out and apply the laws of heaven on the earth. The dealing with that conflict requires performing a comprehensive study for all the major and minor events which surrounded it and led to a war because of the disagreement among the Islamic sides. Uthman is one of the prophet's followers who struggle for the sake of God but his relatives had no faith. So Uthman stopped with confusion between his love for his tribe and the harm of people. His relatives gave him advice but the surrounded failed this advice and Uthman had killed Ali. Ali came to the caliph, but Talha and Aisha came out from Basra asking Ali by the blood of Uthman. The nation divided and the blood shedding between the two sides. Talha and Al-Zubair were killed and Aisha came back. AL-Jamal battle is a separated battle between Arab reason and spirit challenge to authority which was put by the prophet. AL-Jamal battle was a new Islamic experience of unfaithfulness of God's saying. Aisha and Talha were the nearest to Ali and they demanded of Uthman



جامعة سانت كليمنتس العالمية

كلية الاداب - قسم التاريخ

معركة الجمل - أسبابها - ونتائجها

36هـ

أطروحة مقدمة الى مجلس جامعة سانت كليمنتس العالمية وهي
جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الاسلامية

تقدم بها الطالب

حمودي جلاب نهيب حمزه الزبيدي

بإشراف

الاستاذ المساعد الدكتور

قيس عبد الواحد السمرمد

2013م

1434هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }

صدق الله العلي العظيم

الانفال / 30

الاهـداء

إلى كل الخيرين، وإلى كل من يريد أن يعرف الحقيقة في
زمن يصعب فيه معرفة الصدق من غيره، وإلى كل من
ساعدني وشد من عزمي ، وإلى الذي أصبح سبباً في طمحي
لنيل درجة الدكتوراه، أهدي جهدي هذا.

الباحث

إقرار المشرف

أشهد إن إعداد هذه الأطروحة الموسومة "حرب الجمل ، اسبابها، ونتائجها للطالب"حمودي جلاب نهيب حمزة الزبيدي" قد جرى تحت إشرافي وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في الدراسات الاسلامية من جامعة سانت كليننس العالمية .

الاستاذ المساعد الدكتور

قيس عبد الواحد السمرمد

إقرار الخبير اللغوي

أشهد إن إعداد هذه الأطروحة الموسومة " معركة الجمل، أسبابها ونتائجها"للطالب حمودي جلاب نهيب حمزة الزبيدي" قد جرت مراجعتها من الناحية اللغوية .

الاستاذ المساعد الدكتور

2013/ /

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الاهداء	
مقدمة	10-9
الفصل الاول:	
خلافة عثمان بن عفان (رض) والتمهيد للإنحرافات.	55-12
المبحث الأول: وصول عثمان بن عفان (رض) للخلافة	14-12
المبحث الثاني: سياسة عثمان مع الرعية والولاة.	25-15
المبحث الثالث: موقف الصحابة من سياسة الخليفة عثمان.	39- 26
المبحث الرابع: الثورة على الخليفة عثمان (رض) ومقتله.	55- 40
الفصل الثاني	
خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)	93-57
المبحث الأول: البيعة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)	71-57
المبحث الثاني: إجراءات الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)	82-72

- لمواجهة حالات الانحراف التي حصلت في عهد عثمان (رض)
المبحث الثالث: عمال الخليفة علي (عليه السلام) على الامصار 93-83

الفصل الثالث

- التحضير لمعركة الجمل من قبل المعسكر المعادي
لحكم أمير المؤمنين (عليها السلام) 150-95

- المبحث الأول، بين علي (عليها السلام) ومعاوية 105-95
المبحث الثاني: موقف عائشة من مقتل عثمان (رض) والمطالبة بدمه 111-106
المبحث الثالث: قدوم الولاة على عائشة 115-112
المبحث الرابع: طلحة والزبير والاعداد للخروج 123-116
المبحث الخامس: طلحة والزبير وعائشة في مكة 128-124
المبحث السادس: الخروج الى البصرة 144-129
المبحث السابع: موقف الخليفة من الحرب قبل نشوبها 150-145

الفصل الرابع

تحضيرات الإمام علي (عليه السلام) لمواجهة المنحرفين

- عنه والتخطيط للمعركة 199-152
المبحث الأول: توجه الإمام (عليه السلام) نحو العراق 174-152
المبحث الثاني: تقسيم الكتائب وعقد الألوية والرايات 192-175
المبحث الثالث: محاولات الإمام (عليه السلام) لوحدة الصف وتجنب الحرب 199-193

الفصل الخامس

245-201

مجريات معركة الجمل وأحداثها

212-201

المبحث الأول: أجواء ما قبل المعركة

240-213

المبحث الثاني: تفاصيل المعركة وأحداثها

245-241

المبحث الثالث: تداعيات المعركة ونتائجها

246

الخاتمة:

264-247

المصادر والمراجع:

مقدمة

تُعدّ معركة الجمل من الحوادث الجديرة بالتأمل في التاريخ الإسلامي ؛ ولهدف التعرف على دوافع مسعريها وأهدافهم تذكيراً للمرء وتنبيهاً لهم لمعرفة رجالها الذين يقتدى بهم ويسير على نهجهم .

إننا نلاحظ في النصوص التاريخية التي تحدّثت عن تنظيم القوّات وأهدافها وبواعثها نقاطاً تثير التأمل منها : الأهواء، والنزعات الدنيويّة، واستغلال بعض الوجهاء لتحفيز عامّة الناس . ومنها : ممارسات مكتنزي الثروات، وطلاب السلطة، ومَن وجد حياته المترفة مهدّدة بالخطر .

النقطة الأخرى التي ينبغي ألا ننساها هي كيفيّة مواجهة أشخاص من الصحابة عليّاً (عليه السلام) ، في حين أنّهم كانوا يدعون للإسلام والسبق إليه ! ومن جانب آخر، وجاهة عامّة الأشخاص الذين كان موقفهم في معركة الجمل يتعارض تماماً مع موقفهم في زمان عثمان .

النقطة الجديرة بالاهتمام فيما يخصّ تاريخ وقوع أوّل حرب داخلية في عهد حكومة الإمام (عليه السلام) هي أنّ هذه الحرب وقعت بعد خمسة أشهر فقط من مبايعة الناس إيّاه، وأتته بيق مشغولاً بإخماد الفتن الداخلية طوال عهد حكومته الذي استمرّ لأقلّ من خمس سنوات . وهذا يعني أنّه لم تسنح لها الفرصة للبناء ولتنفيذ سياساته وخططه . ولكنّه في الوقت ذاته لم يفرط بأيّة فرصة، وقدّم في عهد حكومته أفضل وأبدع أساليب الحكم، وخلف أكبر رقم في ميدان البناء والإعمار .

أنّ البحث المعمق في هذه الحادثة تطلب منا البحث عن المصادر والمراجع ، وهذا تطلب منا الجهد الكثير وقد عانينا من قلة المصادر ، فضلاً عن تطرف البعض من اصحاب المراجع لطرف دون الآخر، لكننا أستطعنا بقدر ما نستطيع التغلب على ما أعترضنا .

والأسباب التي دفعتني لإختيار معركة الجمل لتكون موضوعاً لإطروحتي للدكتوراه، عديدة ومتنوعة ويقف في مقدمتها إنتقاء وجود دراسة علمية أكاديمية تناولت معركة الجمل بالبحث والتحليل، إضافة إلى رغبتني الجامحه

في التعرف عن قرب على شخوص هذه الحقبة الزمنية الحرجة من تاريخ أمتنا الإسلامية، وما أفرته تلك الحقبة من إفرازات تركت أثراً معمقه لانزال نشعر بمرارتها حتى وقتنا الحاضر.

أما عن الصعوبات التي واجهتها هذه الإطروحة، لم تكن بالشبى المعطل لإتمامها، ولكن تطلب الأمر من الباحث الغوص المعمق في بطون الكتب التاريخية والأدبية لجمع كل مادته، ثم إجراء المقارنة بين الروايات للإهداء إلى أصحابها وأسلمها وأكثرها قبولاً

وقد تم تقسيم الإطروحة إلى خمسة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة، تناول الفصل الأول خلافة الخليفة عثمان ومارافقها من أحداث مهدت إلى الانحرافات التي حصلت وأدت في نهاية الأمر إلى مقتله وإشتعال نيران الثورة ضده ومقتله، وخصصنا الفصل الثاني لخلافة الإمام علي (عليه السلام) وظروف توليه السلطة، وتناول الفصل الثالث تحضيرات المعسكر المعادي للأمير المؤمنين (عليه السلام) للحرب والمعركة، وخصصنا الفصل الرابع لتناول الإجراءات التي بذلها الإمام (عليه السلام) لمواجهة المنحرفين عن حكمه والتخطيط للمعركة، وجاء الفصل الخامس والأخير ليبحث في تفاصيل المركة ذاتها ومجرياتها وما ترتب عليها من نتائج.

وقد إعتمدت الدراسة على كم كبير من المصادر المتقدمة والمراجع المهم، في رسم الصورة التي هدف إليها البحث، ألا وهي تناول معركة الجمل بروح علمية وحيادية بعيدة عن التعصب والإنحياز، وقد أثبتناها في قائمة المصادر والمراجع.

وفي الختام فإنني أسأل الباري عز وجل أن أكون قد وفقت، في عرضي هذا، وإن أخطأت فحسبي إنني إجتهدت.

الفصل الأول

خلافة عثمان بن عفان (رض) والتمهيد للإنحرافات.

المبحث الأول: وصول عثمان بن عفان (رض) للخلافة

المبحث الثاني: سياسة عثمان مع الرعية والولاة.

المبحث الثالث: موقف الصحابة من سياسة الخليفة عثمان.

المبحث الرابع: الثورة على الخليفة عثمان (رض) ومقتله.

المبحث الأول: وصول عثمان بن عفان (رض) للخلافة

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن غالب⁽¹⁾، يجتمع نسبه مع رسول الله (p) في الجد الخامس من جهة أبيه، فهو قرشي أموي يجتمع هو والرسول الكريم (p) في عبد المناف، ولد بالطائف، وقيل في مكة بعد الفيل بست سنين⁽²⁾، وعلى الصحيح (سنة 576م)، أي أنه أصغر من الرسول (p) بست سنوات تقريباً وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب⁽³⁾، ويكنى عثمان بأبي عبد الله، أبي عمرو، كني أولاً بأبنة عبد الله ابن زوجته رقية ربيعة النبي (p)، توفي عبد الله سنة أربع من الهجرة بالغاً من العمر ست سنين، ويقال لعثمان ذو النورين- كما يتردد في كتب أبناء العامة- على إعتبار أنه تزوج من بنات النبي رقية وأم كلثوم كما يزعمون⁽⁴⁾، وهذه المسألة فيها نظر كبير ومحل خلاف بين علماء أمتنا⁽⁵⁾، وتزوج عثمان بن عفان رقيه بمكة وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت هناك ولداً فسماه عبدالله، وكان عثمان يكنى به، فبلغ الغلام ست سنين، فنقر عينه ديك، فورم وجهه، ومرض ومات، وكان موته سنة أربع، وصلى عليه رسول الله (p)، ونزل حفرته أبوه عثمان، ورقية أكبر من أم كلثوم، ولما سار رسول الله (p) إلى بدر، كانت أبنته رقية مريضة، فتخلف عليها عثمان بأمر من رسول الله (p)، فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة المدينة، وكانت قد أصابته

⁽¹⁾ ابن سعد، محمد بن منيع البصري (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد علي عمر، القاهرة، مطبعة الخانجي، 2001، 51/3.

⁽²⁾ ابن عبد البر، أبي يوسف عمر بن عبدالله القرطبي النميري (ت463هـ)، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه عادل مرشد، عمان، دار الاعلام، 2002.

⁽³⁾ ابن سعد، الطبقات، 51/3.

⁽⁴⁾ ابن الأثير، أبو محمد علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، دت، 578/3.

⁽⁵⁾ الطائفي، نجاح، نساء النبي وبناته، ط2، لندن، دار الهدى لإحياء التراث، ص28.

الحصبه(6) عدد اولاد الخليفة عثمان بن عفان ستة عشر : تسعة من الذكور ، وسبع من الاناث، وزوجاته تسع ، وقتل عثمان وعنده رملة ، ونائلة، وأم البنين، وفاخته، غير أنه طلق أم البنين وهو محصور⁽¹⁾.

تولى عثمان بن عفان الخلافة وعمره ثماني وستين عاماً، وكان ذلك عام ثلاثة وعشرين للهجرة ، وقتل لأثنتي عشرة ليلة من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، فجميع ولايته اثنتا عشر سنة إلا ثمانية ايام، وقتل وهو بعمر ثمانين عاماً⁽²⁾.

وجاء إستخلاف عثمان بن عفان بالشورى فبعد أن طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب ، قيل له لو أستخلفت! قال : ومن أستخلف؟ لو كان ابو عبيدة بن الجراح حياً أستخلفته فأن سألني ربي قلت: سمعت نبيك محمد (ع) يقول "أنه أمين هذه الامة" ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً أستخلفته ، فأن سألني ربي قلت: سمعت نبيك(ع) يقول: " أن سالماً شديد الحب لله".

ثم أشار الى رهط قال أنهم من أهل الجنة ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله

ولكن الستة : علياً وعثمان أبنا عبد المناف ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص خالا رسول الله(ع)، والزبير بن العوام حواري رسول الله(ع) وابن عمته، وطلحة الخير بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلاً ، فإذا ولوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه ، إن ائتمن أحداً منكم فليؤد اليه أمانته⁽³⁾.

ثم أمرهم بدخول حجرة عائشة ويختاروا أحداً فتناحروا بينهم ، ثم وصف عثمان باللين وعلي فيه دعابة، وأمر ابو طلحة الانصاري بأن يختار خمسين رجلاً من الانصار وأستحث هؤلاء الرهط ليختاروا رجلاً منهم، ثم قال للمقداد بن الاسود: إذا وضعتوني في حفرتي فأجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم ، وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة ايام ، وادخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن وطلحة ان قدم، وأحضر عبد الله

⁽¹⁾ ابن سعد، الطبقات، 51/3.
⁽²⁾ ابن عبد البر، الإستيعاب، ص547.
⁽³⁾ ابن سعد، الطبقات، 57/3-59.

بن عمر ولا شيء له من بالأمر ، وقم على رؤوسهم ، فإذا اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فأشدخ رأسه، أو أضرب رأسه بالسيف، وأن أتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان ، فأضرب رؤوسهما، فإن رضى ثلاثة منهم وثلاثة خالفوا ، فحكموا عبد الله بن عمر، فإي الفريقين حكم فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وأقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس⁽¹⁾

إن بين سعد وعبد الرحمن عمومة ، وكان عبد الرحمن صهر عثمان ، فالمسألة محسومة بالقرابة ، الا ما يريد الله غير ذلك.

ولما مات عمر، صلى عليه صهيب، واجتمع القوم فكانوا ثلاثة بثلاثة، ومال عبد الرحمن بن عوف الى عثمان ، ثم دعا علياً وقال له: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) وسيرة الخيفتين من بعده ؟ قال: ارجو ان افعل واعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، قال: نعم فبايعه، فقال علي : حبوته حبو دهر، ليس هذا اول يوم تظاهرت فيه علينا {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ }⁽²⁾، والله ما وليت عثمان الا ليرد الأمر لك، والله {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ }⁽³⁾.

ولم يرض بالبيعة المقداد، وقال علي بن ابي طالب الى المقداد: إن الناس ينظرون الى قريش ، وقريش تنظر الى بيتها، فتقول: إن ولى عليكم بني هاشم لم تخرج منهم ابداً ، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم⁽⁴⁾.

المبحث الثاني: سياسة عثمان مع الرعية والولاء

⁽¹⁾ الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1971، 154/4.

⁽²⁾ سورة يوسف، الآية18.

⁽³⁾ سورة الرحمن، الآية29.

⁽⁴⁾ أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، 1996، 119/6-129.

لم يكن عثمان بن عفان كسابقيه يحتاط لأمره ويحسب لخصومه ويداري قبيلته، وإنما وبمجرد أن أمسك زمام الحكم في يده جهر بقبيلته وأظهر ميله لقومه معلنا أمويته فأسخط عليه الناس ولإستفز الجميع حتى أنصاره ومؤيديه من خارج بني أمية، لقد تجاوز عثمان حدود الخط القبلي الذي رسمه من قبله أبي بكر وعمر وحصر هذا في دائرة بني أمية⁽¹⁾

إستعان عثمان بمجموعة من العمال والولاة الفاسدين الذين حفلت النصوص بذكر أخبار فسادهم وإختلاسهم فكانوا سببا في نقمة الناس عليه، فقد كان على حد وصف أبا ذر له: "يستعمل الصبيان ويحمي الحمى ويقرب أولاد الطلقاء"⁽²⁾، وأقدم عثمان على عزل ولاة عمر وولى آل المعيط مكانهم، وكان أقارب عثمان الذين ولاهم منه الطريد⁽³⁾، والفاسق⁽⁴⁾، والمرتد⁽⁵⁾، وكان الحكم أبو مروان طريد رسول الله (ع) مع ولده، ومن المغموز عليه في دينه، وأدخلهم عثمان إلى المدينة: "وقدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرهما من بني أمية، والحكم طريد رسول الله (ع) الذي غربه عن المدينة ونفاه عن جواره"⁽⁶⁾، فكان مروان كاتب عثمان وكان غالبا مايرد الخليفة عندما يقطع أمراً⁽⁷⁾.

وعزل عثمان ابو موسى الأشعري عن ولاية البصرة وولى مكانه "عبدالله بن عامر بن كريز"⁽⁸⁾ وكان حدث السن⁽⁹⁾

وولى الكوفة أخاه لأمه الفاسق الوليد بن عقبة، الذي كان يجاهر بشرب الخمر والفسوق، الأمر الذ أثار حنق أهل الكوفة وغضبهم وتصاعدت أصواتهم المطالبة بعزله، او هذا ما أجبر عثمان على الإذعان لمطالبهم، فقام بعزله وأقام

⁽¹⁾الورداني، صالح، السيف والسياسة في الإسلام، ط2، بيروت، دار القري، 2002، ص89.

⁽²⁾المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، دت، 2، 343.

⁽³⁾الحكم وأولاده مروان وإخوته.

⁽⁴⁾الوليد بن عقبة بن أبي معيط، للمزيد ينظر: الذهبي، أبو عبدالله محمد بن عثمان (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، دت، 211/4-212.

⁽⁵⁾وهو عبد الله بن أبي سرح، للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 240/4.

⁽⁶⁾مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002، 1/289.

⁽⁷⁾ابن الوردي، زين الدين عمر بن المطهر (ت749هـ)، تاريخ ابن الوردي، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، 1969، ص25.

⁽⁸⁾عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس، أسلم في فتح مكة ولي الصرة لعثمان، فتح فارس وخراسان وسجستان وكابل، وحفر نهر الابللة للمزيد ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت276هـ)، المعارف، ط2، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1970، ص321.

⁽⁹⁾الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط2، قم، شريعت، 1982، ص139.

الحد عليه بجلده أربعين جلدة ،وعين بدل منه سعيد بن العاص بن أمية، وكان سعيد يتصف بالحزم والحلم وكان جواداً ، وقد قرب فقهاء الكوفة وقراءها ، وابتعد اصحاب الشر ،ولما دخل الكوفة أبى أن يصعد المنبر حتى يغسل⁽¹⁾،وقال:"إن الوليد كان نجساً رجساً،ولما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور كثيرة منكرة،فاستبد بالاموال،وقال في بعض الأيام وكتب به عثمان:أنما السواد قطين قریش،فقال له الأشر:أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك"⁽²⁾.

وفر الخليفة عثمان الحماية لعماله وولاته من المحاسبة والمتابعة ورد الشكاوي التي قامت ضدهم،بل طرد المشتكين من ظلم العمال والولاية وضربهم،فكان"يجي من أرائه ماينكره أصحاب محمد(ع)،وكان يستعين فيهم ولايعزلهم"⁽³⁾.

فقد تستر على الوليد بن عقبة حينما وثصل إلى مسامعه إختلاسه لأموال جزيلة من بيت مال المسلمين،فقد وفر الحماية له فيما يأخذ من بيت المال"كتب عثمان إلى عبدالله بن مسعود ،إنما أت خازن لن فلا تعرض للوليد فيما يأخذ من بيت المال"⁽⁴⁾

وعندما أنكر الصحابي الجليل أبوذر الغفاري على معاوية إستئنائه بمال المسلمين وتشبه بأخلاق الروم وهياتهم،لم يحاسب معاوية،بل"توفي أبوذر الغفاري جندب بن جنادة بالربذة وكان نفاه إليها عثمان لما شكا منه معاوية وهو بالشام أنه ينكر عليه كنز الذهب والفضة"⁽⁵⁾

وقبل عزله للوليد عن ولاية الكوفة،فأن عثمان حاول بكل الوسائل أن يبعد التهم عن أخيه لأمه،فعندما جاء الشهود ليشهدوا على الوليد بشربه للخمر،وأخرجوا خاتمه وسلموه له،قال:"وما يدريكما أنه شرب

⁽¹⁾ الطبري،تاريخ،3/112.

⁽²⁾ المسعودي،مروج الذهب،2/346.

⁽³⁾ السيوطي،جلال الدين عبدالرحمن(ت911هـ)،تاريخ الخلفاء،،ص157.

⁽⁴⁾ أو مخنف،لو ط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي(ت157هـ)،نصوص من تاريخ أبي مخنف،نخريج وتنسيق وتحقيق كامل

سلمان الجبوري،بيروت،دار المحجة البيضاء،1999،72/1.

⁽⁵⁾ ابن الشحنة،محي الدين ابو الوليد محمد بن محمد(ت815هـ)،روض المناظر في علم الأوائل والأواخر،تحقيق سيد محمد

مهني،بيروت،دار الكتب العلمية،1997،ص109.

خمرأ، فقالوا: هي الخمر التي كنا نشربها بالجاهلية فزجرهما ودفع في صدورهما، وقال تنحيا عني، فخرجا من عنده"⁽¹⁾.

وقدم رجل للمدينة وقال لعثمان: إني صليت الغداة خلف الوليد بن عقبة، فالتفت إلينا فقال: "أزيدكم شم منه رائحة الخمر، فضرب عثمان الرجل، فقال أني أجد اليوم ما أبطالت الحدود وضربت الشهود"⁽²⁾.

وحينما لاحظ العمال والولاة هذا الانقلاب والاهمال في محاسبة المختلسين وزجرهم تبادوا اكثر في غيهم لدرجة أن عثمان أصبح في أواخر ايامه لا يدري ما يصنع الولاة وما يقوم به معتمده وأمين سره مروان بن الحكم من مكاتبات وأوامر ويختتمها بختم الخليفة الذي أصبح بين يديه وعندما اشتكى أهل مصر من عبدالله بن ابي السرح، لم يفعل الخليفة شيئا بل "أقدم عبدالله على ضرب قسم من الوفد عند عودتهم، وقتل واحد منهم، ولم يفعل الخليفة شيئا له"⁽³⁾.

فضلا عن أن الولاة والعمال يتصرفون في الدولة بغير علم الخليفة، فذكر البلاذري أن مروان كان "قد ازدرع بالمدينة في خلافة عثمان على ثلاثين جمل، فكان يأمر بالنوى أن يشتري فينادي أمير المؤمنين يريده، وعثمان لا يشعر بذلك، فدخل طلحة وكلمه في أمر النوى فحلف أنه لم يأمر بذلك، فقال طلحة: هذا أعجب أن يفتأت عليك بمثل ذلك..."⁽⁴⁾.

مع اتساع الدولة الاسلامية فقد شرع المسلمون في عهد عثمان الى حياة النعيم والرفاهية في حدود ما أملاه الشرع ، فبدلوا مساكنهم وملابسهم ومأكلمهم ومشربهم فعملوا على تشييد المباني الجميلة بدلا من الدور البسيطة التي كانوا يعيشون فيها بالبادية ولذا خرج كبار الصحابة الى الامصار المفتوحة بعد أن أثروا بتجارتهم وبنوا وزرعوا⁽⁵⁾ ، فبعد أن كان عمر بن الخطاب يمنع خروج خروج الصحابة الى الامصار خوفاً عليهم من الانحدار مع موجة الكسب

⁽¹⁾ المسعودي، مروج، 345/2.

⁽²⁾ ابو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد القرشي (ت356هـ)، الأغاني، شرح وكتابة الهوامش علي مهناوسمير جابر، ط4، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002، 143/4.

⁽³⁾ ابو مخنف، نصوص، 72/1.

⁽⁴⁾ انساب، 129/5.

⁽⁵⁾ العمري، أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، ط2، الرياض، مكتبة العبيكان، 2006، ص134.

والتجارة فيتركوا ما جبلوا عليه⁽¹⁾ ، لكن عثمان سرحهم فسادوا في الارض ،
قد أنقلبت حياة اغلب الصحابة الى الترف ورغد العيش، بينما سلك الكثير من
عماله في عهده طريقته التسامحية، فقليل أنه بنى داراً في المدينة وشيدها
بالحجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر ، واقتنى الكثير من
الاموال والجنان معظمها قبل أن يتولى الخلافة، لاسيما وانه من اصحاب
الثراء قبل خلافته ، مما جعله يستثمر مثل هذه الخيرات في عهده فكان يجمع
الدين والدنيا، ممثلاً قول الحق {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ
نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }⁽²⁾.

وقد زادت ثروات الصحابة بشكل يوحى الى ان بعضهم أخذته الدنيا فكانت
ثروة الزبير بن العوام كبيرة ، فقد ابتنى دار له في البصرة ، وكذلك ابتنى دار
في مصر واخرى في الكوفة وواحدة في الاسكندرية ، وبلغ مال الزبير عندما
مات خمسين ألف دينار ، وخلف ألف فرس ، وألف عبد وأمة⁽³⁾.

كذلك ابتنى طلحة داراً بالكوفة المعروفة بالكناسة ، واشترى ضيعة له فيها ،
وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار، كذلك بنى له داراً في المدينة
وشيدها بالاجر والجص والساج⁽⁴⁾.

أما عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ابتنى داراً ووسعها ، وكان على مربطه
مائة فرس ، وله ألف بغير ، وعشرة الاف شاة ، وبلغ عند وفاته ربع ثمن ماله
اربعة وثمانون ألفاً⁽⁵⁾.

وأبتنى سعد بن ابي وقاص داره بالعقيق ، فرفع سمكها، ووسع فضاءها،
وجعل أعلاها شرفات⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ الطبري، تاريخ، 3/52-53.

⁽²⁾ سورة القصص، الآية 77.

⁽³⁾ فرحات، عبدالقادر، الاحوال الاقتصادية في عهد الخليفة عثمان (رض)، عمان، دار العرب، 1998، ص45.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص48.

⁽⁵⁾ ابن قتيبة، المعارف، ص137.

⁽⁶⁾ الفيومي، محسن جادالله، سعد بن أبي وقاص القائد الخالد، القاهرة، دار العلم، 1969، ص56.

وعندما مات زيد بن ثابت ، خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس، غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة الف دينار⁽¹⁾.

وأبتنى المقداد داره في الموضع المعروف بالجرف على بعد أميال من المدينة، وجعل اعلاها شرفات ، وجعلها مجصصة الظاهر والباطن.

ومات يعلي بن منبه، وخلف خمسمائة الف دينار ، وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلثمائة الف دينار⁽²⁾.

إن حالة الاسراف التي كانت تلازم عثمان هي غير الحالة التي عرف فيها خلفاء رسول الله (ع)الذين سبقوه، ابي بكر وعمر، فقد حج عمر بن الخطاب مع ولده عبد الله فأنفق ستة عشر دينار ، قال لولده عبد الله : لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا⁽³⁾.

كان عمر عندما يشكوا الناس أميراً لهم ، يبعث من يتحرى الامر ، فقد شكوا أهل الكوفة أميرهم سعد بن ابي وقاص عام واحد وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصاري ، فحرق على سعد باب قصر الكوفة، وعزله وبعث الى الكوفة عمار بن ياسر، فكان لا يريد باباً بين الامير والناس.

تلك الصورة حملها الناس عن ابي بكر وعمر ، لكنها تغيرت في عهد عثمان ، وكان من اسبابها ، ما حاط به من آل أمية وخاصة مروان بن الحكم.

لقد زاد في عهده الخراج ، واتاه المال من كل مكان، وعلى اثر ذلك زاد عطاء الناس عما كان عليه وقت الفاروقالى مائة الف درهم ، وزاد حب الناس له لولا بعض الخلل في السياسة الادارية في بعض الامصار .

وتحولت خلافة عثمان الى خلافة بيت ، فقد تكالب عليه بنو أمية وأستغلوا حالة اللين التي لازمته، ولذا فقد أخذت عليه مآخذ كثيرة استغللت لأغراض

سياسيه منها:

¹ابن حجر العسقلاني،شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن علي(ت852هـ)،الإصابة في تمييز الصحابة،بيروت،دار الكتاب،د.ت،2/176.

²ابن قتيبة،المعارف،ص157؛الشرقاوي،عليان الشرقاوي،جوانب من الحياة الاقتصادية لصحابة الرسول(ص)،القاهرة،مكتبة مدبولي،1982،ص76.

³(المسعودي،مروج،273/3.

1. تولية أقاربه كمعاوية بن ابي سفيان ، وعبد الله بن سعد وعبد الله بن عامر ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم، وكانت على بعضهم مأخذ ، فالوليد صلى بالناس وهو سكران، وكانت له سابقة في مخالفة تعاليم الاسلام وقد نزلت بحقه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ} (1) وهي قصة معروفة عندما ارسله النبي (ع) الى بني المطلق فأخبر عنهم انهم ارتدوا، وقد قيل لعثمان انك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك فقال: بل لأنه ابن عمه رسول الله (ع) أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروي المذكورة أم حكيم ، توأمة عبد الله ابي رسول الله (ع)، وأي حرج على المرء أن يولي أخاه أو قريبه (2).

2. قد قيل الكثير عن إخراج ابي ذر (3) الى الربذة (4)، لكن هناك اتفاق بين المؤرخين انه نازع معاوية حول مال الله او مال المسلمين وكان لا يرضى بالتurf الذي فيه معاوية، ويذكر قول الله {والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله} (5). وألب الناس على معاوية الذي كتب الى عثمان ، فبعثه معاوية الى عثمان والذي خيره بالخروج من المدينة فأختار الربذة، وكان ابو ذر يقول : قال لي رسول الله (ع): اذا بلغ البناء أي المدينة سلماً ترحل الى الشام ، فلما بلغت سلماً قدمت الشام فسكنت فيها (6). وظل ابو ذر في الربذة حتى كان سنة ثمان من ذي الحجة من ولاية عثمان ، فلما اشرف على الموت قال لابنته ادبحي الشاة ، واذا حضر قوم فلا تدعيهم يرحلوا حتى يأكلوا، فمرت قافلة من الكوفة فيها ابن مسعود فعرفوا إن المسجي ابو ذر فغسلوه وكفنوه ودفنوه وكان ابن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله (ص) حين قال " يموت وحده ويبعث وحده " (7)

3. اعطاء مروان بن الحكم خمس أفريقيا: لقد ثبت بالفعل أن عثمان قد اعطى لمروان خمس أفريقيا، وكان تبرير ذلك أن الامام من حقه أن يتصرف بحقه

¹سورة الحجرات، الآية 6.

²ابن العربي، العواصم من القواصم، ص 93.

³اسمه جندب، صحابي، سيره عثمان الى الربذة فمات فيها عام 32 هـ. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص 146.

⁴الربذة، قرية تبعد عن المدينة ثلاث أميال، فيه قبر أبو ذر الغفاري. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان للحموي، 4/388.

⁵سورة التوبة، الآية 34.

⁶ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 45/2.

⁷ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 45/2.

في خمس الفتح⁽¹⁾، لكن ذلك لا يمنع من القول إن خمس افريقيا كبير ، وحاجة المسلمين الفقراء اليه واجبة ، فلو تم توزيع جزء منه للآخرين المحتاجين لكان في الأمر وجهة نظر اخرى، لكن اعطاء الخمس كله لواحد كانت فيه اشكالية استغلت من الآخرين ضد عثمان.

4. ان المنتبغ لاحداث عثمان يرى ما كانت عليه وجوه أمية في خلافة عثمان ، فقد ارادوها وراثه قبل أن يفعلها معاوية، وكانت الجاهلية لازالت تنخر في صدورهم، وعندما تولى عثمان الخلافة دخل ابو سفيان دار عثمان وهو شيخ ضرير فقال: أفيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، قال، يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت ارجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثه⁽²⁾.

كان ذلك كلام شيخ بني أمية وهو يقسم بالذي يحلف به ابو سفيان ، وما أدرانا ما يقسم به، فإن الاسلام لم يأخذ مكانه في قلوب البعض فضلوا يسوقون الاحداث وراء أهوائهم وما تتطلع اليه نفوسهم لعل الجاهلية تعود وتعود القبلية ليكون لهم فيها موضع وقدم.

5. احراق المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد: قام عثمان بجمع القرآن الكريم وقد نسخ منه سبع نسخ ، ارسل منها الى مكة والشام واليمن والبحرين [الاحساء اليوم] والى البصرة والى الكوفة واحتفظ بنسخة منه بالمدينة، وكان جمع المصحف خوفاً عليه من الضياع والتحريف⁽³⁾، وقد انكر انكر عليه الناس حرق المصاحف.

6. ضرب ابن مسعود حتى فتقت أعضائه وضرب عمار بن ياسر حتى كسر اضلاعه: كان هذان الصحابييان من القدم بالدين والصحبه لرسول الله (ع)، فقد كان رسول الله (ع) ينظر اليهما بعطف ، وقد اشار الى قراءة ابن مسعود القرآن ، ووعد عمار وآل ياسر بالجنة، وانكر الناس على عثمان فعله⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ابن العربي، العواصم من القواصم، ص100.

⁽²⁾ المسعودي، مروج الذهب، 273/3.

⁽³⁾ ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 43/2.

⁽⁴⁾ ابن العربي، العواصم من القواصم ص74.

07. الزيادة في الحمى: قال رسول الله (ع) " انما الحمى حمى الله ورسوله" وقد وضع عمر بن الخطاب حمى لأبل الصدقة لكن عثمان زاد بها ، وعندما سئل قال: كثرة الصدقات فزاد الحمى.

8.الانتماء في السفر: كان رسول الله (ع)يصلي في السفر ركعتين ، وكذا أبو بكر وعمر ، الا أن عثمان أتم فأنكر الناس عليه ذلك.

9.تخلفه عن حضور غزوة بدر الكبرى: كانت رقيه بنت رسول الله(ص) مريضة وأبقاه رسول الله (ع)بجانبها، وقد اسهم له الرسول (ع)حاله حال المقاتلين.

11.تخلفه عن بيعة الرضوان: كان رسول الله(ص) قد ارسله الى مكة رسولاً، وقد عده رسول الله(ص) أحد المبايعين له.

12.عدم قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان:كان عمر يقول قبل موته ، اذا مت فدمه بدمي ، ولما ولى عثمان قيل له ، الا تمضي في وصية عمر ، قال: ومن ولي الهرمزان، قالوا : انت ، قال : قد عفوت عن عبيد الله¹.

13.زيادة الأذان الثاني يوم الجمعة: وهذه من سنن الخلفاء الراشدين ، وفيها اعلام الناس عن قرب صلاة الجمعة، وبقيت على حالها في خلافة علي والامويين والعباسيين.

14.نفي النبي مروان ، ورده من قبل عثمان:وقد رد عثمان الحكم وولده مروان ، وانكر الناس عليه ذلك⁽¹⁾.

كل تلك الامور وغيرها جمعها الناس في صدورهم لتكون الفتيلة التي يراد اشعالها في الوقت المناسب لها ، على الرغم من أن عثمان قد أعلن التوبة لما كان من عثرات في خلافته ، الا ان الصدور المشحونه بالغیظ لم تهدأ ، ولم يكن حالها أحسن حالا من المتربصين للخلافة والاسلام، فأن مسألة الاخطاء التي ترتكب لا بد وأن تكون هناك حالات تصحيح لها، لكن الامر تجاوز الطرفين فعثمان لم يقبل النصيحة والمتربصون او غلوا في مسعاهم.

¹(البهيقي،السنن الكبرى، 100/12).

أن أصرار عثمان على عدم قبول النصيحة مرده أعتبارات القرابه التي يقودها مروان، الذي يحاول أن يصوغ الامر بما يريد.

أن الرأس المدبر للعملية السياسية والادارية الفعلية هو مروان بن الحكم، وكان من تأثيره على الخليفة أن أعطاه وآل مروان ما جاء من خيرات أفريقيا⁽¹⁾.

15. كما أجاز الخليفة عثمان لنفسه أخذ الحل " فقد كان في بيت المال سفت من حلي وجواهر ، فأخذ منه لبعض أهله ، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك ، وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت !فأرغم الله أنف من رغم"⁽²⁾.

أن التفريط بالمال العام للمسلمين من المثالب التي لا يرضاها الله ، فقد وضعت تلك الاموال لحاجة المسلمين لها ، وهذه الحاجة لم تأتي من فراغ ، بل هي الضرورة الاساسية في التعامل اليومي بين الناس ومركز القرار، لكن عندما يكون مركز القرار غير عابه بما يدور يتحول نظر الناس الى الطريقة التي بها يستطيعون أن يحصلوا فيها على حقوقهم ، وأقرب تلك الطرق هو التمرد على رأس القرار، فقد زوج عثمان ابنته الى عبد الله بن خالد بن اسيد وأمر له بمبلغ كبير من المال من بيت مال المسلمين في البصرة، وأنفق من الاموال في عمارة ضياعه ودوره، وجيء بذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته⁽³⁾.

إن تصرف عثمان لا ينم في تلك المواقف على ما يجب أن يقرم به الخليفة أتجاه ما تنتظره الامة من قائدها.

كل تلك كانت مدعاة للدهشه في الصورة التي يتصرف بها عثمان، وهو العالم بأن تلك الاموال لم تكن له ولعيله ، بل إن حالة كحال أي مسلم آخر في العطاء من بيت المال، وإلا ما معنى أن يعطي الى طلحة بن عبيد الله مالاً

⁽¹⁾الخليلي، جعفر جواد، من حياة الخليفة عثمان بن عفان، بيروت، دار الارشاد للطباعة والنشر، 2000، ص39؛ مصطفى، أبراهيم، المعجم الوسيط، القاهرة، دار المعارف، 1972، ص726.

⁽²⁾البليخي، ابوزيدا محمد بن سهل (ت458هـ)، البدء والتاريخ، وضع حواشيه خليل عمران، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، 217/2؛ الاميني، عبدالحسين أحمد، الغدير، بيروت، دار الكتاب العربي، 1977

⁽³⁾ابن حجر، أبي العباس أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1417هـ، ص113. المحب الطبري، أبو جعفر أحمد، الرياض النضر في مناقب العشر من طبقا ابن سعد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1984، ص271.

كثيراً من أموال المسلمين ، يتصرف بها طلحة ، حتى إن عثمان عندما رأى في حصاره موقف طلحة منه قال " ويلي على ابن الحضرمية- يعني طلحة - أعطيتة كذا وكذا بهاراً ذهباً!! وهو يروم دمي ، يحرض على نفسي اللهم لا تمتعه به، ولّفه عواقب بغيه"(1).

إن الرعاية التي أولاه عثمان لولاته قد ولدت رد فعل معاكس بين المسلمين الذين كانوا يرون في الخليفة الملاذ لهم في تحصيل حقوقهم وفق الشريعة الإسلامية التي أقرها القرآن كدستور والرسول الكريم(ﷺ) بتطبيقه.

ولذا فإن الناس في قناعتها بأن الذي سيأتي سيحل ما كان لا يستطيع من سبقه لحلها أو تطبيقها ، وكان عمر بن الخطاب شديداً على الناس ، حازماً ، لا يتهاون في أي أمر فيه تجاوز على حق الآخرين ، حتى ولو كان ذلك أبنه، لكن عثمان كان في نقيض شخصية عمر ، فاللين والانجرار لأبناء العشيرة، وعدم أهمال ما يطلبون ، ولذا كان الناس ينظرون المستقبل ، حتى كان الغيب ملاذاً لهم، فهم يقولون إن رسول الله (ﷺ) يقول " إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها "(2).

إن إنتظار القادم ليس بالأمر السهل ، وهناك من يتربص بالأمة الشر ، ويريد لها النكوص، وسعيد بن العاص عندما ضرب هاشم بن عتبة، إنما ضربه بغضاً وتكبراً ولقد قال رسول الله(ﷺ) " أدروا الحدود بالشبهات"(3).

لكن سعيداً لم يلتزم بدينه وأخذ دنياه الى آخرته ، وهذا التحدي لمشاعر الناس كان مدعوماً برض عثمان عن ولاته من بني العاص ويني أمية، وهذا الرضا جلب عليه في آخره المصائب.

كانت هناك هفوات دفع مروان الخليفة عثمان اليها دفعاً ، وكان المال محوراً ، ومنها انه اعطى الحارث بن الحكم بن ابي العاص ثلثمائة الف

⁽¹⁾ العبودي، عبدالباري، مطاعن الخليفة عثمان، بيروت، دار الحق، 2007، ص56.
⁽²⁾ الهمداني، محمد بن الحسين بن عبد الصمد، تحقيق عبد الأمير النمر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418 هـ، ص172.
⁽³⁾ الحر العاملي، وسائل الشريعة، 336/18.

درهم وأبل الصدقة، كما أعطاه سوق المدينة المعروف بـ [مهزوز] ، وقد تصدق بها النبي (ﷺ) على المسلمين ، لكن عثمان اعطاها للحارث⁽¹⁾.

كما أعطى للحكم بن العاص طريد رسول الله (ﷺ) صدقات قضاة ، وأعطاه صدقات سوق المدينة⁽²⁾.

واعطى عثمان عبد الله بن ارقم ثلثمائة الف درهم بعد ان عزله من بيت المال، فردها ولم يقبلها⁽³⁾.

إن الخليفة عثمان يحاول ان يرضي الآخرين ، لكن تلك الحالات التي اوردها التاريخ كانت توحى إن هناك يد خفية تلعب خلف الستار وإلا ما يعني عندما يقترض الوليد بن عقبة مالا من بيت مال المسلمين في الكوفة والذي كان عليه عبد الله بن مسعود، وعندما طالبه ابن مسعود باعادتها ، كتب الوليد الى عثمان ، فكتب عثمان الى عبد الله بن مسعود [إنما انت خازن لنا ، فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال ، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظن اني خازن للمسلمين، فأما أن كنت خازن لكم فلا حاجة لي في ذلك]⁽⁴⁾.

لاأظن أن الخليفة لا يدرك ذلك ، انما هي اليد الخفية التي أسقطت كل شيء.

⁽¹⁾ ابن عدي، العقد الفريد، 103/2.

⁽²⁾ اليعقوبي، أحمد بن أسحاق بن جعفر (ت291هـ)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه حميد منصور، قم، مطبعة شريعت، 1425هـ، 117/.

⁽³⁾ ابن الأثير، أسد الغابة، 172/3.

⁽⁴⁾ أبو مخنف، نصوص، 71/1.

المبحث الثاني: موقف الصحابة من سياسة الخليفة عثمان بن عفان (رض)

وقف الصحابة الخلفاء الرسول الله (ع) موقف الممانع والمعارض لسياسات الخليفة عثمان بن عفان والتي عدوها خروجاً على نهج وسياسة رسول الله (ع)، فكان أن دفع بعض منهم حياته ثمناً لذلك، ونال البعض الآخر منهم التعذيب والتنكيل.

وأول ما بدأ به الصحابة أنهم لا يريدون الناس عندما ينالون من عثمان⁽¹⁾، وعُد ذلك بالرضي والموافقة، وتنوعت مواقف الصحابة كلٌّ بحسب الحالة التي عارض عليها الخليفة، فقد وقف الإمام علي (عليه السلام) ضد سياسة عثمان الإدارية والمالية إذ كثيراً ما كان يذكره بالعهود والمواثيق التي قطعها في أن لا يولي بني أمية على رقاب الناس، "فقال علي وطلحة والزبير: ألم يوصك عمر ألا تحملاً لأبي المعيط وبني أمية على رقاب الناس، فلم يجبههم" (2).

وكلم الإمام علي (عليه السلام) عثمان مرات عديدة في الرجوع عن سياسته، وذكر ابن الجوزي: "إن جماعة اجتمعوا فكلّموا علي بن أبي طالب من أمر عثمان فدخل عليه وقال: وما ابن قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب، وأنت اقرب إلى رسول الله رحماً 000 أنشدك الله يا علي تعلم إن عمر ولي المغيرة أوليس ذلك، قال: بلى، قال: فلما تلومني إن وليت ابن عامر في رحمٍ وقرابه" (3).

فأجاب الإمام علي قال: "سأخبرك إن عمر كان كلما ولي أميراً فإن ما يبطأ على صماخية، وأنه إن بلغه حرف جاء به، ثم بلغ به أقصى الغاية في العقوبة، وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على أقاربك، فقال: عثمان هم أقرباؤك أيضاً، فقال علي: لعمرى إن رحمهم مني لقريب ولكن الفضل في غيرهم 000 هل تعلم إن معاوية كان أخوف من عمر مني، قال: نعم، قال علي: فأن

⁽¹⁾ الطبري، تاريخ الطبري، 3/ 125.

⁽²⁾ البلاذري، أنساب الأشراف، 5/ 131.

⁽³⁾ المنتظم، 2/ 275.

معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها، فيبلغك فلا تتكرو ولا تغير على معاوية 000 " (1).

وعندما يؤس أصحاب رسول الله من عثمان كتب بعضهم إلى بعض " أن أقدموا فأن كنتم تريدون الجهاد ، فعندنا الجهاد ، وكثر الناس على عثمان ، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، وأصحاب رسول الله يرون ويسمعون ، ليس منهم احد يذب و ينهى " (2).

وسمع عثمان باجتماع قوم على قتله ، فجا إلى الإمام علي وقال : " يا ابن العم 000 وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي ، فأنا أحب أن تركب إليهم فتردهم عني 000 فقال علي : علام أردهم ، قال : على أن أصير إلى ما أشرت به علي ، وما رأيته لي ، ولست أخرج من يديك فقال علي : أني قد كلمتك مرة بعد مرة ، فكل ذلك تخرج فتكلم ، وتقول وتقول وذلك كله فعل مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وابن عامر ، ومعاوية أطعتهم وعصيتني ، قال عثمان : فأني أعصيه وأطيعك " (3).

فخرج الإمام إلى القوم وما اتفق به مع عثمان ودخلوا على عثمان وكتب لهم عثمان كتاباً " هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين 000 إن لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه 000 ويرد المنفي 000 ، ويوفر الفي وعلي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان

⁽¹⁾ ابن كثير، البداية والنهاية، 168/7-169.

⁽²⁾ مسكوية ، تجارب الأمم ، 275/1.

⁽³⁾ الطبري ، تاريخ الطبري ، 131/3.

بالوفاء بما في هذا الكتاب 000 شهد الزبير بن العوام وطلحة 000 فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا "(1).

فجاء مروان ولم يزل يفتله في الذروة والغارب (2)، حتى أرجعه وأزاله عن رأيه وعن ما يريد ، وخرج مروان إلى الناس وقال : " شأهت الوجوه 000 الأ من يريد جنئتم تريدون أن تنزعونا ملكنا من أيدينا ، اخرجوا عنا 000 ارجعوا إلى منازلكم "(3).

فرجع الناس إلى الإمام علي بن أبي طالب وأخبروه بما قال مروان ، فجاء الإمام إلى عثمان مغضباً ، ودخل وقال له : " ما رضيت من مروان ولا رضى منك ، إلا تحرفك عن دينك وعن عقلك ، مثل جمل الضعينة يقاد حيث يسار به ، والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه ، وأيم الله أنى لأراه سيورك ثم لا يصورك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا ، لمعاتبتك اذهبت شرفك وغلبت على امرك 000 "(4).

ثم جلس الإمام في بيته وبدأ متأسفاً على أعمال عثمان ، وقال أيضاً : " عباد الله المسلمين ، أنى إن قعدت في بيتى قال لى : تركتني وقرابتى ، وحقى ، وأنى إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان صار سيقه له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله "(5).

ثم ذهب عثمان إلى الإمام علي ليلاً وهو يقول : " أنى غير عائد ، وأنى فاعل وأنى فاعل ، فقال له علي : " ابعء ما تكلمت به على منبر

(1) أبى مخنف ، نصوص ، 84/1.

(2) البلائري ، انساب الإشراف ، 190/5.

(3) البخى ، البدء والتارىخ ، 180/2.

(4) الطبرى ، تارىخ الطبرى ، ج 3 ، ص 133-134.

(5) الطبرى ، تارىخ الطبرى ، 136/3.

رسول الله وأعطيت من نفسك وبكيت حتى أخضبت لحيثك بالدمع وأبكيت الناس ، ودخلت منزلك وخرج مروان إلى الناس ، يشتمهم على بابك ويتلقاهم بما يكرهونه "(1).

وجاء رجل إلى الإمام علي يستشفع به إلى عثمان فقال الإمام : " حمال الخطايا ، لا والله لا أعود إليه أبداً"(2).

وكذلك وقف عبدالله بن مسعود موقف المعارض من عثمان، ومعلوم أنه تولى القضاء وبيت المال لعمر بن الخطاب في الكوفة وصدرًا من خلافة عثمان فعزله (3)، فألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد وقال : " من غير غير الله ما به ومن بدل اسخط الله عليه ، ما أرى صاحبكم إلا قد غير وبدل ، شر الأمور محدثاتها ، وكل محدث بدعه ، وكل بدعه ضلالة وكل ضلاله في النار "(4).

وكتب الوليد إلى عثمان يشكوه ، فأمر عثمان بحمله إلى المدينة ، وشيعة أهل الكوفة فقالوا له : " جزيت خيراً فلقد علمت جاهلنا وثبت عالمنا ، واقرأتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين فنعم اخو الإسلام أنت ، ونعم الخليل ، ثم ودعوه وانصرفوا "(5).

(1) مسكوية ، تجارب الأمم ، 286/1.

(2) بكار ، الإخبار الموفقيات ، ص489.

(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، 285/3.

(4) أبي مخنف ، نصوص ، 72/1.

(5) البلاذري ، انساب الإشراف ، 142/5.

فقدم المدينة وعثمان يخطب على المنبر وعندما رآه قال : " ألا انه قدمت دويبة سوء من تمشي على طعامه يقي ويسلخ ، فقال : ابن مسعود ليس كذلك ، ولكني صاحب رسول الله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان "(1). فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً وأورد البلاذري ذلك بقوله : " أحتمله يحموم غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فشق ضلعه "(2)، ومنع من عطائه ثلاث سنين(3).

وبقي في المدينة ممنوع من الخروج منها بأمر عثمان ، ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي توفي فيه جاءه عثمان فقال : " ما تشتهي ، قال : ذنوبي ، قال : أفلا أمر لك بعطائك ؟ قال : منعته وأنا محتاج إليه وتعطينه وأنا مستغن عنه ، قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمن ، قال : اسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي ، وأوصي أن لا يصلي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم 000 فقال له عمار : انه أوصى أن لا تصلي عليه 000(4).

وصلى عليه الزبير (5)، وعندما علم عثمان عاتبه وقال : " لهمت أن أن انبشه واصلي عليه فقال الزبير : لو رمت لحيل بينك وبينه وحمل عطاءه إلى ولده فقال الزبير :

لألقينك بعد الموت تندبني وفي حياتي مازودتني(6)

(1) أبي مخنف ، نصوص ، 72/1.

(2) انساب الإشراف ، 143/5.

(3) العسكري ، الأوائل ، ص129.

(4) البلاذري ، انساب الإشراف ، 144/5.

(5) السبتي ، أبي حاتم محمد بن حيان ، تاريخ الصحابة الذين روي عنهم ، تحقيق : بوران الضناوي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1988م ، ص149.

(6) العسكري ، الأوائل ، ص129.

كان "عثمان إذا جاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال " (1)، فأعطى أقاربه مروان ، والحارث وغيره ، فقال أبو ذر " بشر الكانزين بعذاب اليم " (2)، وكان يتلو قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ (3) ، فأرسل عثمان إلى أبي ذر الغفاري أن ينتهي عن ذلك ، فقال أبو ذر : " أئنهاني عثمان عن قراءة القرآن ، وعيب من ترك أمر الله ، فو الله لأن ارضي الله بسخط عثمان ، أحب إلي وخير لي من أن اسخط الله برضاه " (4).

وسأل عثمان من بمجلسه وكان أبو ذر حاضراً " أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فنمتعه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه ، فقال كعب لا بأس بذلك ، فرفع أبو ذر العصا فدفع بها صدر كعب ، وقال : يا ابن اليهودي ما أجراًك على القول في ديننا " (5).

فخرج أبو ذر بعدها إلى الشام ، وكان يفعل في الشام مثلما يفعل قي المدينة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد أعاب على معاوية الكثير من أفعاله وكان يقول : " والله لقد حدثت أعمال ما اعرفها ، والله ما هي

(1) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 156/2.

(2) البلاذري ، انساب البلاذري ، 170/5.

(3) سورة التوبة : الآية : 34 .

(4) البلاذري ، انساب البلاذري ، 170/5.

(5) المسعودي ، مروج الذهب ، 349/2.

في كتاب الله ولا سنة نبيه ، والله إنني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيى
وصادقاً يكذب ، وأثره بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه " (1).

فبعث إليه معاوية وقال : " بلغني أنك تطعن في أمير المؤمنين عثمان
وهو إمامك ، فقال هو طعن على نفسه 000 لكنك أول أصحاب رسول
الله اضرب عنقه ، قال : قاتلك الله يا معاوية تراقب عثمان ، ولا تراقب
الله ، ألا أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله فاسترخت عينا معاوية وإذناه
، وقال : حدثني ، قال : سمعت رسول الله يقول : " ويح أمتي من أعين
الأمي ، يراوح بين منكبيه ، يخرج بمن اتبعه من أهله حتى يوردهم نار
جهنم كأنك هو 000 " (2).

وكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ، لا أمن من
أن يفسدهم عليك ، فأن كان لك في القوم حاجة فأحمله إليك " (3)، وأن أبا
ذر ضيق علي (4).

فكتب عثمان إلى معاوية " أما بعد فاحمل جندباً إلي على أغلظ
مركب وأوعره " (5)، ففعل معاوية بكتاب عثمان " فحمله على بعير عليه
قرب يابس ، معه خمسة من الصقالبة ، يطيطون به ، حتى أتوا به المدينة ،
وقد انسلخت بواطن أفخاذه ، وكاد أن يتلف فليل له : أنك تموت من ذلك
فقال : هيهات لن أموت حتى انفى 000 " (6).

(1) البلاذري ، انساب الإشراف ، 172/5.

(2) العسكري ، الأوائل ، ص 132.

(3) المسعودي ، مروج الذهب ، 349/2.

(4) ابن الأثير ، الكامل ، 11/3.

(5) المسعودي ، مروج الذهب ، 349/2.

(6) ابن الأثير ، الكامل ، 11/3.

وجاءه عثمان بعد أيام وقال له : " قربنا يا أبا ذر خير لك من بعدنا يفدى عليك باللقاح ويراح ، فقال : لا حاجة لي في دنياكم " (1) ، وكأنها محاولة من محاولات الخليفة السابقة للرشوة ، فلما رفض نفاه عثمان إلى الربذة (2) .

فبعد وفاة عبد الرحمن بن عوف جاءوا بأموال كثيرة ، فقال : " أني لأرجوا لعبد الرحمن خيراً ، لأنه كان يتصدق ويقرى الضيف وترك ما ترون ، فقال كعب الأحبار : صدقت ، فقام أبو ذر وأخذ العصي فضرب بها رأس كعب ، وقال : أنا سمعت النبي ﷺ يقول : ما يسرني أموت وادع ما يزن قيراطاً " (3) .

فأمره عثمان أن يخرج من المدينة ومنعه من دخول مكة والشام والبصرة ، وقال عثمان : " أني مسيرك إلى الربذة ، قال : الله أكبر ، صدق رسول الله ، قال عثمان : وما قال لك : اخبرني أن أمئع من مكة والمدينة وأموت بالربذة " (4) ، فنفاه عثمان إلى الربذة (5) .

وذكر ابن كثير ان أبا ذر " وكان مختصاً بالنبي ، فقال : ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء ذي لهجة اصدق من أبي ذر ، كيف بك إذا أخرجت عن المدينة لقول الحق " (6) .

(1) البلاذري ، انساب الإشراف ، 172/5 .

(2) المسعودي ، مروج الذهب ، 350-349/2 .

(3) البلاذري ، انساب الإشراف ، 172/5 .

(4) أبي الفداء ، المختصر ، ص 166 ؛ ابن الشحنة ، الروض المناظر ، ص 109 .

(5) المسعودي ، مروج الذهب ، 350-349/2 .

(6) البداية والنهاية ، 157/7 .

أثارت سياسة عثمان الإدارية والمالية سخط عامة المسلمين في الكوفة والبصرة ومصر وغيرها ، وبدأ الناس ينكرون على عثمان أفعاله ، وبدأوا بالتكلم مع الخليفة ، وكان ممن رد على الخليفة عثمان عمار بن ياسر ، فقد أخذ الخليفة من بيت المال سफطاً فيه حلي وجوهر لبعض نسائه ، فإظهر الناس الطعن عليه ، فكلموه وأغضبوه ، فقال : " لنأخذ حاجتنا من هذا الفيء وان رغمت أنوف أقوام ، فقال عمار بن ياسر : " أشهد الله إن أنفي راغم من ذلك ، فقال عثمان : أعلي يا ابن المتكء تجترئ ؟ خذوه فأخذوه ، فدخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشي عليه ، ثم أخرج فحمل حتى أوتي به منزل أم سلمه زوج رسول الله فلم يصل الظهر والعصر والمغرب ، فلما أفاق توضأ وصلى ، وقال : الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا فيه في الله " (1) .

ويذكر ابن قتيبة أن عثمان ضربه بنفسه وقال : " 000اضربوه ، فضربوه وضربه عثمان معهم ، حتى فتقوا بطنه ، فغشي عليه ، فجروه حتى طرحوه على باب الدار ، فأمرت به أم سلمه فأدخل منزلها 000" (2) ، وقام عثمان فضربه حتى فتقه ، وكان لا يستمسك بوله 000" (3) .

فأستقبح المسلمون ما فعله بعمار ، وشاع بينهم فأشتد إنكارهم له وكان عمار ضعيفاً كبيراً (4) ، ولم يسكت عمار بعد ذلك بل أستمربالاعتراض على أفعال عثمان في الولايات والأمصار .

(1) البلائري ، انساب الإشراف ، 164/5-165.

(2) الإمامة والسياسة ، 51/1.

(3) العسكري ، الأوائل ، ص133.

(4) البلائري ، انساب الإشراف ، 166/5.

ولما بلغ عثمان أن أبا ذر انتقل إلى رحمة الله في الربذة قال : " رحمه الله ، فقال عمار بن ياسر : نعم فرحمه الله من كل أنفسنا ، فقال عثمان : 000 أتراني ندمت على تسييره ، وأمر بدفعه في قفاه ، وقال : الحق بمكانه 000 فقال له علي : اتق الله فأنتك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثم أنت تريد أن تنفي نظيره 000 وجرى بينهم كلام حتى قال عثمان : أنت أحق بالنفي منه ، فقال علي : رُم ذلك ان شئت واجتمع المهاجرون 000 كلما كلمك رجل نفيته ، فكف عن عمار 000" (1).

ويبدو إن عبد الرحمن بن عوف كان يشعر بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه من خلال اختيار عثمان للخلافة ، فكانت الدعوة الأشد ضد الخليفة صدرت منه ، حيث دعا إلى قتل عثمان وإلى الإسراع في قتله ، بعد ما فعله عثمان بالصحابي الجليل (أبي ذر) ، حيث ذكر البلاذري : " لما توفي أبو ذر بالربذة تذاكر علي وعبد الرحمن بن عوف فعل عثمان ، فقال علي : هذا عملك ، فقال عبد الرحمن : إذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي ، انه قد خالف ما أعطاني " (2).

وقبل أن يموت عبد الرحمن بن عوف ذكر عنده عثمان فقال : "عاجلوه قبل أن يستبد في ملكه ، فبلغ ذلك عثمان ، فبعث إلى بئر كان يسقى منها نعم عبد الرحمن بن عوف ، فمنعه إياها ، فقال عبد الرحمن : اللهم اجعل ماءها غوراً ، فما وجدت فيها قطره " (3).

(1) المصدر نفسه ، 174/5.

(2) البلاذري ، انساب الإشراف ، 177/5.

(3) المصدر نفسه.

وكذلك عندما ولى أقاربه على رقاب الناس ولم يلتزم بما وعد ، كلموا عبد الرحمن في ذلك فقالوا : " هذا كله فعلك ، فقال : لم أظن هذا به ، ولكن الله علي أن لا اكلمه أبداً ، ومات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، 000 ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه 000 أتى الحائط ولم يكلمه " (1).

وبنى عثمان عدة دور في المدينة ويقال سبعة (2)، قال أبو هلال العسكري : " بنى عثمان قصره طماراً أو الزوراء ، وصنع طعاماً ودعى الناس فحضروا فلما نظر عبد الرحمن إلى بنائه قال : يا ابن عفان قد صدقنا عليك ، ما كنا نكذب فيك ، وأني أستغفر الله من بيعتك ، فغضب عثمان ، وقال عبد الله بن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض ، فمرض عبد الرحمن فعاده عثمان فلم يكلمه حتى مات " (3)، يفهم من هذا النص اتهام عبد الرحمن بن عوف للخليفة بسرقة أموال المسلمين .

وأوصى عبد الرحمن بن عوف أن يصلي عليه الزبير أو سعد وان لا يصلي عليه عثمان بن عفان (4).

ووقفت عائشة ضد عثمان ودعت إلى قتله هي الأخرى وأنكرت عليه إبطاله الحدود ، وبرأته من رسول الله ودينه فعندما زجر عثمان الشهود الذين شهدوا على الوليد ، فأتوا عائشة فشكلوا لها ذلك ، فنادت عائشة : " أن عثمان أبطل الحدود ، وتوعد الشهود " (5).

(1) أبي الفدا ، المختصر ، 166/1.

(2) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، 50/1.

(3) الأوائل ، ص 129-130.

(4) البلاذري ، انساب الإشراف ، 178/5.

(5) البلاذري ، انساب الإشراف ، 139/5.

وذكر **اليعقوبي** " وكان بين عائشة وعثمان منافرة ، وذلك انه أنقصها ما كان يعطيها عمر بن الخطاب وسيرها اسوة غيرها من نساء رسول الله (1) ، إن موقف عائشة من عثمان كان وراءه سبب مباشر تمثل بمنع عثمان ما كان يعطيه عمر وأبو بكر من عطايا لزوجات النبي ، إذ يذكر الطبري أن عائشة جاءت عثمان فقالت : " أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر 000" (2) .

وأورد **الشيخ المفيد** حالة الخلاف والتوتر بقوله : " مر عثمان فنادته عائشة : يا غدر ! يا فجر ، أخفرت أمانتك ، وضيعت رعيته ، ولو لا الصلاة الخمس لمشى إليك الرجال حتى يذبوك " (3) ، ورد عثمان على ذلك بتلاوة : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (4) .

وعندما أمر عثمان بضرب عمار ابن ياسر ووطنه بنفسه حتى فتقه ، وحمل مغشياً عليه ، قالت عائشة : " أنك بريء من صاحب هذه الحجرات ، فقال : من لي بهذه الحميراء أنها لمن شر بيت من قريش ، فقال طلحة والزبير : كذبت ، قال : بل كذبتما ، قال : بل كذبت ، قال : بل صدقتما وكذبت في كلام هذا معناه " (5) .

(1) تاريخ اليعقوبي ، 163/2 .

(2) الطبري ، تاريخ الطبري ، 138/10 ..

(3) الجمل ، ص 188 .

(4) سورة التحريم : الآية : 66 .

(5) العسكري ، الأوائل ، ص 133 .

وعندما حصر عثمان ذهب مروان إلى عائشة وكلمها ، وقال لها : " يا أم المؤمنين لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل والناس ، قالت : قد فرغت من جهازي وأنا أريد الحج ، فقال : يدفع اليك بكل درهم أنفقتيه درهمين ، قالت : لعلك ترى أنني في شك من صاحبك ، أما والله لو ددت انه مقطع في غرارة من غرائري ، أنني أطيق حمله ، فأطرحه في البحر "(1).

وكان عثمان يخطب يوماً فدلّت عائشة قميص رسول الله ونادت : " يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبيل وقد ابلي عثمان سنته ، فقال عثمان : رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم "(2).

وأورد البلاذري رواية تؤكد موقف عائشة بقوله : " وأتى مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد عائشة وهي تريد الحج فقالا : لو أقمت لعل الله يدفع بك عن هذا الرجل ، فقالت : قد قربت ركابي وأوجبت الحج على نفسي و والله لا افعل فنهض مروان ، وصاحبه ، ومروان يقول :

وَحَرَّقَ "قيس" (3)، علي البلاد حتى إذا اضطرمت أجذماً (4)

مما يدل على إن عائشة كانت من الداعين إلى الوقوف ضد الخليفة والمتسببة بقتله بدلالة هذا البيت من الشعر.

(1) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 163/2.

(2) م . ن . سورة يوسف : الآية 105

(3) وقيس الذي يراد به وهو قيس بن زهير العبسي الذي أثار حرب داحس والغبراء ، ثم ترك الحرب وصار إلى عمان بعد احتياج الشر ، للمزيد ، ينظر : البلاذري ، انساب الإشراف ، ج 5 ، ص 205 .

(4) انساب الإشراف 205/5.

وأورد البخاري أن أشد الناس على عثمان " عائشة 000 وتكلمت عائشة في أمره وأطلعت شعره من شعر رسول الله ، ونعله وثيابه وقالت : ما أسرع ما تركتم نبيكم ، فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال ، وغضب حتى ما كاد يدري ما يقوله ، فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ، وهو يريد أن يحقق طعن الناس على عثمان "(1).

ومر ابن عباس بعائشة وقد ولاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقهما ، فقالت عائشة : " يا ابن عباس إن الله قد أتاك عقلاً وفهماً وبياناً ، فإياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية "(2).

(1) البدء والتاريخ ، 218/2.

(2) البلاذري ، انساب الإشراف ، 206/5.

المبحث الرابع: الثورة على عثمان بن عفان ومقتله

معلوم إن عثمان بن عفان حينما ولي الخلافة سار على خلاف سنة الرسول ﷺ وسيرة الشيخين، ونقض العهد الذي عاهده عليه بدار عبد الرحمن بن عوف في مجلس الشورى حين بايع على كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وسيرة الشيخين، وأن لا يسلط بني أمية على رقاب المسلمين⁽¹⁾.

ولكن حينما استتب له الأمر خالف العهد، وتعلمون بأن نقض العهد من كبائر الذنوب، والقرآن الحكيم يصرح بذلك. قال تعالى: (.... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)⁽²⁾. وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ تَقُولُوا أَنَّا إِنَّا لَنَفْعَلُوكَ كَبِيرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)⁽³⁾.

بعد ان تجمعت الآراء في الامصار لمواجهة عثمان بما كان يدور في تلك الامصار ، توجهت الوفود من الكوفة والبصرة ومصر الى المدينة لمواجهة عثمان وطرح مشاكل الامصار ، وقد سبق هذا الحدث أن ارسل أهل الكوفة عامر بن عبد الله التميمي ، فدخل على عثمان وقال له: أن ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت اموراً عظاماً، فأثق الله عز وجل، وتب اليه، وأنزع عنها، فقال عثمان: أنظروا الى هذا ، فإن الناس يزعمون انه قارىء، ثم هو يجيء فيكلمني في المحقرات، فو الله ما يدري اين الله، قال عامر: انا لا ادري اين الله؟ قال: نعم، والله ما تدري اين الله، قال عامر: بلى والله اني لا ادري ، ان الله بالمرصاد لك⁽⁴⁾.

كان عثمان في تصرفه هذا ينسى أن الاسلام أخذ مأخذاً في صدور الناس وأوغل في صدور أكثرهم.

أن الكوفة كانت مضطربة الحال ، فهي متعددة الالهواء، فكان لعثمان فيها شيعة ولعلي شيعة ولطلحة شيعة، لكن الامر الذي جالت حوله تلك الالهواء

⁽¹⁾ والمسعودي، مروج، 435/1.

⁽²⁾ سورة الاسراء، الآية 34.

⁽³⁾ سورة، الصف الآية 2-3.

⁽⁴⁾ المغلوث، أطلس الخليفة عثمان ص 238.

هو التخلص من الخليفة وبأي شكل كان ، فلربما كان القتل من الاهداف البعيده لذلك الرحيل ، حتى وان سبقه قتل الخليفة عمر بن الخطاب، لكن ذلك القتل تم على يد مجوسي لم يدخل الاسلام قلبه، وكان يحمل بين جوانبه كثيراً من الهموم لعل اقلها أنه اسير في أرض العرب ، وأشدها ان الاسلام غير ذلك المذهب الذي كان يدين به وأطفاً الى الابد النار المجوسية في ارض فارس بلده واهله.

اراد عمرو بن حريث وهو من يخلف سعيد بن العاص بولاية الكوفة أن يطفأ الفتنة فصعد المنبر وذكر الله وحمده وقال {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا }⁽¹⁾، بعد ان كنتم على شفا حفرة من النار فاخرجكم منها ، فلا تعودوا في شر قد استنقذكم الله منه ، ابعده الاسلام وهديه وسنته لا تعرفون حقاً وتصيبون بابه.

لكن طرد سعيد كان حجة ، ولما تكلم مولى لهم كان على بعير قد حسر ، فقال ما لم يطابق رأيهم في إعادة سعيد ومنعه من دخول الكوفة، قتله الاشر.

وقد أراد عثمان بخلع سعيد وتنصيب ابي موسى الاشعري⁽²⁾ أن تهدأ الفتنة ولا يكون بعد ذلك لأحد عذر، وكتب اليهم: أما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم ولأعفيتكم من سعيد ، ووالله لاقرضنكم عرضي ولا بذلن لكم صبري ولأستصلحنكم بجهدي، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصي الله فيه ألا سألتهموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصي الله فيه ألا أستعفيتم منه، أنزل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون عليكم على الله حجة كما أمرنا حتى تبلغوا ما تريدون، واقام ابو موسى فتكلم في الكوفة فقال: أيها الناس لا تنفروا في مثل هذا ولا تعودوا لمثله، الزموا جماعتكم الطاعة واياكم والعجلة ، فأجابوه الى ذلك وقالوا: فصلبنا، قال لا، ألا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان، قالوا: السمع والطاعة لعثمان⁽³⁾.

⁽¹⁾سورة آل عمران، الآية 103.

⁽²⁾هو عبدالله بن قيسمن الاشعريين باليمن،وقدم على رسول الله(ص) بالاشعريين فأسلم وا،وأول مشاهده خيبر.أنظر:ابن قتيبة،المعارف،ص1511.

⁽³⁾الطبري،تاريخ،326/5.

ويلاحظ في هذه المحاروة التي دارت بين عمرو بن حريث وأهل الكوفة وبين الاشعري وأهل الكوفة ، أن الخليفة عثمان بن عفان كان من الحريصين على إنهاء هذه الازمة ، وكان سهل التفاعل مع مطالب المعارضين ، لكنه لم يعالج الفعل الاكبر الذي كان يدور في أروقة الخلافة ، وهو وجود من يدير عقلية الحكم بالخفاء ، وكان ذلك من أحسن الامور ، أن الذي يخطط كان ينبغي ان يسير بالقافلة الى بر الامان ، ويبدوا أن بر الامان كان يبعد اكثر واكثر بفعل سوء الذين غفلوا أن المعارضين بحكم الزمن وزيادة الاغلاط سيزداد عددهم وتوسع الرقعة التي يتحركون فيها، ولذا فالمعالجات الفورية هي معالجة لا تصل الى عمق المشكلة التي أحدثتها افعال المحيطين بعثمان وزادت من حجمها المعارضة، ولربما الولاء لغير عثمان ، وهكذا كانت الكوفة لا تقف مع أحد ، ولربما ينسحب الرجال الذين افتعلوا تلك الازمات في فورة المد الشعبي ، فتذكير عمرو بن حريث الناس بنعمة الله ، وان الله سبحانه وتعالى قد جمعهم بحكمة منه، وهم قرييون من صدر الرسالة، هذا التذكير هو محاولة العودة الى ما حدث من شرخ في مقتل الخليفة عمر والشورى وما رافقها من احداث، كما ان الاشعري لم يطاوعهم في مساعهم الا بعد أخذ الطاعة والولاء لعثمان⁽¹⁾.

كان عثمان قد ولى سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة ، وكان ذلك في السنة التاسعة من خلافة عثمان ، وكان وفود سعيد على عثمان في السنة الحادية عشر من خلافة عثمان.

وقد خلت الكوفة من الرؤساء وخرجوا الى الامصار الاسلاميه لتأدية واجباتهم الجهادية فقد خرج الاشعث بن قيس الى اذربيجان، وسعيد بن قيس بن زيد الى الري، والسائب بن الاقرع الى اصفهان، والنسير بن ديسم العجلي الى همدان، ومالك بن حبيب الى ديزفول، وسلمان بن ربيعة الى دربند، وعتيبه بن النهاس الى حلوان، والققعاع بن عمرو التميمي ، جعله المسلمون على الحرب⁽²⁾.

¹عبدالكريم، سلمان، الثورة على عثمان دراسة في الأسباب والدوافع، بيروت، دار الأمل، 1998، ص45.
²(البلاذري، أنساب، 151/6؛ الطبري، تاريخ، 112/3؛ المسعودي، مروج، 346/2).

أن عزل الخليفة عثمان لواليه سعيد بن العاص ، جعل المعارضين يغيرون خططهم في الوصول الى المدينة بعد ان أسقطت من ايديهم فكرة عزل سعيد ومعالجة عثمان السريعة لها⁽¹⁾.

كان موقف الولاة موقفاً متباين الاطراف والحلول ، ولذا فعند انتهاء اجتماع عثمان بعماله، قال معاوية لعثمان : أخرج معي الى الشام قبل ان يهجم عليك مالا قبل به، فقال عثمان : لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وأن كان فيه قطع خيط عنقي⁽²⁾.

ان الدلاله التي نستشفها في دعوة معاوية للخليفة عثمان بالذهاب معه الى الشام تتم عن مدى قوة حركة المعارضه وسطوتها في تحقيق هدفها الذي أصبح غير خاف عن الجميع، أضافه لما في نفس معاوية من أمر.

أن وجود الامراء قرب الخليفه قد أخر خروج المعارضين الى المدينه ، ولما علموا أن عمال عثمان خرجوا أزمعوا الى التراسل فيما بينهم والخروج الى المدينه بموعد محدد، مع وجود من يزيد من وقود تلك الفتنة ناراً، فقد كان في مصر محمد بن ابي بكر ومحمد بن ابي حذيفة ، وكانا يحرضان الناس على عثمان⁽³⁾.

خرج من مصر عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة، وزاد بعضهم الى الالف وفيهم ، كنانه بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني، وقتيره بن فلان السكوني وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العكي.

وخرج اهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي والاشتر النخعي وزباد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الاصم العامري، وعددهم بعدد أهل مصر وعليهم جميعاً عمرو بن الاصم.

⁽¹⁾ عبد الكريم، الثورة على عثمان، ص 65.

⁽²⁾ الطبري، تاريخ، 3/176.

⁽³⁾ عبد الكريم، الثورة على عثمان، ص 188.

وخرج أهل البصرة وعليهم حكيم بن جبلة العبدي وذريح بن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش وهم بعداد أهل مصر وأميرهم حرقوص بن زهير السعدي⁽¹⁾.

خرجوا بحجة انهم يريدون العمرة، وكان خروجهم في شوال ، فلما كانوا من المدينة على ثلاث ، تقدم ناس من البصرة فنزلوا " ذا خشب"، وكان هواهم في طلحة، وتقدم ناس من أهل الكوفة ، وكان هواهم في الزبير ، ونزلوا " الاعوص "، وجاءهم ناس من مصر وكان هواهم في علي، ونزلوا عامتهم في "بذي مره"⁽²⁾.

ومن خلال الاتصال المباشر بين الاطراف المعارضة ، فقد اختار الاطراف رجلين، زياد بن النضر و عبد الله بن الاصم ، وأبلغا الناس أنهما سيدخلان المدينة ويرتادان منها، ويعرفا ما يدور ،فلما دخلا لم يجدوا شىء فلقيا طلحة والزبير وعلي وبعض أزواج النبي ﷺ ، وقالوا : انما نريد هذا البيت ونستعفي من بعض عمالنا،فابي الجميع عليهم، ولم يقبلوا ما أرادوا، فرجعوا الى أصحابهم وأبلغاهم ما حصل .

أن الرد الذي حصل عليه الرجلان كان من الشدة على الجميع في نقل نوعية العمل الى مفردة جديدة تلبي طموح الجميع، فاتفقوا على أن يذهب كل جمع الى صاحبه، فذهب المصريون الى علي ، وكان علي في عسكر عند أحجار الزيت، متقلد سيفه ، وقد أرسل أبنه الحسن الى عثمان فيمن أجمع اليه فسلموا عليه، وعرضوا عليه، فصاح بهـــــــــــــــم وطردهم ، وقال: لقد علم

الصالحون أن جيش ذي المروة ،وجيش ذي خشب، والاعوص ملعونون
على لسان محمد، فانصرفوا عنه.

وكان موقف طلحة مع أهل البصرة مثل موقف علي ،وقد أرسل ابنه الى عثمان، كما كان موقف الزبير مع أهل الكوفة وقد أرسل ولده عبد الله الى عثمان.

⁽¹⁾ أنظر خبر خروج أهل الأمصار عند: البلاذري، أنساب، 6/173-189.

⁽²⁾ البلاذري، أنساب، 6/176.

هذه المواقف الثابتة من علي وطلحة والزبير تعد عن الولاء للكيان الاسلامي المتمثل بعثمان ، رغم ان الاهواء لتلك الفئة المعارضة والتي لم تتفق على من يترأسه في النهاية ، هذا الموقف كان يرسم الصورة القاتمة للغد غير البعيد للخلافة الراشدة وأستمرارها.

تفرق المعارضون الى عسكرهم ، وتفرق أهل المدينة على أن يعودوا بعد أن يذهب المعارضون، فلما تفرق أهل المدينة ، لم يشعروا إلا والتكبير في نواحي المدينة، ونزلوها وأحاطوا بعثمان، وقالوا: من كف يده فهو آمن⁽¹⁾، وصلى عثمان بالناس أياماً، وأتاهم أهل المدينة وفيهم علي فقال: ما ردكم بعد ذهابكم ؟ قالوا : أخذنا مع بريد كتاب بقتلنا⁽²⁾، وأتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عودتهم فقالوا مثل ذلك، وأتى الزبير البصريين فقالوا مثل ذلك، وكل منهم بقول : نحن نمنع أخواننا وننصرهم ، فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل حتى رجعت علينا؟ هذا والله أمر أبرم بليل! فقالوا ضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزل عنا .

كتب عثمان الى الامصار يستنجدهم ، ويأمرهم بالحث فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمر، كما قامت جماعة أخرى في مصر والكوفة والبصرة تدعو الى اللحاق بالجماعة في المدينة⁽³⁾.

خرج الأمر كما يبدو من قدرة الخليفة على مواجهة الاحداث في المدينة ، فكان استدعاء الآخرين لنجدته هي دلالة على المواجهة محتملة الوقوع بالشكل الذي لا يتصوره المحيطون بعثمان بقدر ما عرفه الخليفة نفسه.

أن المسلمين كانوا يدركون عمق المشكلة ، لكن هذه المشكله لا يدفعها إلا الخليفة، فقد سبق وأبلغ الخليفة بكتبهم ولقائهم به بصورة مباشرة، ولعل الكتاب الذي بعثه، يزيد بن قيس الارحبي ومالك بن حبيب اليربوعي وحجر بن عدي

⁽¹⁾ ابن الاثير، الكامل في/261.

⁽²⁾ المسعودي، مروج 380/2.

⁽³⁾ البلاذري، أنساب، 6/188-189.

الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي⁽¹⁾ وزيايد بن حفيظة التميمي وعبد الله بن الطفيل البكائي وزيايد بن النصر الحارثي وكرام بن الحضرمي المالكي ومعقل بن قيس الرياحي وزيد بن حصن السنبسي وسليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبه الفزاري⁽²⁾، ورجال من قرى الكوفة ورؤسائها وفيه: لعبد الله عثمان بن عفان، من الملاء من المسلمين من أهل الكوفة سلام عليكم ، أما بعد فأنا كتبنا اليك هذا الكتاب نصيحة لك وأعتذاراً وشفقة على هذه الأمة من الفرقة، وقد خشينا أن تكون قد خلقت لها فتنة، وأن لك ناصراً ظالماً وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم أختلفت الكلمتان وتباين الفريقان، يا عثمان فأثق بالله والزم سنة الصالحين، من قبلك، وأنزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا ، وقسم فينا بين أشرارنا والإستبدال عنا ، وأتخاذك بطانة من الطلقاء وابناء الطلقاء دوننا ، فأنت اميرنا

ما أطعت الله وأتبعته ما في كتابه، وأنبت اليه وأحييت أهله ، وجانبت الشر وأهله ، وكنت للضعفاء ، ورددت ما نفيت منا، وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء ، فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك، وقد بقي ما عليك من الحق ، فإن ثبت من هذه الافاعيل نكون لك على الحق أنصاراً وأعواناً ، وألا فلا تلوم نفسك فأنا لن نصالحك على البدعة وترك السنة، ولن نجد عند الله عذراً أن تركنا أمره لطاعتك ، ولن نعصي الله فيما يرضيك، هو أعز من أنفسنا وأجل من ذلك ، نشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً، ونستعينه وكفى بالله ظهيراً، راجع الله بك الى طاعته ، يعصمك بتقواه من معصيته ، والسلام⁽³⁾.

ومن هذه الرسالة التي أرسلها أهل الكوفة يتضح لنا ما وصلت اليه سدة الخلافة من تناقضات كبيرة، وأن المسلمين في الكوفة والأمصاير الأخرى كانوا يعرفون كل صغيرة وكبيرة تدور في المدينة، فهم يحذرون الخليفة من أبناء الطلقاء وما يفعلونه في أمور الخلافة ، فالمغزى معروف مسبقاً ، لكن الخليفة بلينه يتجاهل ذلك ، وربما بطيبة قلبه كان ينظر الى الامور بعين

⁽¹⁾ بايع رسول الله في حجة الوداع، سكن الكوفة، ساهم في الثورة على عثمان، طلبه معاوية فهرب ودخل غار، لدغته حية فمات، وحمل رأسه الى معاوية وهو أول رأس يحمل في الاسلام: أنظر: ابن قتيبة، المعارف، ص 166.

⁽²⁾ تابعي، ثار للطلب بدم الحسين، قتل في عين الوردة. أنظر: الزركلي، الاعلام، 168/3.

⁽³⁾ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 390/2.

قصيرة البعد، على الرغم من كونه يتابع عماله ويسألهم عن المسلمين في الامصار⁽¹⁾.

لما خرج المصريون الى المدينة ، خرج عبد الله بن سعد وراءهم ، فلما وصل الى أيله بلغه ان المصريين رجعوا الى عثمان فحاصروه، وأن محمد بن حذيفة غلب على مصر واستجابوا له، فعاد عبد الله الى مصر فمنع عنها، فأتى فلسطين وأقام بها حتى قتل عثمان⁽²⁾.

وخرجت مصر من طوع عثمان وذهب واليها الى فلسطين ، وقد بدأت هنا المواجهه التي لا يريد لها عثمان أن تقع.

ولما أدرك عثمان أن المواجهة واقعة ذهب الى دار علي بن ابي طالب ودخل بيته وقال له: يا ابن عم ، أن قرابتي قريبة ولي عليك حق عظيم ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي، ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك، وأحب أن تركب اليهم فتردهم عني، فأن في دخولهم على توهيناً لامري، وجرأة على! فقال علي: على أي شيء اردتهم عنك؟ قال: على أن أصير الى ما أشرت اليه ورأيت لي ، فقال علي: اني قد كلمتك مرة بعد اخرى فكل ذلك تخرج وتقول ثم ترجع عنه، وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتني، قال عثمان: فأنا أعصيه وأطيعك⁽³⁾.

وتتوضح الصورة القاتمة التي وصل اليها الأمر ، فأستتجاد الخليفة بعلي هو المخرج الاخير الذي لا يريد عثمان إلا مجبراً.

بل أن عثمان كان يجد مرارة في لقاء علي بن أبي طالب، وأنه يعرف ان بني أمية يكرهون علي.

كما أن علي يبادلهم الشعور نفسه، ويعرف أنهم لا يريدون أن يكون له فسحة ليكون له صوت يسمع.

مادار بين علي وعثمان يجسد نوعية العلاقة المتوترة والمتشنجة التي تأخذ المد والجزر بين الرجلين، فعثمان ينظر بريبه الى علي ، ويظنه في دفع

⁽¹⁾ الشيباني، هادي سلمان، أخطاء الخليفة عثمان، قم، شريعت، 1429هـ، ص65.

⁽²⁾ ابن الاثير، الكامل، 283/3.

⁽³⁾ البلاذري، أنساب، 179/6.

عماله وتجيشهم لعثمان أن علي جزء مما يدور في المدينة، لكن عثمان عندما تطبق عليه الامور وتزداد حماسة الثوار يأخذ بالبحث عن مخرج ، والى أين ، فأما ان يتجه الى عماله ، وقد شبع نصحاً ، وكثر اللغط ولم يعد نصحهم ينفع شيئاً، أو يلوذ بعلي ، والذي يعده جزء من المشكلة ولربما كل المشكلة.

لذا ركب علي ومعه رجال من المهاجرين والانصار ، أتوا المصريين فكلموهم، وكان الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة، فسمعوا مقالتها ورجعوا الى مصر، فقال ابن عديس لمحمد بن سلمة : أتوصينا بحاجة؟ قال: نعم، تتقي الله وترد من قبلك عن أمامهم فإنه قد وعدنا أن يرجع وينزع، قال بن عديس : أفعل أن شاء الله، ورجع علي ومن معه الى المدينة، فدخل على عثمان ، فأخبره برجوعهم (1).

لربما لو سارت الأمور كما خطط لها بعد أن اقنع علي المصريين بالرجوع لكان هناك شأن آخر للدولة العربية الاسلامية وللخليفة بصورة خاصة، لكن الامور غير الظاهرة تطفح بصورة مفاجئة بين سطور كل اتفاق ، بفعل ما يثيره بطانة عثمان ، والذين يريدون أن تكون كلمتهم هي السائدة والمتنفذة في العلاقة المتوترة بين الخليفة وبين الثوار، ولم يجد الخليفة الا جرأة بسيطة من عمر بن العاص ، وعندما رأى عمر بن العاص أن الكلام لا ينفع ترك المدينة واتجه الى فلسطين (2).

دخل مروان على عثمان بعد أن ترك علي الخليفة ورجوع المصريين، وقال له: تكلم وأعلم الناس ان أهل مصر رجعوا، وأن ما بلغهم من أمامهم باطلاً، ففعل عثمان ، وركب المنير وخطب بالناس، فقال له عمر بن العاص: أتق الله يا عثمان ، فأنت قد ركبت أموراً وركبناها معك ، فتب الى الله نتب، فناداه عثمان: وأنظر هنالك يا ابن النابغة! قملت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل! فنودي من ناحية أخرى : تب الى الله، فرفع يديه وقال : اللهم أني أول تائب ، ورجع الى منزله.

(1) ابن الاثير، الكامل، 3 / 288.

(2) الدمياطي، منصور، لحظات حاسمة في التاريخ الاسلامي، القاهرة، دار العرب، 1977، ص76.

كان عثمان يعتقد أن الامر انتهى عند هذا الحد من التنازع بينه وبين الثوار، لكنه كان يأخذ ما يملئ عليه حتى ولو بعد حين فيغير رأيه، ويفعل عكس ما أراد أو يريد.

عند داره وجد مروان وسعيد ونفر من بني أمية ، وأراد مروان أن يتكلم ، فردته نائلة زوجة عثمان، ودار بين نائلة وعثمان سجال ، لم ينتهي الا بأمر من عثمان.

قال مروان للخليفة: انك لو شئت تقربت بالتوبة، ولم تقر بالخطيئة، وقد اجتمع عند الباب أمثال الجبال من الناس، فقال عثمان لمروان : أخرج اليهم فكلمهم فأني والله أستحي أن أكلهم، فخرج مروان فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب؟ شأهت الوجوه! الا ما أريد، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ! اخرجوا عنا⁽¹⁾.

وأخبر عليَ بمقالة مروان فدخل على عثمان وقال له: أما رضيت من مروان ولا رضي منك، الا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الطعينة، يقاد حيث يسار به؟ والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه! وأيم والله أنب لاراه يوردك ولا يصدرك !وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغلبت على رأيك⁽²⁾.

وتدخل نائلة زوجة عثمان ، وتلوم عثمان على سماع كلام مروان، فيقول لها ، فما أصنع، فقالت : تتقي الله وتتبع سنة صاحبيك.

بهذه الصورة المفزعة كان عثمان يبحث عن الحل الذي فقده بوجود مروان الى جانبه، لا يقدم له الا ما يوتر العلاقة بين الخليفة وبين الناس الذين جاءوا اليه، وهم محملين برزايا عمال عثمان وتصرفات الخليفة التي لم يقبلوها منه في كل أحوالها ، لأن الطرف المستفيد من تلك الأفعال هم البطانة التي تبغي الحصول على أكبر قسط من المال والسلطة لا شباع رغباتها بالتسلط على الناس.

⁽¹⁾ ابن الأثير، الكامل، 288/3.
⁽²⁾ المصدر نفسه.

وكان عثمان قد جاء دار علي وقال له: أن طلحة يألب الناس حولي، وكان الناس في دار طلحة فقام علي إلى بيت المال فلم يجد المفاتيح فكسره، ووزع المال على الناس فتفرقوا، وسر بذلك عثمان، وجاء طلحة ودخل على عثمان وقال له: أردت أمراً فحال الله بيني وبينه! فقال عثمان: والله ما جئت تائباً، ولكن جئت مغلوباً، حسبك الله يا طلحة⁽¹⁾.

لقد شجع الثوار حتى أقرب الناس إلى عثمان بالتمرد ومحاولة كسب الوقت والسير بركب الثوار وافكارهم، وقد تهافت النار المستعرة بين الحين والآخر، لكن جذوتها ترتفع بفعل ما يدور من حاشية الخليفة، الذين كانوا ينظرون إلى الخلافة أنها ملك لبني أمية، غير متناسين أن رسول الله (ع) قد رأى ذلك، فقد قال رسول الله (ع): رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيتملكونها فتجدونهم أرباب سوء، وأهتم رسول الله (ع) لذلك⁽²⁾، فانزل الله سبحانه وتعالى {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} ⁽³⁾.

وكان أول من تجرأ على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدي، مر به عثمان وهو في نادي قومه وببيده جامعة، فسلم فرد القوم، فقال جبلة: لم تردون على رجل فعل كذا وكذا؟ ثم قال لعثمان: والله لا طرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة: مروان وأبن سعد وأبن عامر، منهم من نزل القرآن بذمة وأباح رسول الله (ع) دمه، فأجترأ الناس عليه، وقد تقدم قول عمرو بن العاص بذلك، وخطب يوماً وببيده عصا كان النبي (ع) وأبو بكر وعمر يخطبون عليها، فأخذها جهجاء الغفاري وكسرها على ركبته⁽⁴⁾.

وقيل أنجمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم كتبوا إلى الافاق: أن أردتم الجهاد فهلموا إليه، فأن دين محمد قد افسده خليفتم فاقيموه فأختلف قلوب الناس، وجاء المصريون كما ذكرنا، وعندما عادوا بعد لقاء علي بهم، فلما رجعوا انطلق اليهم محمد بن مسلمة فسألهم عن سبب عودتهم، فأخرجوا صحيفة في انبوبة رصاص وقالوا: وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من أبل الصدقة، ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة، يأمر فيها بجلد عبد

⁽¹⁾ البلاذري، أنساب، 6/180-180.

⁽²⁾ السيوطي، الدر المنثور، 4/211.

⁽³⁾ سورة الاسراء، الآية 60.

⁽⁴⁾ البلاذري، أنساب، 6/199-200.

الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروه بن البياح ، وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم، وقد أخذت الصحيفة من أبي الاعور السلمي، ولما رأوه سألوه عن مسيرة وهل معه كتاب، فقال: لا ، فسألوه في أي شيء هو، فتغير كلامه ، فأنكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه ، وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون، فلما عاد أهل مصر أخبروا بذلك محمد بن مسلمة وقالوا له: قد كلمنا علياً ووعد أن يكلمه، وكلمنا سعد بن أبي وقاص وزيد بن سعيد فقالوا لا ندخل فـي أمركم، وقالوا لمحمد بن سلمة ليحضر مع علي الظهر عند عثمان⁽¹⁾.

لو ناقشنا ما ورد في هذه الرواية سنجد أن هناك مفارقات كثيرة حصلت فيه، ومن باب الإيجاز وليس الإطالة نقول ، هل يصح لعثمان أن يكتب إلى عبد الله بن سعد هذا الكتاب، وهو الذي أشار إلى تولي محمد بن أبي بكر عمالة مصر.... وهل وصل الأمر بالخليفة أن يكذب ، أننا نشك بالأمر هذا ، فعثمان ليس رجلاً عادياً حتى يوصل الأمر إلى الكذب على الثوار ، لكن الأمر كما أشار علي بن أبي طالب في مواجهاته الكلامية مع عثمان أن هناك يد تعمل لمصلحتها، وهي قد لا تدرك حجم القضية التي يسير فيها ركب الخلافة .

والأمر الآخر كيف وصلت الأخبار إلى كل فصائل الثوار وهم في طرق شتى، وكيف رجعوا في وقت واحد إلى المدينة.

أما رد أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم وأن يصلب بعضهم ، فلما أتوا عثمان قالوا: هذا غلامك؟ قال: غلامي أنطلق بغير علمي، قالوا : جملك؟ قال: أخذه من الدار بغير أمري ، قالوا: خاتمك؟ قال : نقش عليه⁽²⁾.

دخل علي ومحمد بن سلمة على عثمان ، وكان الرجلان هما الدليل نحو الانفراج ، وقد لعبا دوراً متميزاً في الذود عن عثمان ورد الثوار ، لكن أمر الكتاب مع أبو الاعور السلمي أفسد كل شيء ، ووضع الخليفة تحت المساءلة

⁽¹⁾ ابن الأثير، الكامل، 289/3.

⁽²⁾ الطبري، تاريخ، 249/4.

كان مروان عند الخليفة عند دخول علي ومحمد بن سلمة ،وقد أستأذن المصريين ، وأراد مروان أن يتكلم فأسكتته الخليفة، وقال له: أسكت فض الله فاك! ما أنت وهذا الامر؟ أخرج عني ، فخرج مروان.

ودار كلام بين علي وعثمان والمصريين حضور فيه ،وقد دخلوا ولم يسلموا عليه بالخلافة، فعرف الشر فيهم، وعندما سأله علي بن طالب عن الكتاب انكر ذلك ، فقال له المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا ادري ،فقالوا:فيتجراً عليك، ويبيعت غلامك وجمل من الصدقة، وينقش على خاتمك، ويبيعت الى عاملك بهذه الامور العظيمة وأنت لا تعلم؟ قال: نعم، قالوا: ما أنت الا صادق أو كاذب، وسالة علي بن أبي طالب ، من تتهم، قال: أتهمك وأتهم كاتبني، قال علي : بل هو فعلك وأمرك⁽¹⁾.

وكان اصرار المصريين على خلع عثمان أو قتله، وقد أصر عثمان على عدم التنازل من الخلافة، وأن القتل أهون عليه من ذلك ، وأنه لم يأمر أحد بقتال المصريين كما أنه أجزم أن من يقاتلهم فهو بغير أمره، وقد أشد اللغط فخرج علي وخرج المصريون ، وبدأ حصار عثمان في داره⁽²⁾.

وكتب عثمان الى الامصار فخرج يزيد بن أسد القسري جد خالد القسري من الشام وتبعه خلق كثير، فلما كانوا في وادي القرى بلغهم مقتل عثمان فرجعوا وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي فلما كان في الربذه بلغه مقتل عثمان فرجعوا.

لم يكن بيد الخليفة شيء الا العودة لعلي بن أبي طالب لحمايته، فارسل عليه ، وكان الأمر أن يأخذ له ثلاثاً حتى يستطيع ان يرد الحقوق والمظالم،ومضت الايام الثلاث ولم يحصل شيء ، وتجمع المصريون حول الدار، فلم يكن من عثمان الا ان يطلب علي وطلحة والزبير، واشرف على الناس من داره وخاطب اهل المدينة واستودعهم الله⁽³⁾.

سكن عثمان ولزم داره، والناس من حوله، ومرّ طلحة فقال أين ابن عديس؟ فقام اليه فناجاه، ثم رجع ابن عديس وقال لاصحابه: لا تتركوا أحد يدخل على

⁽¹⁾ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 413/2.

⁽²⁾ البلاذري، أنساب، 184/6.

⁽³⁾ البلاذري، أنساب، 181-180/6.

عثمان او يخرج منه،وقد علم عثمان بالامر فقال: اللهم اكفني طلحة فإنه حمل علي هؤلاء وألبهم علي! والله اني لارجو ان يكون منها صفراً وان يسفك دمه ، وقام المصريون فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من ابناء الصحابة ، فزجرهم عثمان ، ورمى كثير بن الصلت الكندي نيار بن عياض بسهم فقتله، فقالوا له ادفع الينا قاتل نيار فأمتنع،ثم قاموا باحراق الباب والسقيفة التي عليها،وعثمان مشغول بقراءة القرآن،وقاتل المدافعون عن عثمان ، وخرج مروان يقاتل ، فبرز اليه رجل من بني ليث يدعى النباع فضربه مروان وضرب هو مروان على رقبتة فقطع احد علياويه⁽¹⁾.

واقترح الناس الدار من الدور التي حولها،ومن دار عمرو بن حزم الى دار عثمان حتى ملؤوها ، ولا يشعر من بالباب، وغلب الناس على عثمان وندبوا من يقتله ، فندب اليه رجلاً ، فأمتنع وآخر فأمتنع ايضاً ، وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله، ووعد الناس : لا تسلوا سيوف فيكم، فوالله أن

سللتموه لا تغمدوه! ويلكم! أن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة، فإن قتلتموه لا يقوم الا بالسيف ، ويلكم! ان مدينتكم محفوفة بالملائكة ، فإن قتلتموه ليتركنها، فقالوا: يا ابن اليهودية ما أنت وهذا! فرجع عنهم⁽²⁾.

كان عبد الله بن سلام صائباً وقد قرأ المستقبل للقوم ، وهذا ما حدث، فالقوم أعترتهم حالة الغضب ، كمن اراد ان يقطف ورقة فتهور حتى قطع الشجرة، تلك الغضبة العارمة لم تجد ما يوقفها ، الا موقف علي بن ابي طالب ، ولم تجد تلك النعرة من يقودها في سلام لتحقق ما تريد فأصبح السيف هو الحكم بين عثمان والثوار، في اللحظة التي ضرب سهم كثير صدر نيار بن عياض

كان آخر ما دخل على عثمان محمد بن أبي بكر، فأخذ محمد بلحية عثمان، وقال: اخزأك الله يا نعتل⁽³⁾.

اصبح الخليفة في تلك اللحظة نعتل ، كما كانت تقول عائشة عند ذكر عثمان.

⁽¹⁾ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 234/2.

⁽²⁾ ابن الاثير، الكامل، 298/4.

⁽³⁾ نعتل كان رجل من مصرطويلا للحية يشبه عثمان.

دخل محمد بن أبي بكر على عثمان ، فقال له عثمان: ويحك! أعلى الله تغضب! هل لي اليك جرم الا اني أخذت حق الله منك؟ فأخذ محمد بلحيته، وقال: اخزأك الله يا نعتل! قال لست بنعتل، لكني عثمان وامير المؤمنين، فقال: ما اغنى عنك معاوية وفلان وفلان! فقال عثمان: يا ابن اخي ، دعها من يدك، فما كان ابوك ليقبض عليها، فقال: لو عملت ما عملت في حياة ابي لقبض عليها، والذي اريد بك أشد من قبضي عليها، فقال: استتصر الله عليك واستعين به، فتركه وخرج، وقيل بل طعن جبينه بمشقص⁽¹⁾.

وضرب ابو حرب الغافقي عثمان بعمود كان في يده، وضرب المصحف برجله، وكان في حجر عثمان، فنزل بين يديه ، وسأل عليه الدم، وجاء سودان بن حمران ليضربه بالسيف، فاكبت عليه أمرأته نائله بنت القرافصة، واتقت السيف بيدها، فنفح اصابعها فأطننها، فولت، فغمز بعضهم اوراقها، وقال: انها لكبيرة العجز، وضرب سودان عثمان فقتله*⁽²⁾.

حتى هذه اللحظة والحراس الذين عند مدخل الدار لا يدرون ما يجري داخلها وكانت المدافعة الوحيدة زوجة عثمان نائلة، التي لم تبخل جهداً في الدفاع عن زوجها حتى بترت اصابع يدها.

كان عثمان قد رأى النبي ﷺ في تلك الليلة يقول له " افطر عندنا غدا يا عثمان"⁽³⁾ ودخل غلمان لعثمان مع القوم لينصروه، وكان عثمان قد اعتق من كف يده منهم، فلما ضرب سودان عثمان ، ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله، ووثب قتيبة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في الدار، ثم اغلقوه على ثلاث قتلى.

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، 171/2.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 171/2.

*سودا بن حمران المرادي ممن دخل على عثمان، ولما ضرب عثمان مال على جنبه قطعنه سودان فقتله.. انظر: ابن الاثير، الكامل، 74/4.

⁽³⁾ البلاذري، أنساب، 201/6؛ ابن الاثير، اسد الغابة، 586/3.

وقيل انهم ندموا على قتله، واما عمر بن الحمق فوثب على صدره، وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات، واقبل عمر بن الضابي ، فوثب عليه فكسر ضلعاً من اضلاعه وقال: سجنت ابي حتى مات في السجن⁽¹⁾.

وكان قتله لثمانى خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوماً وقيل : الا ثمانية ايام⁽²⁾.

بقي عثمان ثلاث ايام لا يدفن، ثم ان حكيم بن حزام القرشي وجبير بن مطعم كلما علياً في أن يأذن بدفنه ، ودفن عند حائط من حيطان المدينة يسمى حش الكوكب، ولم يغسل ولم يكفن بل دفن بثيابه، ولما تولى معاوية امر بالحائط فهدم ودفن الناس موتاهم حول قبر عثمان فاصبح ضمن البقيع، وهنا بدأت الفتنة الكبرى التي امتدت خيوطها طويلا في تاريخ الدولة الاسلامية⁽³⁾.

الفصل الثاني

خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

⁽¹⁾ ابن الاثير، الكامل، 295/3.

⁽²⁾ ابن الاثير، اسد الغابة، 585/3.

⁽³⁾ البلاذري، أنساب، 203/6.

المبحث الأول: البيعة لعلّي بن أبي طالب (عليه السلام)

المبحث الثاني: إجراءات الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمواجهة الانحرافات التي حصلت في عهد عثمان (رض)

المبحث الثالث: عمال الخليفة علي (عليه السلام) على الامصار

المبحث الأول: البيعة لعلّي بن أبي طالب (عليه السلام)

بعد مقتل الخليفة عثمان جاء الناس إلى الإمام علي (عليه السلام) يبائعوه فأرسل إلى طلحة والزبير: "إن أحببتما أن أبايكما بايعت، فقالا: بل نبايعك، فبايعا..."⁽¹⁾، وقال البلاذري: "فأتاه الناس، فقالوا: لا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم... فأني لكم وزير خير من أمير، قالوا: والله ما نعلم أحق منك... فخرج إلى المسجد فبايعه الناس"⁽²⁾

⁽¹⁾ البلخي، البدء والتاريخ، 220/1.

⁽²⁾ أنساب، 151/2.

فقال الإمام (عليه السلام) للناس: "وإن هذه بيعة عامة، من ردها فقد رغب عن دين الإسلام وإنها لم تكن فلتة" (1)

وهذه إشارة إلى بيعة أبي بكر، ذلك في قول عمر بن أبي الخطاب كانت فلتة وقى الله شرها وإمتنع عن البيعة قسم من الأنصار والمهاجرين منهم: حسان بن ثابت وزيد بن ثابت وسعد بن أبي عاص، وكعب بن مالك، وآخرين، فقال رجل لعبد الله بن الحسن: "كيف أتى هؤلاء بيعة علي، وكانوا عثمانية، قال: "أما حسان فكان شاعر لا يبالى ما يصنع، وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال، فلما حصر عثمان قال: يامعشر الأنصار كونوا أنصارا لله مرتين، فقال أيوب: ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان، فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة، وترك ما أخذ منهم له" (2)

وأكد أبو الفدى ذلك إذ قال: "وبايعته النصارى لإلا نفرا قليلاً منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك... وزيد بن ثابت وكانوا هؤلاء قد ولاهم عثمان على الصدقات وغيرها" (3)

ولم يبايع بنو أمية الإمام علي (عليه السلام) إذ يذكر اليعقوبي أن نفرا من بني أمية دخلوا على الإمام علي (عليه السلام) وفيهم الوليد بن عقبة وكان لسان القوم فقال: "أنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وأما مروان فشتت أباه وعبته على عثمان حين ضمه إليه... علن أن تضع عنا ما أصابنا وتعفي لنا عما في أيدينا، فغضب علي (عليه السلام) وقال: وأما وضعي عنكم عما في أيديكم فليس لي أن اضع حق الله، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله والمسلمين فالعدل يسعكم..." (4)

ومما تجدر الإشارة إليه أن حسان بن ثابت مدح الإمام علي (عليه السلام) واشاد بدوره في نصرته الدين الإسلامي ودعا إلى بيعته، وقد اختلفت مواقفه

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 140.

(2) اليعقوبي، تاريخ، 165/2.

(3) عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، (ت 732 هـ)، المختصر في أخبار البشر، بيروت، دار المعرفة للطباعة، دت، 171/1.

(4) اليعقوبي، تاريخ، 165/2.

فقد مدح الإمام علي (عليه السلام) ولكن ما ان وصل الأمر الى الامام قلب له
ظهر المجن، فقد قال في مدح الإمام علي (عليه السلام):⁽¹⁾

جزى الله خيراً والجزاء بكفه	ابا حسن ومن كأبي حسن
سبقت قريشا بالذي انت اهله	فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنت رجالا من قريشا اعزة	مكانك هيهات الهزال من السمن
وانت من الاسلام في كل منزل	لمنزله الطف البطين من الرسن
وكننت المرجى من لؤي بن غالب	لما كان فيه والذي بعد لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده	اليك ومن او اى به منك من ومن
الست اخاه في الاخاء ووصيه	واعلم فهر بالكتاب والسنن

لم يكن علي بن ابي طالب من الذين يطلبون الخلافة على الرغم من
استحقاقه لها، لكثير من الشواهد التي رافقت مسيرته ، فهو الذي وقف الى
جانب الرسول في كل الملمات ، فكان عوناً ، وأخاً ، ومسلماً، عبر عن
عمق الايمان في دفاعه الشرس عن الرسول (ع) والاسلام، ولما أنتقل
الرسول الاعظم (ع) الى الباري عز وجل، لم يفارق رسول الله (ع) حتى
غسله وجهزه، وكان في هذه الملة يقوم بواجبه خير قيام ، فلم

يثنه أي شئ، ولما حدث ما حدث في السقيفة، جاءه أبو سفيان طالباً منه أن
يبسط يده لبياعه ، فنهر أبو سفيان ، بل أن علياً عَنفه وأعاب عليه بما في
نفسه، فعلي يعرف أن أبو سفيان يريد ما يريد ، فهو يريد أن يملأها خيلاً
ورجالاً ، ويجعل دمها الى الركاب، وعلي ينظر الى الاسلام بمنظار الحكيم
ورسول الله ما زال مسجى⁽²⁾.

⁽¹⁾المصدر نفسه، 117/2.

⁽²⁾الخالدي، علي محمد، الامام علي رجل كل العصور، بيروت، دار الحق، 2000، ص34.

وكذا موقفه بعد موت عمر ، وقد كتب ابو بكر عهداً بالخلافة الى عمر ، وبعد موت عمر ، كانت الشورى ، على الرغم من عدم رضاه عما آلت اليه ، لكنه بايع كما تباع الناس ، فلا غرابه في ذلك ، فعلي رضع الحكمه من رسول الله(ع)⁽¹⁾.

وبعد مقتل عثمان ، تدافع الناس على علي ، بل أنهم الزموه بالخلافة، فهو البقية الباقية ، بل انهم جعلوا من قرابته للرسول (ع) حجه لقبوله الخلافة.

وها هو محمد بن الحنفية يقول: كنت مع ابي حين قتل عثمان ، فقام فدخل منزله ، فأتاه اصحاب رسول الله(ع) ، فقالوا: أن هذا الرجل قتل ، ولا بد للناس من أمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الامر منك، لا أقدم سابقة، ولا اقرب من رسول الله(ع) ، فقال: لا تفعلوا ، فأني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً ، فقالوا : لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: في المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفياً ، ولا تكون الا على رضا المسلمين⁽²⁾.

هم يعلموه أن الرجل قتل ، وكأنه لم يقل لعثمان أن المسلمين بحاجة الى عدلك، وأن عواقب الامور تسير بغير صالحك، وان ناصحك هم كارهيك

وحذره من مروان وجماعته، ولم يكن علياً له فيها مطمع أو مراد، فالذين جاؤوا اليه بعد مقتل عثمان هم من أصحاب رسول الله(ع)، ثم أن علياً دخل المسجد ، فلما دخل ، دخل المهاجرون والانصار فبايعوه ، ثم بايعه الناس⁽³⁾.

فطلبه أن تكون البيعة في المسجد اختلفت عن كل البيعات التي سبقتة ، فهي أمام الناس وهم ينظرون لبعضهم، وحتى لا تكون في عنقه رد لبيعه.

وقد يأتي سياق البيعة في رواية أخرى، لما قتل عثمان اجتمع المهاجرون والانصار ، وفيهم طلحة والزبير، ثم أتوا علياً، فقالوا له: أنه لا بد للناس من أمام ، قال: لا حاجة لي أمركم فمن اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك ، وترددوا اليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك: انا لا نعلم أحداً أحق به

⁽¹⁾المصدر نفسه، ص56.

⁽²⁾البلاذري، أنساب، 151/2.

⁽³⁾الدينوري، الأخبار الطوال، ص140.

منك، لا قدم السابقة، ولا أقرب قرابه من رسول الله(ع)، فقال: لا تفعلوا فأن أكون وزيراً خير من أن اكون أميراً ، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد، فأن بيعتي لا تكون خفيه ولا تكون الا في المسجد، وكان في بيته، وقيل: في حائط لبني عمرو بن مذبول ، فخرج الى المسجد وعليه أزار وطاق وعمامة وخز ونعلاه في يده متوكئاً على قوس، فبايعه الناس ، وكان أول من بدأ بالبيعة طلحة بن عبيد الله، فنظر اليه حبيب بن ذؤيب فقال: انا لله ! أول من بدأ البيعة يد شلاء، لا يتم هذا الامر⁽¹⁾.

ولم يبايع سعداً لعلي ، وخلق سبيله ، ثم جاؤوا بعبد الله بن عمر ، فقال : لا أباع حتى يبايع الناس، واراد الاشتر أن يضرب عنقه ، لكن علياً أمر باخلاء سبيله.

ولكن هذا لا يعني أن الانصار والمهاجرين قد بايعوا لعلي بن ابي طالب، فقد أمتنع عن البيعة الكثير منهم، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، وفضاله بن عبيد، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، ورافع بن خديج، وكعب بن عجرة، وزيد بن ثابت⁽²⁾.

وكانوا هؤلاء عثمانية الولاة وكان سبب أمتناعهم لان عثمان قد ولاهم في إدارة الدولة، فحسان شاعر لا يبالي ما يصنع، وزيد بن ثابت ولاه عثمان الديوان وبيت المال، وكعب بن مالك استعمله عثمان على صدقة مزيته وترك له ما أخذ منهم، ولم يبايعه عبد الله بن سلام، وكان عبد الله بن سلام ممن عارض قتل عثمان ، وممن حذر المعارضين أن قتله سيجر على الدولة الاسلامية الوبال، كما لم يبايع علياً ، صهيب بن سنان، وسلمه بن سلامة ابن وقش، وأسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة⁽³⁾.

فرضي علي بالبيعة مشروطة بما اراد ، فهو يعرف القوم، ويعرف ما يرمون اليه ولذا فقد قالوا له: أنه لا يصلح الناس الا بأمره ، وقد طال الامر، فقال لهم: أنكم قد أختلفتم الي واتيتم ، واني قائل لكم قولاً أن قبلتموه قبلت

⁽¹⁾ ابن الاثير، الكامل، 303/3.

⁽²⁾ ابوالفدا، المختصر، 171/1.

⁽³⁾ اليعقوبي، تاريخ، 165/2.

أمركم، والا لا حاجة لي فيه، قالوا: ما قلت من شيء قبلناه وأن شاء الله، فجاء فصعد المنبر ، فاجتمع الناس اليه، فقال: أني قد كرهت كارهاً أمركم ، فأبيتم الا أن اكون عليكم، الا وأنه ليس امر دونكم، الا أن مفاتيح مالكم عندي، والا وأنه ليس لي، أن أخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم أشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك⁽¹⁾.

اراد علي أن يسير بهم على المحك، وهل وجد علي تلك الساحة فارغة ومهيأة له للسير بالجمع بطريق الحق، ان العقول التي ادارة معركة الدار بين الرافضين لعثمان والمحبين له ، كانت طريقه هستيريه تخللتها احقاد الماضي وخوف الثائرين من تسلط بني أميه، لكن خوفهم تحقق بفعل سوء التصرف والابتعاد عن المبادئ الاسلامية وعدم الاحتكام للدين ولرسالة الرسول الكريم(ع).

كان علي في وسط تلك الزوبعة مصلحاً، فقد أتاه رجل فقال لعلي: أن أمير المؤمنين مقتول الساعة، فقام علي وأخذ ابنه محمد بن الحنفية بوسطه، فقال لمحمد: خل لا أم لك، فأتى علي الدار ،وقد قتل عثمان ، فأتى داره فدخلها، فأغلق بابها، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: أن هذا قد قتل ، ولا بد للناس من خليفه، ولا نعلم أحد أحق بها منك، قال : فإن ابيتم علي فإن بيعتي لا تكون سراً ، ولكن أخرج الى المسجد ، فبايعه الناس⁽²⁾.

هذه الصورة التي بايع فيها الناس علي بن ابي طالب، ولربما الامر كان أشد في البيعة تلك، بايع الناس وارسل علي بن ابي طالب الى الزبير وطلحه فدعاهما الى البيعة ، فتلكأ طلحة، فقال مالك الاشر وسل سيفه: والله لتبايعن أو لاضربن به ما بين عينيك، فقال طلحه: وأين المهرب منه! وبايعه الزبير والناس، وسأل طلحه والزبير أن يؤمرهما على الكوفة والبصرة، فقال: تكونان عندي فأحتمل بكما، فأني وحشٌ لفراقكما⁽³⁾.

أن الصورة التي ينقلها التاريخ عن طلحة في هذا الصراع تكاد تكون متطابقة مع ما حدث بعد ذلك ، فالرجل قلق من بيعة علي بن ابي طالب،

⁽¹⁾ الطبري، تاريخ، 4/290.

⁽²⁾ الصلابي، علي بن محمد، أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب، الشارقة، مكتبة الصحابة، 1425هـ، ص211.

⁽³⁾ الطبري، تاريخ، 4/291.

وهذا الهاجس جعله في حيرة من أمره ، فهو يريد بكل الوسائل الخروج من المدينة، ولذا طلب مع الزبير توليتهم الكوفة والبصرة، وكان علي بهذا الامر أعلم، فالناس بايعت الا نفر القليل وطلحة يقول: ما لنا من هذا الامر ألا كحسة أنف كلب⁽¹⁾.

فالببيعة ملزمة في أعناق المسلمين لولي أمرهم ، لان تلك البيعة عليها واجبات أجلها الجهاد في سبيل الله ونشر الدين الاسلامي وتعليم المسلمين قراءة القرآن، وكيف يتم ذلك أن لم يكن لتلك الفئة وليٌ يشير عليها، فالاسلام أوجب الطاعة للولي ، وهذه الطاعة مقرونة بالبيعة له، جاء عبد الله بن عمر الى عبد الله بن مطيع ، حين كان من أمر الحرة ماكان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: أطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: اني لم أتك لأجلس! اتيتك لحدثك حديثاً، سمعت رسول الله(ع) يقول: من خلع يداً من طاعه، لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية⁽²⁾.

فالببيعة ملزمة شرعاً حسب حديث رسول الله(ع)، وينقل الحديث بصورة أخرى، أن عبد الله بن عمر أتى ابن مطيع ، فقال: أطرحوا لأبي عبد الله وسادة ، فقال: ما جئت لأجلس عندك! ولكن جئت أخبرك ما سمعت من رسول الله، سمعته يقول: من نزع يداً من طاعه، أو فارق الجماعة مات ميتة الجاهلية⁽³⁾.

لم يغفل علي أحد في البيعة ، ولم يلزم أحد بالبيعة، وهو العارف أن هناك نفوس لا تريد له أن يتبوأ الخلافة لأمر كثيرة ذكرنا بعضها ، ولعل سيف علي في معاركة الجهادية كان له أثر في أحجام البعض عن البيعة له.

قال عمار بن ياسر لعلي بن ابي طالب، يا أمير المؤمنين أن الناس قد بايعوك طائعين غير كارهين، فلو بعثت الى أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك، ليدخلوا فيما دخل

⁽¹⁾ الطبري، تاريخ، 4/291.

⁽²⁾ القشيري، صحيح، مسلم، ج2 ص126.

⁽³⁾ حنبل، المسند، 2/133.

فيه الناس من المهاجرين والانصار! فقال علي: أنه لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا⁽¹⁾.

لا يرغب فيمن لا يرغب ان يكون في ما دخل الناس، هي نفس علي المتعالية عن الصغائر ، والتي لا يريد لها أن تهفوا في مستنقع التودد في أمر يريده الله وترغبة الناس، ولذا فأن تخلف البعض ليس هو اعتزازاً بالنفس ،وانما الابتعاد عن ما قد يحصل وسط تناقض الاحداث بعد مقتل عثمان، فعبد الله بن عمر لم يبايع الحجاج لخلافة عبد الملك بن مروان ، فما حصل ، لقد مد الحجاج اليه رجليه ،قائلاً: أن يدي مشغولة فبايعه⁽²⁾.

لما بايع الناس علياً ، وتخلف عبد الله بن عمر، وكلمه علي في البيعة فأمتنع عليه، أتاه في اليوم الثاني، فقال: اني لك ناصح، أن بيعتك لم يرض بها كلهم، فلو نظرت لدينك ورددت الامر شورى بين المسلمين ! فقال علي

ويحك! وهل ما كان عن طلب مني له ! ألم يبلغ صنيعهم؟ قم عني يا أحمق، ما أنت وهذا الكلام⁽³⁾.

ليس من السهل الحكم على فعل لم يقع وسيرة لم تحدث ، لكن الذين لا يريدون علي للخلافة كانوا يضعون في تصورهم أفكاراً واحداث يقرؤوها في مخيلتهم حاسبين أن الزمن ليس لاحد فيه قناعه بالسير نحو الاسلام والاصلاح.

وفي أول خلافته قام على المنبر وخطب، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أن الله أنزل كتاباً هادياً مهدياً يبين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض الفرائض أدوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة، أن الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشدد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق، لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب ، بادروا أمر العامة،

⁽¹⁾ ابن أعثم، كتاب الفتوح، 441/2.

⁽²⁾ السماوي، محمد التيجاني، الشيعة هم أهل السنة، لندن، مؤسسة الفجر، 1427هـ، ص235.

⁽³⁾ ابن بي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14/4.

وخاصه أحدكم الموت، فأن الناس أمامكم ، وأن ما خلفكم الساعه تحدوكم ، تخففوا تلحقوا، فأنما ينتظر الناس أخراهم ، أتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده ، انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله فلا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه } وأذكروا أذ أنتم قليل مستضعفون في الارض}{⁽¹⁾.

كان ينظر الى الخلافة بمنظار التكليف ، فهو لا يضعها في موضع المتسلط على رقاب الناس، بل ينظر اليها كواجب يدافع فيه عن حق المسلمين ، ويطبق شرائع السماء عندما يراها في غير موضعها⁽²⁾.

ولم يكن يكره أحداً على البيعة، بل هي عرض ،على الرغم من أن البعض أمتنع عن البيعة، وفيها الزام ، من مات ولم تكن في عنقه بيعة مات موت الجاهلييه، وقد كان من الممتنعين سعد بن ابي وقاص، وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمه، وقد طلب علي من عمار أن يذهب اليهم ، فذهب الى سعد بن ابي وقاص فكلمه ، لكن سعد رده بكلام،فأنصرف عمار الى علي، فقال له علي: دع هؤلاء الرهط ، أما ابن عمر فضعيف، وأما سعد فحسود، وذنبي الى محمد بن سلمه أني قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهودي⁽³⁾.

وكان علي له موقف من سعد في اختيار عثمان ، فقد مال سعد بن ابي وقاص الى عثمان ، ولذا عندما خطب علي خطبته الشفشفقية، قال: فصغى رجل لضغنه! ومال الاخر لصهره، مع هن وهن⁽⁴⁾.

لكن سعداً كان له موقف آخر مدافع عن علي بن ابي طالب عندما جلس عند معاوية ، وأخذ معاوية بشتيم علي، فردده سعد بكلام ازعج معاوية ، وقال لمعاوية:أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي، والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب الي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لان يكون صهراً لرسول الله وأن لي من الولد ما

⁽¹⁾ابن الاثير،الكامل، 305/3.

⁽²⁾التيجاني،محمدأحمد،فأسألوأهل الذكر،لندن،مؤسسةالفجر، 1991 ، ص126.

⁽³⁾ابن، قتيبه،الامامة والسياسة، 73/1.

⁽⁴⁾عبد،محمد،شرح نهج البلاغه،بيروت،دارالمعرفه للطباعة،1982، ص35.

علي أحب الي من أن يكون لي ما طلعت الشمس، والله لان يكون رسول الله قال لي يوم خيبر ، [لا عطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله(ع)]، ليس بفرار يفتح الله على يديه(1).

فالسحابة من المهاجرين والانصار يعرفون قدر علي بن ابي طالب ، لكن ظروف مقتل عثمان لبد العقول واستر على العيون بظل فيه شتات الامر.

فزيد بن ثابت خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس، غير ما خلف من الاموال والضياع، وأما كعب بن مالك فقد التهم صدقات [مزينة] عندما أعطاها اياه عثمان(2)، والنعمان بن بشير ، استعمله معاوية على حمص، ثم على الكوفة، وأستعمله عليها يزيد بن معاوية، وكان هواه مع معاوية، وميله اليه والى ابنه يزيد(3).

فماذا يكون الرجاء بهؤلاء ، وهل أن علياً لم يقبل الامر بعدم بيعة تلك المجموعة له، أن الامر لا يختلف عند علي ، لكن ما يربك الامر أن هؤلاء لا يقفوا مكتوفي الايدي ، وهناك من يشعل النار.

هؤلاء الرافضون للبيعة كما أسلفنا تدفعهم أمور شتى ، ولعل الحوادث القريبه في الاسلام قبل تولي علي فيها بعض تلك الاسباب، ومحمد بن مسلمة ، كان مع القوم الذين ذهبوا لدار علي بن ابي طالب في بيعة أبي بكر، وهو الذي كسر سيف الزبير(4).

أن بيعة علي لها عواقب على الذين جنوا الذهب والفضة والاقطاعات والضياع، فعثمان كان سخيأ، يعطي من المال ما يريد، وقد أعطى عمر بن الخطاب لامهات المؤمنين عشرة الاف درهم(5)، أما عثمان فقد زاد عطاء عائشة اثني عشر درهم(6).

(1) المسعودي، مروج، 14/2-15.

(2) الطبري، تاريخ، 153/5.

(3) ابن الأثير، أسد الغابة، 343/5.

(4) جنبل، أحمد، كتاب السنة، تحقيق أبو هاجه محمد السعيد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985، ج22.

(5) ابن حجر، الاصابة، 360/4.

(6) الهندي، علاء الدين علي المتقي، منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988، 1118/5.

فماذا يحصلوا من علي بن بن ابي طالب ، لا يحصلوا الا ما فرضه الله من حق لهم، ولذا فهم الخاسرون لو بايعوا علي بن ابي طالب، وكيف يبايعوه وهم يدركون من هو علي.

بعد بيعته يدخل داره، فيدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة، فقالوا: يا علي قد اشترطنا إقامة الحدود ، وأن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم ، فقال: يا أخوتاه اني لست أجهل ما تعلمون ، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم أعرابكم وهم خلاطكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا ، قال: فلا والله لا ارى رأياً ترونه أبداً الا إن يشاء الله⁽¹⁾.

ويبقى الامر مرهوناً بأحداث كبيرة وقعت ، فكان لها الاثر في خلافة علي بن ابي طالب لتتحول بعدها من الخلافة الراشدة الى خلافة ملك ووراثته⁽²⁾،

لكن علي لم ينحى عن مبادئ الاسلام ، ولم يفرط بواحدة منها، وكان تمسكه بها عقائدياً، ولم ينحني لكبائرها ، وعندما دخل الكوفة، لم يسكن في دار الامارة، بل فضل السكن في دار جعدة زوجة أبين هبيرة⁽³⁾.

كان لا يرضى بتكليف غير شرعي ، ولا يلزم نفسه بميثاق ، إذا لم يكن في السنة والقرآن، او بإجماع، وكان ذلك واقعاً ، فبعد مقتل عثمان قال الشعبي: لا تعجلوا فأن عمر كان مباركاً، وقد أوصى بها شورى ، فأمهلوا الناس يتشاورون ، فرجع الناس عن علي، ثم قالوا: ماذا لو رجع الناس الى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقيم قائم، فعاد الناس الى علي⁽⁴⁾.

وفي هذه الفوضى هرب بني أمية الى مكة ، وقد أجمع أهل المدينة، فوجدوا طلحة والزبير قد خرجوا الى مكة، وهرب الوليد وسعيد اليها

⁽¹⁾ ابن الاثير، الكامل، 3/305.

⁽²⁾ الدفراوي، عبدالرحمن، نظرية بني أمية في الحكم، القاهرة، دار الشعب، 1989، ص34.

⁽³⁾ توكلي، علي اكبر، الحاكم الزاهد، قم، مطبعة ستارة، 1427هـ، ص56.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه/ص66.

وتبعهم مروان، وهرب آخرون، فاجتمع أهل المدينة، وقال بعض لبعض :
أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة، وأمركم عابر ، فأنظروا رجلاً
تنصبونه، ونحن تبع لكم ، فقال الجمهور : علي بن ابي طالب ونحن به
راضون⁽¹⁾.

فالامر كان لعل محسوماً من الناس ، والناس هي الشورى في غياب الولي
لها، فلا يحق ولا يكون من الواجب القول ، أن ننتظر، لأن واقع الحال وما
هو على الارض يوحي بأزمه كبيره تتسع لشملة الامة الاسلامية في رقعتها
الجغرافية ، وان هناك من يغذي تلك النفوس ، غيلة ، أو طمعاً أو جهلاً⁽²⁾.

بل أن علياً(عليه السلام) يبحث عن حلول لها، فقد جاء الى طلحة وقال له:
أبسط يدك لابياعك، فقال طلحه: أنت أحق ، وأنت أمير المؤمنين ، فأبسط
يدك ، قال : فبسط علي يده فبايعه⁽³⁾.

فالامر كان امتحاناً عسيراً ، فيه من الغل والحق ما يجعل القلوب تنزف
دماءً، وهي ترى دين الله بين زفرات الناس.

فكانوا يتلمسون علي وهو يلوذ عنهم بحيطان المدينة، فأذا لقوه باعدهم
وتبراً منهم ، ثم يطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، ويطلب البصريون
طلحة ، فاذا لقيهم باعدهم وتبراً من مقاتلهم، حتى أتوا عبد الله بن عمر
فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الامر ، فقال: أن لهذا الامر انتقاماً والله لا
أعرض له، فألتمسوا غيري⁽⁴⁾.

أما القضاء في خلافة علي بن ابي طالب ، فكان في أفضل حال ، وكان
يقول: اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به
الامور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر في الفيء
الى الحق اذا عرفه، ولا تستشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم
دون أقصاء، وواقفهم في الشبهات⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ عبد الفتاح، سيد، اضواء على التاريخ الاسلامي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1999، ص76.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص83.

⁽³⁾ الطبري، تاريخ، 4/294.

⁽⁴⁾ عبده، شرح نهج البلاغه، 1/64.

⁽⁵⁾ الطبري، تاريخ، 4/293.

كان علي في القضاء قمة العدل ، لكنه كان يمتحن الآخرين ، لكي يزيدهم ورعاً وتقوى ، ويضعهم أمام مسؤولية كبيرة الا وهي الحق، فقد مرّ على الحسن البصري وهو يتكلم على الناس فأخبره، فقال له :ما عماد الدين؟ فقال: الورع، قال: فما أفته؟ قال: الطمع، قال: تكلم الان أن شئت⁽¹⁾.

أما أشهر قضاته الذين أقرهم علي بن ابي طالب على الامصار فهم من أثبت جدارته في عمله ، فأن علي كان ينظر الى الحكم هو ما يقوم به الحاكم لتحقيق العدالة في الناس ويشمل كل نواحي الامة، أما القضاء فهو الفصل بين الخصومات بين الناس بما يأمر به الشرع الزاماً، وهذا يعني وجود منازعات تلزم القاضي بتطبيق الشريعة الاسلاميه، وكان علي يختار ما يرضي الله ومن قضاته:

1. شريح بن الحارث ، الذي كان على قضاء الكوفة ويرزقه خمسمائة درهم شهرياً.

2. ابو موسى الاشعري ، الذي ولاه عثمان القضاء في الكوفة ، فأقره ثم عزله.

3. عبيد الله بن مسعود ، الوالي والقاضي في اليمن

4. عثمان بن حنيف على البصرة

5. قيس بن سعد على مصر ، وكان شهد فتح مصر، وأختط بها داراً ، وولاه علي ثم عزله بمحمد بن ابي بكر⁽²⁾.

6. عماره بن شهاب على الكوفة.

7. قثم بن العباس على المدينة، سنة 37هـ وعلى مكة والطائف.

8. جعدة بن عبيدة المخزومي، ثم خليلد بن فرة اليربوعي على خراسان.

⁽¹⁾الماوردي، الاحكام السلطانية، ص321.

⁽²⁾الموسوي، فاضل عباس، القضاء في عهد الامام علي (عليه السلام)، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008، ص87.

9. عبد الله بن عباس، كان والياً لعلي على البصرة، وكان أبو الاسود الدؤلي على قضائها، وفي قول ولى عبد الله بن عباس على القضاء في البصرة عبد الرحمن بن يزيد الحداني ، وكان أخا المهلب بن ابي صفرة لأمه، وبقي قاضياً عليها أيام علي بن ابي طالب، وطائفة من عمل معاوية⁽¹⁾

حتى قدم زياد فعزله، وقال ابو عبيده : كان بن عباس يفتي الناس ويحكم بينهم، وأذا خرج ابن عباس عن البصرة أستخلف ابا الاسود، فكان هو المفتي، والقاضي يومئذ يدعى المفتي، فلم يزل كذلك حتى قتل علي سنة اربعين .

10. سعيد بن نمران الهمداني، الذي عينه علي لما قدم الكوفة، ثم عزله، ثم أستقضاه مصعب بن الزبير على الكوفة، فقضى ثلاث سنوات ، ثم عين ابن الزبير عبد الله بن عتبة بن مسعود.

11. عبيده السلماني محمد بن حمزة، الذي عينه علي على قضاء الكوفة، بعد عزل سعيد الهمداني، وقال له: أقضوا كما كنتم تقضون ، ثم عزله وعين شريح في القضاء، وكان من علماء الكوفة المشهورين، وكان شريح يستشير، ويرجع اليه.

12. محمد بن يزيد بن خليفة الشيباني، عينه علي قاضياً على الكوفة، وله أقضية فيها⁽²⁾.

وكان قضاة علي بن ابي طالب هم ولاته على الامصار ، ولأن ولايتهم كانت عامه ، تشمل الحكم والاداره وأقامة الحدود، والامامه والقضاء وجباية الصدقات⁽¹⁾.

⁽¹⁾المصدر نفسه، ص88.

⁽²⁾الموسوي، القضاء في عهد الامام علي (عليه السلام)، ص89.

اما الجانب الاقتصادي والمالي ، فأفنه شبه معطل ، لكنه لم يعطل حقوق الناس وأعطياتهم، والتي كانت من مهام علي بسبب الظروف التي

رافقت تولي الامام علي بن ابي طالب الخلافة، وأقتطاع جزء كبير ومهم من الدولة والتي كان يسيطر عليها معاوية بن ابي سفيان، فقد أرسل علي الى الشام سهل بن حنيف والياً فرجع من تبوك بعد أن ردتته خيول معاوية⁽²⁾.

وتنتهي حياة علي بن ابي طالب ، بضربة الخارجي بن ملجم ، في 19/ رمضان عام 40 هـ، بعد أن أستمرت خلافته اربع سنوات وتسعة أشهر وثمانية ايام⁽³⁾.

¹(المغلوث، أطلس الامام علي بن أبي طالب، الرياض، مكتبة العبيكان، 2008،

ص215.

²(السالم، احمد علي، تحديات حكومة امير المؤمنين، قم، مطبعة ستارة، 1423هـ، ص54

³(البلاذري، أنساب، 3/249-250

المبحث الثاني: إجراءات الامام علي (عليه السلام) لمواجهة حالات الانحراف التي حصلت في عهد عثمان

واجه الامام علي (عليه السلام) تركة ثقيلة لحكم فاسد بكل المستويات، دفع من جرائه عثمان بن عفان حياته ثمنا لذلك، حيث ثار الناس عليه وقتلوه، وعندما أراد الامام علي (عليه السلام) إقتلاع جذور العناصر الفاسدة من عمال وولاة قامت المؤامرات والحروب ومنها الجمل وصفين والنهروان وغيرها على وفق رأي أحد الباحثين فكان القوم الذين ثاروا وحرصوا على قتل عثمان بالامس ودعوا الى قتله واشتركوا في دمه هم انفسهم من قاتل الامام علي (عليه السلام) كعمرو بن العاص وطلحة⁽¹⁾، وحاول الامام علي (عليه السلام) إقصاء ولاة عثمان وعماله السابقين لأنهم خونة وفاسدون⁽²⁾.

وأتى الزبير وطلحة إلى الإمام علي (عليه السلام) بعد البيعة فقالا : "

هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين ، قال علي : نعم ، على السمع والطاعة000فقالا : لا ، ولكنا بايعناك على إنا شريكاك في الأمر000وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق وطلحة في اليمن " (3) .

⁽¹⁾ كاشف الغطاء، عباس، الفساد الاداري في المنظور الاسلامي، النجف الاشرف، مؤسسة كاشف الغطاء، 2010، ص9.
⁽²⁾ القرشي، باقر شريف، شرح العهد الولي للامام أمير المؤمنين لمالك الأشتر، تحقيق مهدي القرشي، النجف الاشرف، مطبعة ستارة، 2011، ص23.
⁽³⁾ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج2 ، ص151 .

وفي مورد آخر سبب مبايعة طلحة والزبير للإمام كانت لهم غايات متعددة ، حيث شعر طلحة والزبير إن هذا الوقت المناسب لتحقيق مكاسب بعد أن رأوا بأن أعينهم ما كان عليه من هم أدنى منهم درجة وسابقة في النفوذ والسطوة في أيام عمر وعثمان ، حتى إن المؤرخين قد سجلوا شهوة السلطة التي كانت مستحكمة في نفوسهم وحب الرئاسة.

لم يكن علي بن ابي طالب بداعية حرب ، على الرغم من ان الشجاعة صفة مميزة له بين القاده الذين تولوا ادارة الدولة العربية الاسلامية.

ان ما دار في خلافة عثمان بن عفان من حوادث أوجست على المسلمين افكارهم ، وكانت من البداية توحى بأن هناك خطأ حصل في ادارة عثمان للدولة الاسلامية ، وان تلافي هذا الخطأ من الممكن أن يوقف حالة التداعي التي شابة الدولة الاسلامية، وكان من الجائز للخليفة قبول النصح والمشورة ، فالاسلام قام على الشورى ورسول الله (ع) كان يشاور اصحابه بالامور الدنيوية، ويأخذ منهم النصيحة كما حصل في معركة بدر عندما نزل الرسول (ع) في مكان بعيد عن الماء، فقال له أحد اصحابه ، نزولك هنا أمر من الله أو منك ، فقال : بل مني، فنصحه أن ينزل قريباً من الماء، وأخذ رسول الله (ع) بما قال.

هذه المشورة موجودة في عقل عثمان بن عفان ، لكنه أخذها من المقربين والاقرباء ، وهم اهل مصلحة ورغبة ، وضع اكثرهم مصالحه فوق مبادئه ، وكانت تلك المبادئ تباع وتشترى في سوق المواقع والمناصب والثروة التي اطلق الخليفة فيها العنان للمهاجرين والانصار بولوجها.

وبدأت تلك التخرصات بالجرأة التي أبتدأها الناس ، وتلك الجرأة هي فيض بما في داخل النفوس، فقد قدمت أبل من أبل الصدقة على عثمان وهبها لبعض بني الحكم ، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فارسل الى بعضهم وقسمها عبد الرحمن بين الناس.

وما فعل علي بن ابي طالب، لم يكن موقفه من عثمان الا موقف الناصح ، على الرغم من أن عثمان ينظر برييه الى بني هاشم، وهذه الريبة جعلته يقبل بنصيحة مروان وعبد الله بن سعد وسعيد بن العاص ويتغافل عن نصيحة علي بن ابي طالب⁽¹⁾.

أن هذا التغافل شجع الناس على التجروء عليه، وإلا من الذي دفع جبلة بن عمرو الساعدي عندما مرَّ عثمان عليه وهو بفناء داره ، ومعه جامعة، فقال لعثمان: يا نعتل والله لأقتلنك ، ولأحملنك على قلوب جرباء ، ولا خرجنك الى حرة النار ، ثم جاءه مرة أخرى وهو على المنبر فأنزله⁽²⁾.

في هذه الموقف الشائن لخليفة رسول الله (ع)، أين مروان؟ واين عبد الله بن سعد والآخرين من بني أمية الذين يدفعون بعثمان دفعاً الى الموت، ان الحقيقة ليست خافية على أحد، وان كل المسلمين في المدينة يعرفونها.

ففي حصار عثمان كتب عثمان الى معاوية يسأل تعجيل القدوم ، فتوجه اليه في اثني عشر الفاً ، ثم قال:كونوا بمكانكم في أوائل الشام، حتى أتى أمير المؤمنين لاعرف صحة أمره، فأتى عثمان ، فسأله عن المدة، فقال : قد قدمت لآعرف رأيك وأعود اليهم فأجيبك بهم، قال: لا والله! ولكنك اردت أن أقتل فتقول : أنا ولى الثأر، ارجع فجنني بالناس ! فرجع فلم يعد اليه حتى قتل⁽³⁾.

كان علي بن ابي طالب يترقب الاحداث ، فيشير على عثمان ،فعندما كتب نفر من اصحاب رسول الله (ع)الى غيرهم ، وبعض الى بعض، وليس هناك أحد من الصحابة يذب عنه بعد ان عظم الناس عليه، اجتمع الناس فكلموا علي بن ابي طالب فيه، فدخل على عثمان وقال: الناس ورائي وقد كلموني فيك، والله ما أدري ما اقول لك ولا اعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، وقد رأيت وصحبت رسول الله (ع)وسمعت منه ونلت صهره، وما ابن ابي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى

⁽¹⁾الشيبياني،الخليفة عثمان،ص77.

⁽²⁾الطبري،تاريخ، 246/4.

⁽³⁾اليقوبي،تاريخ،122/2.

بشيء من الخير منك، وأنت أقرب إلى رسول الله،(ع) رحماً ، وقد نلت من صهر رسول الله (ع) ما لم ينالاه ، وما سبقاك إلى شيء.(1)

كان هذا موقف علي من الحدث في ساعته، فما رد عثمان ، صعد على المنبر، ليقول : أن لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون ، يقولون لكم ويقولون، أمثال النعام يبتعون أول ناعق(2).

الخليفة عثمان كان في قناعة أن إعطاء قرابته وتمكينهم من الناس هو فضل من الله ، ولذا فقد قال لعلي وطلحة والزبير: إن صاحبي اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما وما كان منهما بسبيل احتساباً ، وإن رسول الله (ع) كان يعطي قرابته وأنا في رهط أهل عيله وقلة معاش فبسطت يدي في ذلك، فأن رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمري لأمركم تبع، فقالوا: قد أصبت واحسنت قد أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفاً، وأعطيت مروان خمسة عشر ألفاً ، فأخذ منهما ذلك ن فرضوا وخرجوا راضين.

ففي كل موقف كان علي مبادراً للنصح لعثمان ، لكن عثمان كان يرى في الآخرين سبيل للخلاص ، فهو يكتب إلى معاوية: أما بعد، فاني في قوم طال فيهم مقامي، واستعجلوا القدر فيّ ،وقد خيروني بين أن يحملوني على شارف من الابل إلى دخل، وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كساني ، وبين أن أقيدهم ممن قتلت، ومن كان على سلطان يخطيء ويصيب، فيا غوثاه يا غوثاه ، ولا أمير عليكم دوني، فالعجل العجل يا معاوية، وادرك ثم أدرك، وما أراك تدرك!!(3).

فكان عثمان يطلب العون والحماية من خارج الجزيرة ، لأنه كان يظن أن الجميع يبغضونه ويريدون الإطاحة به، وكان أمله بالمحيطين به من غير بني أمية ضعيف.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 173/7.

(2) ابن الأثير، الكامل، 276/3.

(3) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 54/1.

ان الاحداث التي رافقت الخليفة ، في سنوات حكمه الاخيرة، كانت في مكان التغيير الممزوج بالانفعال المنظم، لكن ذلك الانفعال تطور بالعدد والمكان، ولذا فقد اراد معاوية بن ابي سفيان أخذ الخليفة عثمان معه الى الشام، وليس أخذ عثمان لنجاته ، بل لتؤول اليه من بعد موت عثمان⁽¹⁾.

فكان رأي عثمان لا يوافق رأي معاوية في فراق مدينة رسول الله(ع)، وعند نزول المصريين في ذي الخشب ، شعر عثمان بقوة المناوئين له ،جاء ودخل على علي بن ابي طالب، وابلغه بما حصل ، وكان علي يلومه على موافقه ، ويقول له : ابلغتك وكلمتك مرة بعد مرة ، ثم يركب علي الى المصريين بذى الخشب، ليقتنعهم بالعوده عن عثمان⁽²⁾.

ويمتثل المصريون لطلب علي ويعودون بعد أن يستوثقوا من أن عثمان سيصلح الامور بما يرضي الثوار، ويقلل من حماسهم، ويطفىء النار التي أضرمت ، وكان من الممكن تدارك خطرهما منذ بداية الامر⁽³⁾.

لم تكن مطالب الثوار تتعدى حدود تعديل الواقع الذي انحرف عن المبادئ التي أقسم عليها عثمان عندما اراد عبد الرحمن بن عوف ترشيحه لتولية الامر بعد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب.

فقد طلب أياماً ثلاثة لتصحيح المسار وبوساطة علي بن ابي طالب، وأشهد عليه اناس في هذا الامر، لكن عثمان كاتب عماله وطلب منهم نصرته في مواجهة الخطر المحدق به.

كانت مطالب الثوار تتضمن شرطين:

الاول: أن يرد كل مظلمة

الثاني: يعزل كل عامل كرهه المسلمون

⁽¹⁾ عبد الكريم، الثورة على عثمان، ص198.

⁽²⁾ البلاذري، أنساب، 210/6.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 210/6.

لكن ياترى هل يستطيع عثمان تحقيق رغبات الثائرين، أجزم أن الامر اكبر من ان يستطيع عثمان تحقيق ما يريدون ، وخصوصاً في الشام التي طوعها معاوية رهن أشارته .

لكن عثمان بعد مضي الايام الثلاثة، لم يغير شيئاً مما يكرهون ، ولم يعزل عاملاً⁽¹⁾.

فالدليل الاول أن اقر به عثمان ، فهو يؤكد استنتاج الثوار أن عثمان قد ظلم الرعية، وهذا بذاته اعتراف يدل على تجاوز الخليفة للشريعة السمحاء

فالخليفة الذي يظلم لا يستحق أن يكون خليفة، فالله سبحانه وتعالى يقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ⁽²⁾، والشرط الثاني هو دليل على أن الولاة وعمال الخليفة عثمان قد أفسدوا في الحكم ، وحكم الوالي الفاسد ، العزل والحساب ورد مظالم الناس، فالتولي منهم عطل حدود الله في الارض ، بعد ان تعهد في احقاق

الحق، والله يقول سبحانه وتعالى {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} ⁽³⁾.

ويبقى حدس الثوار ما تحقق، ويبقى علي بن ابي طالب الملام في كل هذا واقفاً موقف شموخ وكبرياء ، فلم يكن علي يوماً طامعاً بها، بل أن الفضل فيها لسابقته ، وقرابته من رسول الله (ع)، لكن المحيطين بعثمان يصورون الامر بغير ذلك، فقد قال مروان لعلي بن الحسين: ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم، يعني علياً عن عثمان ! قال: قلت له: فما لكم تسبون على المنابر؟ قال: لا يستقيم الامر الا بذلك⁽⁴⁾.

أن الالزام في الامر يتم بمواثيق واعراف ، وأن القوانين المحتومة التطبيق هي في كلام الله (القرآن)، والتمسك بأحكام القرآن ملزمة للجميع ، لكن

⁽¹⁾ اب مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 421هـ)، تجارب الامم، تحقيق أبو علي أمامي، طهران، دارسروش للطباعة، 1429هـ، 288/1.

⁽²⁾ سورة النساء، الآية 59.

⁽³⁾ سورة البقرة، الآية 26.

⁽⁴⁾ ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة، ترجمة الامام علي بن ابي طالب من تاريخ دمشق، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، 1975، 99/3.

الامر عندما ينفرد فيه فرد واحد ، يكون العوده عن الرأي الواحد برأي الجماعة، ولذا فعندما كتب نفر من الصحابه بعض الى بعض والى

الامصار ، أن اقدموا فأن الجهاد عندنا، وعظم الناس على عثمان ونالوا منه، وليس أحد من الصحابة ينهي ويذب الا نفر، منهم زيد بن ثابت وابو أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، فأجتمعوا وكلموا علي بن ابي طالب، فدخل على عثمان فقال له: الناس ورائي ، وقد كلموني فيك ، والله ما أدري ما أقول ولا أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه⁽¹⁾.

أليس هناك من المكانه التي تدفع ذلك النفر من اصحاب رسول الله (ع) بأنابة علي بن ابي طالب بنقل رسالتهم ومحاولة عدول عثمان يتم عن طريق علي بن ابي طالب ، فحساب الفوز في تحقيق ارادة الثوار ، او الفشل في اقناعه يتحمله علي بن ابي طالب ، وأذ لم يكن ذو حضوه عند الطرفين لما كلف بالامر ، ولا قبل الامر هو راضياً، فقد سبق لعثمان أن أرسل للثوار المغيرة بن شعبة وقال له: أذهب الى أولئك القوم وأسترضهم وتعهدهم بأداء كل ما يطلبونه، فذهب اليهم وحين أقترب منهم صاحوا به: أرجع يا أعور ، ارجع يا فاسق ، ارجع يا فاجر⁽²⁾

الذين حاصروا عثمان من الامصار هم ثلة من القواد، لم يكن بينهم وبين علي رابط يجعلهم ينصاعون الى علي ، بل كان هناك تواصل فكري وعقائدي محوره الاسلام وخدمة دين محمد واعلاء شأنه.

بل أن الامر وصل بعثمان الى القول لعلي بن ابي طالب، أحب ان تركب اليهم فتردهم عني فأني لا أحب أن يدخلوا عليّ ، على أن أصير الى ما أشرت به عليّ ورأيت له لي ، ولست اخرج من يدك، فاني أعصهم وأطيعك⁽³⁾.

⁽¹⁾ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 43/3.

⁽²⁾ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 410/2.

⁽³⁾ الطبري، تاريخ، 109/5.

لكن عثمان في حيرته يرضى تارة بقول علي بن ابي طالب ، ويقنع في أخرى بقول مروان، فقد قال علي لعثمان بعد ان قابل المصريين ورجعوا الى بلدهم: تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه ويشهد الله فأَنَّ البلاد تمخضت عليك فلا أمن ركباً آخرين يقدمون عليك من الكوفة فتقول: يا علي اركب اليهم فأَنَّ لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك وأستخففت بحقك، قال: فخرج عثمان وخطب الخطبه التي نزع فيها واعطى الناس من نفسه التوبه⁽¹⁾.

كان عثمان شديد الثقة بمروان، على الرغم من أنه في احيان كثيرة ينهرة عندما يجد الموقف قد تأزم ولا سبيل آخر سوى نهر مروان، وعندما وجد المصريون بعد عودتهم وبعد لقاء علي بن ابي طالب، كتاباً معنون الى عامل عثمان على مصر عبد الله بن سعد بن سرح ، فبعد مسير ثلاثة ايام من المدينة وأذا بهم بـغلام أسود على بعير يتخبط خبطاً عنيفاً فقالوا: ما هذا ! أربع قليلا، ما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب ، من أنت؟ فقال: أنا

غلام أمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر، فقال له رجل منهم: يا هذا!! فأَنَّ عامل مصر معنا، فقال : ليس هذا الذي اريد، فقال محمد بن ابي بكر: أنزلوه عن البعير، فحطوه، فقال له محمد بن ابي بكر: أصدقني غلام من أنت ؟ قال: أنا غلام أمير المؤمنين؟ قال : فألى من أرسلت؟ قال: الى عبد الله بن سعد عامله على مصر ، قال: بماذا ارسلت؟ قال: برسالة، قال محمد بن ابي بكر : أفعك كتاب، قال: لا، قال: فقال أهل مصر: لو فتشناه ايها الاميرفأنا نخاف أن يكون صاحبه قد كتب فينا شيئاً، ففتشوا رحله ومتاعه ونزعوا ثيابه، حتى عروه فلم يجدوا معه شيئاً، وكانت على راحلته أداة فيها ماء فحركوها فاذا فيها شيء يقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج، فقال كنانة بن بشر التجيبي: والله، أن نفسي تحدثني أن في هذه الادوات كتاباً، فقال اصحابه: ويحك! ويكون كتاباً في الماء؟ قال: أن الناس لهم حيل ، فشقوا الادوة فأذا فيها قاروره مختومه بشمع، وفي جوف القاروره كتاب ، فكسروا القارورة وأخرجوا الكتاب فقرأه محمد بن ابي بكر فأذا به⁽²⁾.

⁽¹⁾المصدر نفسه، 111/5.

⁽²⁾الطبري، تاريخ، 111/3؛ البلاذري، أنساب، 217/6.

وقبل التمعن في قراءة الكتاب ، لابد من العودة للوراء الى مغزى الحادث الذي أوجب عثمان على القبول برأي علي ، ثم قيامه بأقناع المصريين الثائرين بالعودة الى بلادهم بعد أن أخذ من عثمان المواثيق في تلبية مطالبهم والتي يعتبرونها جزء من المطالب العامه للمسلمين في الامصار كافه، أن أقناع تلك الفئة ليس من السهل تحقيقه أذ لم يكن لعلي في نفوسهم حظوه، لكن تلك الحظوه تتبدد في تكرار الفعل ، او الاصرار عليه ، او تجاهله، فليس من السهل أن يقوم علي بن أبي طالب بتكرار حالة الاقناع للثوار، فإن آراءهم في أي قضية قد تأخذ الامر القطعي الذي لا رجوع فيه وبذلك يكون الوسط في وضع يحسد عليه من الطرفين الذي تسوقهم أفكاره وتخرج بهم من لرطار العام لما طالبوا به في بداية تجمعهم في الأمر⁽¹⁾.

وعند قراءة الكتاب وجدوا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عثمان أمير المؤمنين الى عبد الله بن سعد ، أما بعد: فأنا قدم عليك عمر بن يزيد بن ورقاء فأضرب عنقه صبراً، وأما علقمه بن عديس البلوي وكنانة بن بشر التجيبي وعروه بن سهم الليثي فأقطع ايديهم وارجلهم من خلاف، ودعهم يتشطحون في دمائهم حتى يموتوا ، فإذا ماتوا فأصلبهم على جذوع النخل ، وأما محمد بن ابي بكر فلا يقبل منه كتابه وشد يدك به، وأحتل في قتله ، وقر على عملك حتى يأتيك أمري أن شاء الله⁽²⁾.

أن وجود هذا الكتاب في رحل الغلام ، جعل محمد بن ابي بكر يبيت مضمون ذلك الكتاب في صدره ليوم الدار ، لكن صحبة ابي بكر لعثمان كانت أجل من فعل أراداه محمد ، فعندما مسك محمد بلحية عثمان ، لم يجد الاخير الى تذكير محمد : لو أن اباك رأى....ليطلق بعدها محمد اللحية وينسحب الى خارج الدار⁽³⁾.

فما كان في هذه الحادثة لعلي من موقف، بعد رجوع المصريين وحصارهم الدار ارسل عثمان على علي ليخلصه، فذهب علي الى المصريين ،

¹عبد الكريم، الثورة على عثمان، ص56.
²ابن أعمم الكوفي، كتاب الفتوح، 412-411/2.
³البلاذري، أنساب، 220/6

فأعلموه بالكتاب ، فدخل على عثمان ، فماذا قال عثمان ، أنكر معرفته بالكتاب ، وجهله بمن ختم بخاتمه ، وعدم معرفته ببيعير الصدقة الذي ركب عليه غلامه ، وعندما سأله علي ، من فعل هذا ومن تتهم ، قال له : أتهمك وأتهم كاتبني⁽¹⁾ .

يتهم عثمان كاتبه وعلي بن ابي طالب ، وهو يعرف أن اقرب المقربين اليه كاتبه مروان بن الحكم هو من قام بذلك ، على الرغم من معرفة المصريين لخط مروان⁽²⁾ .

فالمصريون يصرون على أن مروان هو من فعل ذلك وشكوا في عثمان ، وسالوه أن يدفع اليهم مروان ، فأبى وكان مروان عنده في الدار ، والمصريون لا ينفكون مطالبين بتسليم مروان حتى يمتحنوه في أمر الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد بغير حق ، فأن يك عثمان عزلناه ، وأن يك مروان كتبه على لسانه ، نظرنا في أمره⁽³⁾ .

لقد كان علياً في غاية الحلم عندما سمع عثمان يتهمه ، فقد ترك الدار وخرج ، لكن المشكلة بخروج علي هل انتهت ، أن خروج علي من الدار ولد مشكلة أخرى أشد تعقيداً ، فقد كان الوسيط بين الثوار وعثمان ، وخروجه يعني انتهاء تلك الوساطة وتخلي علي عنها⁽⁴⁾ .

وخرج عثمان من الدار وصعد المنبر ، واقسم ان لم يكتب ، ولا يعرف من كتب ، وهم يقولون له لا نصدق على يمينك .

خليفة رسول الله لا يصدق على يمينه ، وأتهم من يقوم بالوساطة ليخرجه منها مكرهاً دون أن يعلم ، وكان هناك من يوجه تلك المعركة في الخفاء والتي تدور عكس مصلحة الخلافة والمسلمين ، وعثمان كان في علم أن الامور تسير في غير صالحه ، فهو يقول لهم : فوالله لنن قتلتموني لا

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 210/6.

⁽²⁾ عبد الكريم، الثورة على عثمان، ص208.

⁽³⁾ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/107.

⁽⁴⁾ الخالدي، الامام علي رجل كل العصور، ص56

تتحابون بعدي أبدأ، ولا تصلون جميعاً بعدي أبدأ، ولا تقاتلوا بعدي عدوا جميعاً أبدأ⁽¹⁾.

ويبدأ الحصار الطويل، الثوار تأخذهم سويغات السكون، وعزيمة الانتفاضة، فلا يجدوا سبيلاً لها ، وفي اعناقهم مهمة يريدون رضى الله بها كما يدعون ، ويرسل علي بن ابي طالب ولديه للذود عن عثمان ، وعندما يشتد العطش على عياله يرسل اليه قرباً فيها ماء، لكن الامر يخرج من الجميع ويقتل عثمان وسط عياله وقلة المدافعين عنه ليذهب مظلوماً الى دار حقه، بعد أن قدم ماله وحياته للاسلام منذ أن دخل الاسلام قلبه⁽²⁾.

وكان قتله لثمان عشر خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية ،يوم الجمعة ،وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوماً ، وقيل الا ثمانية ايام⁽³⁾.

¹ الشيباني، أخطاء الخليفة عثمان، ص 77

² البلاذري، أنساب، 6/216.

³ البلاذري، أنساب، 6/212.

المبحث الثالث: عمال الإمام علي (عليه السلام) على الامصار

عند مقتل عثمان وتولى الخليفة علي بن ابي طالب عام ستة وثلاثين هـ ، كان أول عمل قام به هو عزل ولاية عثمان بن عفان الذين كانوا سبب المشاكل التي عصفت بالدولة الاسلامية، فقد رفض الإمام (عليه السلام) إبقاءهم ولو لمدة محدودة لحين استقرار الأوضاع بعد مقتل الخليفة عثمان فقد دخل المغيرة بن شعبة وقال : " 000 وانا لك ناصح وانا أشير عليك أن ترد عمال عثمان عامك هذا ، فأكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوا لك وأطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت ، فقلت له : والله لا اداهن في ديني ولا أعطي الرياء في أمري ، قال : فأنت كنت قد أبييت فأنزع من شئت واترك معاوية فأنت له جرأة وهو في أهل الشام كلها ، فقلت له : لا والله لا استعمل معاوية يومين أبداً 000" (1).

وشار عليه ابن عباس بنفس الرأي إذ قال : " لأنك تعلم إن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالوا بمن ولى هذا الأمر وحتى تعزلهم

(1) المسعودي ، مروج الذهب ، 364/2.

يقولوا : اخذ هذا الأمر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك ،
فينتفض عليك أهل الشام واهل العراق 000" (1).

ولكن جواب الإمام(عليه السلام) كان قاطعاً من دون مهادنة فأجاب
ابن عباس قائلاً: " ما ذكرت بإقرارهم فو الله ما اشك أن ذلك خير في
عاجل الدنيا لإصلاحها ، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال
عثمان فو الله لا أولى منهم احد أبدا ، فإن قبلوا خير لهم ، وأن أدبروا
بذلت لهم السيف 000" (2).

، وكان ممن عزلهم الإماموالي اليمن يعلي بن أمية ، فلما علم الخبر
قام : " فجمع يعلي بن أمية كل مال جباة وخرج سار على حاميته إلى مكة
فقدمها بالمال" (3).

وأكد ابن الوردي ذلك بقوله : " خرج يعلي بن أمية عامل عثمان عليها
واخذ الحواصل ولحق بمكة وصار مع عائشة وطلحة والزبير وسلم إليهم
المال" (4). ومن ثم أقدم(عليه السلام) على توزيع عماله على الامصار، فبعث
عثمان بن حنيف على البصرة، وعماره بن شهاب على الكوفة، وعبيد الله
بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على
الشام.

رفض معاوية الانصياع إلى أوامر العزل التي صدرت إليه من الإمام
علي (عليه السلام) في التنحي عن ولاية الشام وتسليمها لواليه الجديد سهل
بن حنيف بدعوى أن على الخليفة أن يحاسب قتلة عثمان أول الأمر قبل

(1) الطبري ، تاريخ ، 179/3.

(2) الطبري، تاريخ، 179/3.

(3) مسكوية ، تجارب الأمم ، 297/1.

(4) تاريخ ابن الوردي ، 208/1.

أن يأمر بعزل الولاة الذين عينهم ولذلك رفع قسم من الولاة راية العصيان و التمرد ضد الخليفة الجديد وكان على رأس هؤلاء معاوية بن أبي سفيان الذي مكنته ولايته من تكوين حزب قوي مما فرض على الإمام علي(عليه السلام) التحرك عسكرياً لإنهاء هذا التمرد.

إن الأمر الذي أقدم عليه الإمام من اتخاذ موقف صارم من معاوية والمنظمين اليه هو ما كان يدور في خلد ان بقاءهم سوف يولد مفسدة كبيرة ، حتى ذهب احد الباحثين إن حرب الإمام علي(عليه السلام) لهؤلاء هو حرب على الفساد لأنهم مفسدون في الأرض مستنداً إلى معاملتهم معاملة قطاع الطرق⁽¹⁾ ، وقد أكد القرآن على ذلك المعنى بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾.

وعندما أمر الإمام(عليه السلام) بعزل معاوية رفض الانصياع وحاول المخادعة ، فكتب للإمام (عليه السلام): " إن جعلت لي الشام ومصر طعمة أيام حياتك وأن حضرتك الوفاة لم تجعل لأحد بعدك في

(1) المياحي ، شكري ناصر عبد الحسين ، الإمام علي دراسة في فكره العسكري ، أطروحة دكتوراه غير

منشورة ، (جامعة البصرة ، كلية الآداب ، 2005م) ، ص34-36.

(2) سورة المائدة : الآية : 33 .

عنقي بيعة بايعتك ، فقال علي : لم يكن الله عز وجل ليراني اتخذ المضلين عضداً "(1).

قال ابن قتيبة : " وإنما أراد معاوية في طلبه الشام ومصر أن لا يكون لعلّي في عنقه بيعة وأن يخرج نفسه فيما دخل فيه الناس ، فكتب إلى علي يسأله ذلك ، فلما أتى علي كتاب معاوية عرف انها خدعه منه "(2).

وبعد أن صفى الشام كله لمعاوية كانت عين معاوية على مصر وكان الإمام(عليه السلام) قد ولى "قيس بن سعد"(3)، والياً واستطاع سعد من إحكام سيطرته على مصر وهو مما يخافه معاوية فحاول استمالته "(4).

وقال الكندي بشأن قيس : " وكان من ذوي الرأي والبأس 000فكان معاوية وعمر جاهدين أن يخرجاه من مصر ، فتغلب على أمرهما ، وكان قد امتنع منهما بالدهاء والمكايدة ، فلم يقدر عليه 000"(5).

وعندما يؤسس معاوية من استمالة قيس أو مكاييدته عمد إلى أسلوب جديد تمثل بأن يكيد على سعد عند الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) ،

(1) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج 1 ، ص 161 .

(2) المصدر نفسه ، 86/1.

(3) وهو قيس بن سعد بن عباد ، أبو عباد بن سليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن حارثة ، سيد الخزرج وابن سيدهم ، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه ، لم يزل مع الإمام علي إلى استشهاد الإمام فرجع إلى وطنه ، وهو صاحب لواء النبي ﷺ في مغازيه ، وكان والي الإمام علي على مصر ، واستعمله النبي ﷺ على الصداقات ، وكان جود قيس يضرب به المثل وكذلك دهاؤه ، وعزله الإمام عن مصر بمكيدة من معاوية واستقدمه إليه ، وبعث معاوية يولب مروان ويقول : أمددتما علياً بقيس ؟ والله لو أمددتما بمائة ألف مقاتل ما كان بأغيظ علي من إخراجكما قيساً له ، للمزيد ، ينظر : الذهبي ، سير إعلام النبلاء ، 57-53/4.

(4) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 173/2.

(5) أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، الولاة والقضاة ، تحقيق : إسماعيل محمد حسن واحمد فريد الزبيدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003 ، ص 21.

فقال معاوية لأهل الشام : " لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه ،
فأنه لنا شيعة يأتينا كيس نصيحته سراً ، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذي
عنده من أهل خربتا يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم
ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم000"(1).

فشاع ذلك في الناس إن قيساً قد صالح معاوية(2)، فعزله الإمام علي
(عليه السلام) وعين محمد بن أبي بكر مكانه ، فلما بلغه الخبر فعلم قيس
انه مكر من معاوية ، فقال : " لو لا الكذب لمكرت بمعاوية مكرأ؟ يدخل
عليه بيته واقبل على علي "(3).

شهدت فترة الإمام علي(عليه السلام) حالات فساد إداري ومالي من بعض
الولاة ، فقد كان واليه علي (أردشير) مصقلة بن هبيرة يوزع الغنائم على
أقاربه فبلغ ذلك الإمام علي(عليه السلام) فكتب إليه : " أنك تقسم في
المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتملك
من أفراد قومك000"(4) ، ووصف الثَّقَفي الولاة والعمال في خلافة الإمام
علي (عليه السلام) بقوله : " وكان أصحابه لما نزل بقلوبهم من الفتنة
والبلاء والركون إلى الدنيا يغدرون ويختانون مال الخراج ويهربون إلى
معاوية000 وكان يوليهم الولايات والإعمال فيأخذون الأموال ويهربون إلى
معاوية "(5)، وهذا ما كان ينكره الإمام (عليه السلام) من عثمان بإعطاء
أقربائه من دون الناس.

ومن الذين أخذوا الأموال وهربوا إلى معاوية " يزيد بن مجيبه" فقد
استعمله الإمام علي (عليه السلام) على الري ودستى فقام " فكسر الخراج

(1) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 3 ، ص 236-237.

(2) المصدر نفسه ، ص 237.

(3) البلخي ، البدء والتاريخ ، ج 2 ، ص 229.

(4) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج 16 ، ص 175.

(5) الغارات ، ص 357.

واحتجن المال لنفسه فحبسه الإمام علي وجعل معه مولى يقال له سعد ،
فهرب يزيد وسعد نائم ولحق بمعاوية وقال في ذلك شعراً :
وخادعت سعداً وأتمت بي ركائبي الى الشام وأخترت الذي هو أفضل
وغادرت سعداً نائماً في غيابه وسعد غلامٌ مستهل مزلل (1)
فقال الإمام (عليه السلام) : " اللهم إن يزيد بن جحيه هرب بمال المسلمين
، ولحق بالقوم الفاسقين000" (2).

كان مصقلة بن هبيرة عامل الإمام علي (عليه السلام) على أقصى كور
الأهواز ، فنزل عليه معقل بن قيس الرياحي ومعه سبي قد أصابه من
النساء من ساحل البحرين ، فصاحت به النسوة " فاشتراهم بثلاثمائة ألف
درهم واعتقهم وادي من المال ألف درهم وهرب إلى معاوية فقال علي :
قبح الله مصقلة000 وفي ذلك يقول مصقلة بن هبيرة :

وفارقت خير الناس بعد محمد لمال قليل لا محالة ذاهب " (3)

وكان الأشعث والياً لعثمان على أذربيجان ، فكتب إليه الإمام علي(عليه
السلام) قال : " وأن عملك ليس لك بطعمة ؟ ولكنه في عنقك امانة000 وفي
يديك مال من مال الله تعالى ، وأنت من خزانة حتى تسلمه الى
اهله000" (4).

وعند وصول كتاب الإمام (عليه السلام) إلى الأشعث جمع أهل بيته وثقته
واستشارهم وقال : إن كتاب علي جاءني وقد أوحشني وهو اخذي بمال
أذربيجان وأنا لاحق بمعاوية ، فقال القوم : الموت خير لك من ذلك
000" (5).

وأورد البلاذري " أن علياً ولى الأشعث أذربيجان فأقره عليها
يسيراً000 فكتب إليه بالقدوم فقدم الكوفة من حلوان فحاسبه على مالها ،
ومال أذربيجان ، فغضب وكاتب معاوية000" (6).

(1) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج16 ، ص179.

(2) المصدر نفسه ، ج16 ، ص362.

(3) المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ، ص419.

(4) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج14 ، ص33.

(5) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج1 ، ص84.

(6) انساب الإشراف ، ج2 ، ص207.

وولى الإمام علي (عليه السلام) "المنذر بن الجارود"⁽¹⁾، فارساً فأختان من خراجها وكان أربعمائة ألف درهم فحبسه الإمام علي (عليه السلام) وأمره يدفعها فتشفع فيه "صعصة بن صوحان"⁽²⁾ ، وكفله بالمال فأطلقه الإمام علي (عليه السلام)⁽³⁾.

وفعل كثير من ولاية الإمام علي (عليه السلام) ذلك فقد أقدم عامله على "كسكر"⁽⁴⁾، القعقاع بن ثور فأصدق امرأته مائة ألف وأيم والله لو كان كفواً كفواً لها لما أصدقها مائة ألف⁽⁵⁾.

وولى الإمام (عليه السلام) النعمان بن عجلان على البحرين ، فأخذ مال البحرين فلما بلغ ذلك الإمام (عليه السلام) كتب إليه : " أما بعد فإنه من استهان بالأمانة ورغب في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه ، اخل بنفسه"⁽⁶⁾000.

وأستعمل الإمام (عليه السلام) عبد الله بن عباس على البصرة⁽⁷⁾، وعين "أبو الأسود الدؤلي"⁽¹⁾، على بيت المال ، فكتب أبو الأسود إلى الإمام

(1) المنذر بن الجارود العبدى : ولد في عهد الرسول وشهد مع الإمام علي عليه السلام واقعة الجمل ولاء اصطر ثم عزل عنها لخيانة ، وكان متهماً في دينه ومن شنيع إعماله إن الإمام الحسين عليه السلام كتب إليه في جملة من إشراف البصرة يدعوهم إلى نصرته فأرسل الكتاب مع مولى له يقال له سليمان فقبض على الرسول وسلمه إلى ابن زياد فصلبه ، وكان أول رسول يصلب في الإسلام ، ويعتقد أنه تقرب به لابن زياد وقد تزوج ابن زياد ابنة المنذر في تلك الأيام ، وجزاه ابن زياد على ذلك وولاه السند توفي هناك سنة (61هـ) ، فكانت أمرته كلعقة الكلب ، للمزيد ، ينظر : الثقفى ، الغارات ، ص 357-358.

(2) صعصة بن صوحان : وهو أبو طلحة أحد خطباء العرب من كبار أصحاب الإمام علي ، قتل أخوه يوم الجمل ، فأخذ صعصة الراية ، يروي عن الإمام علي وعن ابن عباس ، كان شريفاً مطاعاً ، وفد على معاوية فقال له معاوية : أني ابغض أن أراك خطيباً ، قال : وأنى لأبغض أن أراك خليفة ، للمزيد ، ينظر : الذهبي ، سير إعلام النبلاء ، 4/286.

(3) المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار ، تحقيق وتعليق : محمد باقر المحمودي ، (طهران ، لا.مط ، 1992م) ، 34/292.

(4) كسكر : وهي إحدى قصبات فارس ، وهي كورة سهلة وكانت قصبتها قبل تمصير واسط خسرو سابور ومن نواحيها المشهورة المبارك وعيدني والمذار وتعياميسان ، واقام البريد ، ومن صفاتها قوة أهلها وكثرة غلاتها وخراجها ، للمزيد ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/522-523.

(5) المجلسي ، بحار الأنوار ، 34/292.

(6) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2/188.

(7) المصدر نفسه ، 2/188.

علي(عليه السلام) قائلاً : " 000 وأن عاملك وابن عمك قد أكل ما تحت يده بغير علمك ، ولا يسعني كتمانك ذلك "000"⁽²⁾.

فكتب الإمام (عليه السلام) بعد ذلك إلى ابن عباس وكتب ابن عباس إلى الإمام(عليه السلام) نافيةً التهمة التي وجهت إليه ولكن الإمام (عليه السلام) أصر عليه أن يرفع إليه حساب ما أخذ فكتب إلى الإمام : " قد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك إني رزأته من مال أهل هذه البلاد ، فأبعث إلي عملك من أحببت ، فأني طاعن عنه والسلام "⁽³⁾ ، فكتب الإمام علي إلى ابن عباس : " فأني قد أشركتك في أمانتي ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثق عندي منك بمواساتي وموازرتي بأداء الأمانة ، فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك 000" قلبت له ظهر المجن "⁽⁴⁾ ، ففارقته مع القوم المفارقين وخذلته أسوأ خذلان وخنته مع من خان 000 فوالله لو إن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كان لهم عندي هوادة ولما تركتهما لأخذ الحق منهما والسلام "⁽⁵⁾.

فلما شخص من البصرة حمل معه مال هو ستة آلاف ألف في الغرائز⁽⁶⁾، واتبعه أهل البصرة وأرادوا اخذ المال منه لكن أخواله بني هلال منعوهم من ذلك⁽⁷⁾ ، وأورد ابن عبد ربه " انه اشترى بهذه الأموال ثلاث مولات حجازيات يقال لهن شاذن وحوراء وفتون بثلاثة آلاف دينار 000"⁽⁸⁾.

(1) أبو الأسود الدولي : ظالم بن عمرو بن سليمان بن جندل بن خلس بن الدليل ، وأمه كان شيعياً شهد صفين مع الإمام علي وهو الذي وضع العربية ، توفي في البصرة ، للمزيد ، ينظر : البلاذري ، أنساب الإشراف ، 47-37/10.

(2) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 3 ، ص 321.

(3) البلاذري ، أنساب الإشراف ، ج 2 ، ص 125.

(4) وهو مثل يضرب لما كان على صاحبه لمودة ورعاية ثم مال عن العهد ، للمزيد ، ينظر : الميداني ، احمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم النيسابوري ، مجمع الأمثال ، قدم له وعلق عليه : نعيم حسين زرزور ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1986م) ، ج 2 ، ص 122.

(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج 4 ، ص 328.

(6) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 3 ، ص 321.

(7) أبي مخنف ، نصوص ، ج 1 ، ص 253.

(8) العقد الفريد ، ج 4 ، ص 327.

وأرود الطبري عدة روايات حول هذا الموضوع أشار في واحدة منها إلى بقاء ابن عباس في البصرة وعدم خروجه منها حتى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) مما يدلّ على نقض هذه الرواية⁽¹⁾.

في حين أشار أحد الباحثين إلى إن سرقة أموال البصرة من ابن عباس أصابها من المبالغة والتهويل الكثير⁽²⁾.

وكان أبو برده بن عوف الأزدي عثمانياً ، ولكنه شهد مع الإمام علي(عليه السلام) صفين ولكنه كان ممن يرسلون معاوية ، فلما ظهر معاوية اقطعه قطيعة في الفلوجة وكان عليه كريماً⁽³⁾.

ومن الذين فارقوا الإمام علي وذهبوا إلى معاوية النجاشي الشاعر إذ بلغ الإمام علي انه شرب الخمر أول يوم من رمضان فأمر الإمام علي " 000فأتي به علياً فلما أصبح أقامة في سراويله فضرب ثمانين سوطاً ثم زاده عشرين سوطاً ، فقال يا أمير المؤمنين أما الحد فقد عرفته ، فما هذه العلاوة التي لا تعرف ، قال : لجراتك على ربك وإفطارك في رمضان " (4)

كانت شدة علي في تعزيز العدالة كبيرة فهو لن يرضى بفعل خارج عن حدود الشرع، ويحاسب عماله بقسوة، وعلي لا يحيد عن جلد عامله ، كما كان مع القعقاع بن شور عندما ولاه ميسان فأخذ مالها ولحق بمعاوية ، وهي خيانه ترقى بجرمها الى جرم شرب الخمر، وكذا فعل الاشعث بن قيس بمال أذربيجان، وكذلك تولية ابي موسى الحكم في صفين وهي سابقة لم تقع بالاسلام قبلها، فكان رد علي مطابق لحكم الاسلام.

كان علي ميالاً الى تولية الذين يجد فيهم منافع للناس، ويحفظون حقوقهم ، ويصيغون العدل عليهم،وقد أخذ علي أنه ولى اقاربه عمالة الامصار،

(1) تاريخ الطبري ، ج 3 ، ص 320.

(2) العيساوي ، علاء كاظم صالح ، النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي ابن أبي طالب ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة البصرة : كلية التربية ، 2005م) ، ص 165.

(3) المنقري ، نصر بن مزاحم ، وقصة صفين ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، (قم : مكتبة المراكشي ، 206م) ، ص 5.

(4) النقي ، الغارات ، ص 367..

حتى روي أن الاشر قال: على ماذا قتلنا الشيخ أمس⁽¹⁾، لكن تحليل هذا الامر فيه ان عثمان لم ينقم عليه تولية الاقارب، بل من حيث انهم كانوا أهل الظنة والتهمة، ولعل أهل الامصار كانوا يعددون مثالب عمال عثمان ويريدون أحقاق الحق بين الناس ، فكانوا يرسلون الوفود والكتب ، لكن الامر لم يحقق لهم شئ فكانت الفتنة والنهاية المأساوية لعثمان فيها.

كان عمال علي من النوع الذي يريد أن يرضي الناس بهم، ولم يصل الى أحد الامصار عامل لعلي وقيل عنه كذا وكذا، فالوليد عندما دخل الكوفة مرّ على مجلس عمرو بن زرارہ النخعي، فقال عمرو: يا معشر بني أسد، بنسما أستقبلنا به أخوكم أبن عفان، أمن العدل أن ينزع عنا ابن ابي وقاص ، الهين اللين، السهل القريب، ويبعث بدله أخاه الوليد، الاحمق الماجن الكافر قديماً وحديثاً!، وقالوا: اراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد⁽²⁾.

لعل وصية علي يوم بعث مالك الاشر لتولي مصر ، خير مثال على عدل الخليفة ، [بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أمر به عبد الله علي امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها ، وجهاد عدوها وإستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وأيثار طاعته، واتباع مأمرو في كتابه في فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد الا باتباعها ، ولا يشقى الا مع جحودها وأضاعتها]⁽³⁾.

بالصورة الواضحة وبلا رتوش يكتب علي بن ابي طالب عهداً الى الاشر ، فيه ما يريد أن يطبق في مصر ، وهذا التطبيق هو إعزاز للاسلام .

ويستمر علي في وصيته [ثم أعلم يا مالك ، اني وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك]⁽⁴⁾.

لعل الأمر في الوصية فيه تذكير لمن يتولى الامر على المسلمين ، فالناس تنظر الى الوالي بعيار وقياس الوالي الذي سبقه.

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 26/3.

⁽²⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 22/3.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 36.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، 36/17.

لم يكن الامام علي غافلاً أمر الناس وطمعهم في الولاية ، وطمع الوالى بالناس ، لا عزاز موقعه وتلطيف صورته أمام الخليفة، لكن علياً يعرف أن طريق الحق الصعب ، فهو يكتب الى كل عماله ، ويطالبهم بانصاف الناس في أنفسهم ، ولا تحشموا أحداً ، ولا تضربن أحد بسوط، هكذا يربي علي بن ابي طالب عماله.

ولم يكتف علي بهذا ، بل أنه يذكر ويعزز ما يطلب منهم الدين في صلاتهم ، فيقول: أما بعد فصلوا بالناس ظهراً حتى تفيء الشمس مثل مريض العنز، وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان ، وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ، ويدفع الحاج الى منى ، وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل، وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه ، وصلوا بهم صلاة أضعفهم ، ولا تكونوا فتانين.

والامر المهم في هذا الكتاب أن الخليفة يعلم الناس الفروض ، والتي تعلمها الناس من الرسول(ﷺ) ومن الصحابة من المهاجرين والانصار ممن رافق رسول الله (ﷺ) في دعواه.

وكتب الى كل عماله ، ولم يبخل عليهم بنصيحة، وتلك كانت ديدنه في حياته قبل الخلافة وفي تسنمها.

بل أن علياً كان يخطب الناس في أحياناً كثيرة حين يولي أحدهم الامارة ، فيقول لاهل البصرة عندما ولى عبد الله بن عباس عليهم : يامعاشر الناس ! قد أستخلفت عليكم عبد الله بن عباس ، فأسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فأن أحدث فيكم أو زاع عن الحق أعلموني أعزله عنكم ، فأنني أرجو أن أجده عفيفاً تقياً ورعاً ، واني لم أوله عليكم ألا وانا أظن ذلك به ، غفر الله لنا ولكم⁽¹⁾.

كان علي يطلب من الناس أن يكونوا عيوناً على ولاته في ممارساتهم بتطبيق الشرع والعدالة بين المسلمين، ولو أنحازوا الى غيرها فإنه لا يطيل

⁽¹⁾المحمودي، محمدباقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر، 1418هـ، 452/1.

بقاءهم ويستعجل رحيلهم عن مناصبهم، وتلك غاية الاسلام في عزل من لم يكن أهل لها. وقد كان جل عمال علي من الثقة والامناء وأصحاب المشورة والرأي.

ويبقى علي بن ابي طالب في الخلافة ، وهو يوجه عماله على الامصار ، بما يرضي الله ويحقق العدل الاجتماعي والتطبيق الحرفي لمبادئ الاسلام.

الفصل الثالث

التحضير لمعركة الجمل من قبل المعسكر المعادي لحكم أمير المؤمنين (عليه السلام)

المبحث الأول، بين علي (عليه السلام) ومعاوية

المبحث الثاني: موقف عائشة من مقتل عثمان (رض) والمطالبة بدمه

المبحث الثالث: قدوم الولاة على عائشة

المبحث الرابع: طلحة والزبير والاعداد للخروج

المبحث الخامس: طلحة والزبير وعائشة في مكة

المبحث السادس: الخروج الى البصرة

المبحث السابع: موقف الخليفة من الحرب قبل نشوبها

المبحث الأول: بين علي (عليه السلام) ومعاوية

ويكتب التاريخ ما يريد ، وتتفاضل الافكار في طرح ما يدور في خلجات النفس ، وتقارن ، وتنقد ، وتحاول أن تصل في نهاية المطاف لصيغة التوافق في الرأي بين أن ترى داعي الحق ، وراعي الصدق ، وبين من يريد أن يضع اسمه علماً في التاريخ، ولكن برتوش لم تعرفها سياقات الحكم، ولاأقرتها دساتير الدين ، فالحق حق أينما كان والباطل يبقى في دائرة الحصر ، وعليه بريق السؤال ، هل أنت قرين من تزايد عليه؟

ولا يوجد شيء للمقارنة بين سهل وجبل ، فكلاهما تراب، لكن ما يخزنه الجبل ، لا يودع في سهل، وكذا هي الخصال مهما تعالت نفس الانسان في سموها ، فإن العودة الرتيبة الى الثرى هي الخاتمة.

كانت الدولة العربية الاسلامية صغيرة المساحة في خلافة الخليفة الاول ، وتوسعت بعض الشيء في خلافة عمر بن الخطاب ، وكذا في خلافة عثمان، وكان وجود العامل القوي في الشام شرطاً ملزماً لحماية حدود الدولة الفتية، وكان معاوية يقوم بهذه المهمة خير قيام، لأنه لم ينس أطماع بني أمية في تولى الخلافة ، ولعل موقف أبو سفيان بعد ان سلم الرسول الكريم (ﷺ) الروح الى بارئها، حين قال لعلي بن ابي طالب [أبسط يدك لابايك ، ورب ما عبد ابي سفيان لأملأنها خيلاً ورجالاً⁽¹⁾ .

⁽¹⁾أبن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،3/245.

بهذا الشكل المريب كان ابو سفيان ينظر الى السلطة، وكان الاسلام لم يدخل قلبه من قريب أو بعيد، وكان صحبة رسول الله (ع)، وفضل المهاجرين والانصار بعيد في هذه المسألة⁽¹⁾.

ولو كان الاسلام دخل قلب أبي سفيان ، لما اردف قولاً سيملوها خيلاً ورجالاً،فهو يقسم برب ما يعبد وأظن بأنه لا زال يعبد اللات والعزى ، ولكن ظاهر الامر يعبد الاسلام⁽²⁾.

ولم تفت تلك المكيدة تنطلي على علي بن ابي طالب الذي نهره وأنبه، وتكرر الموقف في خلافة عثمان ، وكان ابو سفيان قد فقد بصره ليقول لعثمان ولبني أميه [بأن الخلافة بين أديكم فتلقفوها تلقف الكره]⁽³⁾، وفي بعض المصادر زاد فقال [فإنه لاجنة ولانار]⁽⁴⁾.

كان ينظر للمجد بعين واحدة ، عين لا تسع النور وقد علاها ، ولا قلب أدرك مغزى الاسلام ومعناه، وكيف له أن يعرف وهو الذي لم يسلم الا يوم فتح مكة مع ولده معاوية ليكون ابن الطلقاء.

لم تكن العلاقة طيبة بين علي ومعاوية، بل أن تلك العلاقة التي تربطها القربى بين الطرفين ، كانت أشد عداوة ، منذ أن أولد عبد مناف ، اولاده الاربع عبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب ، فأولد عبد شمس أمية ، وأميه اولد صخر ، وصخر أولد ابا سفيان ، ثم معاوية ، فهي سلسلة أنقسمت على نفسها منذ ذلك التاريخ، ولم يكن بين الطرفين الا شتات الامر، وتوارثوا العداء المبطن⁽⁵⁾.

وكانت مواقف ابو سفيان من الرسول الكريم(ع) كثيرة في عداونه وفي محاربته، بل والاساءة اليه ، حتى من زوجه هند التي قتل اباها واخاها علي بن ابي طالب يوم بدر، ولم يقف ركب العداء لرسول الله (ع) الا بفتح مكة ،

⁽¹⁾البدران، علي، حقيقة اسلام الأمويين، دمشق، دار العرب، 1988، ص32.

⁽²⁾المصدر نفسه، ص41.

⁽³⁾ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغه، 245/4.

⁽⁴⁾الشيخ المفيد، لأبو عبد الله محمد النعمان الكعبري، النصر فليسيد العترة، قم، مكتبة الاعلام الاسلامي، 1413 هـ، ص154.

⁽⁵⁾البدران، حقيقة اسلام الأمويين، ص48.

ويرى ابو سفيان الجيش الاسلامي زاحف الى مكة ليقول للعباس بن عبد المطلب : أن ملك ابن اخيك كبير، فيرد عليه العباس: بل هي الرسالة.

كان علي شديداً على معاوية في المشورة للصحابه والتابعين، وقبل مقتل عثمان الذي دعا فيه علي وطلحة والزبير ، تكلم معاوية في الصحابة ودعاهم الى طمع الناس فيهم لو اختلفوا، فألتقت اليه علي بن ابي طالب قائلاً: ما لك ولذلك لا أم لك⁽¹⁾.

كان ينظر اليه بترقب ويتوجس منه، وعندما اراد عزل من يريد من عمال عثمان، أبتدأ به، وكان رد معاوية سريعاً، فالريية والتوجس موجودة عند الطرفين ، وكل ينظر لصاحبه بطرف عين.

لذا عندما تبوأ معاوية الخلافة جعل شتيمة علي بن ابي طالب على المنابر سنه، وجعل خطبة الجمعة تسبق الصلاة حتى يستمع الناس للشتيمة، وكان هدف معاوية من ذلك زرع البغض في نفوس الناس لعلي بن ابي طالب ، فكان معاوية يقول في آخر خطبة الجمعة " اللهم ان أبا تراب ألد في دينك وصد عن سبيلك فألعنه لعناً وبيلاً وعذبه عذاباً اليماً"، وارسل معاوية الكتب الى الامصار بترديد تلك الشتيمة على المنابر بعد كل صلاة جمعة، واول تلك الامصار الكوفة والتي عليها المغيرة بن شعبة ، الذي استمرت ولايته سبع سنين وأشهر ، وكان المغيرة لا يدع ذم علي والنيل منه.

ارسلت أم سلمة رسالة الى معاوية تقول فيها" أنكم تلعنون الله ورسوله(ع) على منابركم، وذلك انكم تلعنون علي بن ابي طالب ومن أحبه، وانا أشهد أن الله ورسوله أحبه"⁽²⁾.

ويعرف معاوية من هو علي بن ابي طالب، وما كان له بالاسلام من سابقة، وهو الذي ولدته فاطمة بنت اسد في بطن الكعبة عندما جاءها المخاض وأنفرد ابن ابي طالب بتلك الميزة التي أكرمه الله بها من دون الخلق، وذكر أن قریشاً عندما طردت بني هاشم من مكة الى شعابها، وأصبح بنو هاشم

⁽¹⁾.ابن الاثير، الكامل، 279/3.
⁽²⁾ابن عبدربه، العقد الفريد، 288/4.

في رزية، عندها أتفق بعض ابنائها على التخفيف عن أبي طالب ، وعندما وصلوه قال " خذوا من شئتم الا عقيلاً"⁽¹⁾، فأخذ كل واحد منهم فتى ، وكان علي من حصة رسول الله (ﷺ)، حيث عاش علي في داره ، ثم تقوى شكيمة المسلمين، وعند بدأ الرسالة كان علي أول الرجال ايماناً بالرسول الكريم(ﷺ)، وخرج ابو طالب يوماً وبصحبه ولده جعفر ، فشاهد الرسول(ﷺ) يقوم ويقعد للصلاة وبجانبه علي بن ابي طالب، فقال لجعفر: صل جناح ابن عمك.

ويقف علي بن أبي طالب مع الرسول الكريم(ﷺ) في كل المواقف التي تطلبت وقوفه ، وما كان ذلك بجديد على علي، وقريش تعرف ذلك التواصل بين الطرفين في كل الملمات.

ويزداد المشركون قسوة ويقرر الرسول الكريم (ﷺ)الهجرة الى يثرب ، ويخرج الجميع وينام علي بن ابي طالب في فراش الرسول الكريم (ص)، حيث يواجه المشركين لوحده ، وتبدأ المرحلة الثانية من الدعوة ، ومعها تبدأ مرحلة الجهاد، ويزحف المشركون باتجاه المدينة وتقع معركة بدر ، ويقتل علي بن ابي طالب نصف قتلى بدر⁽²⁾.

ويتزوج علي بن ابي طالب بفاطمة بنت رسول الله (ﷺ)وهي أحب الناس عنده ، وأصغر بناته، بعد زينب ورقية وأم كلثوم،تزوجها علي بن ابي طالب في السنة الثانية للهجرة⁽³⁾.

دخل الرسول الكريم(ﷺ) على فاطمه فقال لها: أي بنية إن ابن عمك علياً قد خطبك فماذا تقولين؟ فبكت، ثم قالت: كأنك يا أبت دخرتني لفقير قریش ، فقال: والذي بعثني بالحق ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السماوات ، فقالت فاطمة: رضيت بما رضى الله ورسوله(ﷺ) ، ثم خرج من عندها وأجتمع المسلمون اليه ثم قال: يا علي أخطب لنفسك ، فقال علي: الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله زوجني ابنته فاطمة على صداق مبلغه

⁽¹⁾.المصدر نفسه، 338/4.

⁽²⁾.ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغه، 288/14.

⁽³⁾.ابن حجر،الاصابة في تمييز الصحابة،530/8.

اربعمائة درهم فأسمعوا ما يقول وأشهدوا، قالوا: ما تقول يا رسول الله(ع)؟
قال: أشهدكم أنني قد زوجت⁽¹⁾.

مabal رجل يزوجه الله ، ويرضى بزواجه رسوله(ع)، وهل من المعقول
ومن المنطق أن يكون هذا الرجل في حل من الدين والعقيدة، وهل من
اللائق أن يأمر ويعصي أمره.

قتل علي من قريش نصفهم وفيهم من آل ابي سفيان، وأخ ، وأب هند زوج
أبوسفيان، ثم تأتي معركة أحد ،ويحمل الراية بعد أن قتل مصعب بن عمير
وينادي أبو سعد بن ابي طلحة وهو صاحب لواء المشركين، فيبارزه علي
بن ابي طالب ويضربه ولا يجهز عليه ، وعندما يسأل يقول: لقد أستقبلني
بعورته، ويتكرر الفعل يوم صفين ، مع بسر بن ارطأه وعمرو بن العاص
عندما يبرز ا عورتيهما أمام علي⁽²⁾.

ويُقتل من المسلمين الكثير ، ويُقتل علي من المشركين عدداً، ويدافع عن
رسول الله(ع)وتصيبه في المعركة ستة عشر ضربة.

كان قتال علي امام رسول الله(ع) قتال مجاهد عرف قدر نفسه بايمانه ،
وجالد من أجل الخلود في جنة الله الموعودة ، فقد غمس الاسلام في قلبه
ونفسه فما يبالي ما يوئل اليه الامر ، مادام يدافع عن عقيدته.

وكان يوم الخندق يوماً عظيماً ، تجلت فيها قوة وشكيمة وفراسة علي بن
ابي طالب، وكان مقتل عمرو بن عبد ود العامري، هي الهزيمة التي لحقت
بالاحزاب يوم الخندق، حتى قال رسول الله(ع) : أن ضربة علي يوم الخندق
تساوي عبادة الثقلين.

كان سيف علي هو الحكم الفصل في معركة الخندق بقتله عمر بن
ود،وكانت الراية في غزوة بني قريضة بيده، حاصرهم خمساً وعشرين

⁽¹⁾.ابن كثير، البدايات والنهاية، 432/7.

⁽²⁾.ابن كثير، البدايات والنهاية، 20/4.

ليله، فلما طال عليهم نزلوا وأستسلموا، وفي ذي القعدة سنة ست للهجرة كانت غزوة الحديبية، ويكتب علي بنود الصلح بيده، فيشير في الكتاب الى محمد رسول الله(ع) ويعترض سهل بن عمرو على ذلك ، ويكون الكتاب بين الطرفين مجرد من أي لقب ، وتتكرر هذه الحادثة في صفين.

وفي السنة السابعة للهجرة ، تقع غزوة خيبر، ويعطي رسول الله(ع) الراية الى ابي بكر ثم الى عمر، لكن رسول الله(ع) يقول في الآخر: والله سأعطي الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله⁽¹⁾، وكان علي أرمد العين فبصق رسول الله (ع) عليها فبريء، وتكون الراية بيد علي بن ابي طالب ، ويكون النصر حليف المسلمين، وتسقط خيبر، وفي تبوك يتخلف علي بن ابي طالب عن المعركة بأمر رسول الله(ع) لرعاية أهله ، ويرى الرسول(ع) حالة الانكسار على وجه علي بن ابي طالب ، فيضمه الرسول(ع) الى صدره ويقول: يا علي أنك مني بمنزلة هارون من موسى إلا أن لانيبي بعدي⁽²⁾.

وقال رسول الله (ع) لعلي في موقف عمرة القضاء ، حيث قال لعلي بن ابي طالب " أنت مني وأنا منك"⁽³⁾.

ثم تكون المباهلة مع اليهود ، ويخرج الرسول(ع) بأهل بيته" علي و فاطمة والحسن والحسين ، وفي موقف ثاني يضم الرسول(ع) علياً و فاطمة والحسن والحسين تحت كسائه، مبتهلاً لهم وداعياً .

وفي حجة الوداع يقف الرسول الكريم (ع) على مفترق الطريق في " غدير خم" ليودع المسلمين ويبلغهم أن دعوته أكتملت " اليوم اكملت لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام ديناً" .

ثم يرفع الرسول (ع) يد علي بن ابي طالب ويقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه وعادي من عاداه"⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة 45/5.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 60/5.

⁽³⁾ ابن كثير، تفسير ابن كثير، القاهرة، مطبعة دار التراث، القاهرة 1412هـ، 34/3.

⁽⁴⁾ الحسني، الانتفاضه الشيعية عبر التاريخ، بيروت، مطبعة دار التعارف، 1990،

وينهض عمر بن الخطاب ويقول لعلي " بخ بخ لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ⁽¹⁾ .

وحب رسول الله (ع) لعلي كبير، غزا علي اليمن مع رجل اسمه بريده، ورأى الرجل من علي جفوة، قال بريده: فلما قدمت الى رسول الله (ع) ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله (ع) قد تغير، فقال: يا بريده أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، قلت: بلى يا رسول الله (ع) ! قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ⁽²⁾ .

لما أقبل علي من اليمن ، تعجل لقاء رسول الله (ع)، وأستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسى كل رجل من القوم حلة من البز، كان مع علي، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به اذا قدموا في الناس، قال: ويلك ، انزع قبل أن ينتهي به الى رسول الله (ع)، قال: فانتزع الحلل من الرجال، وأظهر الجيش شكواه بما صنع بهم، وأشتكى الناس علياً فقام رسول الله (ع) خطيباً، فسمعتة يقول: ايها الناس لا تشكوا علياً فوالله انه لاخشن في ذات الله أو في سبيل الله ⁽³⁾ .

ويذكر عبد الله احمد بن حنبل: كنت بين يدي ابي جالساً ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخيين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب، وذكروا خلافة علي بن ابي طالب ، وزادوا فأطالوا، فرفع أبي رأسه اليهم فقال: يا هؤلاء قد أكثرتم القول في علي والخلافه ، والخلافه وعلي، اتحسبون أن الخلافه تزين علياً؟ بل زينها علي ⁽⁴⁾ .

كان الرسول (ع) يوم غدير خم يقول " أن الله أمرني بأمر " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك " ثم قال: بمولاة علي، فقام معاوية وتمطى وخرج مغضباً واضعاً يمينه على عبد الله بن قيس الاشعري، ويساره على المغيرة

ص335.

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/108.

⁽²⁾ ابن كثير، البدايات والنهاية، 5/228.

⁽³⁾ المصدر نفسه.

⁽⁴⁾ (الملغوث، أطلس الامام علي، ص25).

بن شعبة، ثم قام مطمئناً وهو يقول: لا نصدق محمداً على مقالته ، ولا نفر
لعلي على ولايته، فأنزل الله سبحانه وتعالى {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ
كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى }⁽¹⁾ فهم به رسول الله (ع) أن يرده
فيقتله، فقال له جبرائيل: لا تحرك به لسانك لتعجل به ، فسكت عنه⁽²⁾.

تلك بعض صفات علي بن ابي طالب، لا يتعجل الرد ، فالرد يأتي من السماء
وبلسان رسوله الكريم(ع).

أشتكى علي شكاة، فعاده ابو بكر وعمر، وخرجا من عنده، فأتيا النبي(ع)،
فسألهما: من أين جئتما؟ قالوا: من علي بن ابي طالب، قال: كيف رأيتماه،
قالوا: رأيناه يخاف عليه مما به، فقال: كلا أنه لن يموت حتى يوسع غدراً
وبغياً وليكونن في هذه الامة عبرة يعتبر به الناس من بعده⁽³⁾.

فالرسول الكريم (ع) يدرك ما سيحل بعلي بن ابي طالب، ولربما أرادت
السماء أن يكون علي ، للناس درساً ومعياراً وعبرة، انها ارادة السماء
بلسان الرسول الكريم(ع).

خطب علي بالرحبة فقال: ايها الناس ، أنكم أبيتم الا أن أقولها ! ورب
السماء والارض، أن من عهد النبي(ع) الأمي الي، أن الامة ستغدر بك
بعدي ويتشرف علي بدفن الرسول الكريم(ع) وغسله⁽⁴⁾، وهذه الكرامات
لعلي لم تشفع له عندما ناجزه معاوية بن ابي سفيان، فمن هو معاوية.

معاوية بن ابي سفيان

التاريخ لا يرحم في سرد الاحداث، وفي خضم هذا التاريخ يحاول الرواة
والمؤرخون الوصول الى حقيقة الامر الذي مضى عليه سنون طويلة
، فيزيدون ، ويختصرون، وتترك تلك الزيادة والاختصار بصمات جديدة

⁽¹⁾سورة الفياحه، الآية 31ت 32.

⁽²⁾الحسكاني، أبو عبدالله بن عبدالله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، بيروت، مطبعة مؤسسة لاعلمي، 1974م، 4/، 87.

⁽³⁾المصدر نفسه، 4/108.

⁽⁴⁾الحائري، فدك، ص320.

بين تلك السطور لتشوه او تلمع الوجوه ، لكن الحقيقة تبقى سافراً خالداً
ينكشف بين الفينة والفينة، ليقلم بصمات الطمع والخوف التي ارادت ان
تشوه الحقيقة⁽¹⁾.

معاوية بن ابي سفيان بن صخر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن
قصي ، أسلم هو ،ابوه يوم فتح مكة فكان من المؤلفة قلوبهم ، وشهد حيناً ،
ولمكانة ابي سفيان بين قريش ، فكان أحد كتاب الرسائل للرسول الكريم(ع)
، وأمه هند بنت عتبة، قتل ابوها وأخوها يوم بدر ، ولد معاوية بمكة سنة 20
ق. الهجرة⁽²⁾.

كان رسول الله (ع) قد أكد في أكثر من مناسبة ، "أن الخلافة من بعدي
ثلاثون عاماً " فكانت مدة خلافة ابي بكر سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام ،
وخلافة عمر بن الخطاب عشرة سنين وستة أشهر وأربع ليال، وخلافة
عثمان أحد عشر سنة واحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً، وخلافة علي بن
ابي طالب أربع سنين وسبعة اشهر ينقصها يوم واحد ، وخلافة الحسن بن
علي ثمانية اشهر وعشرة ايام.

كان رسول الله(ع) في الرؤيا قد رأى بني أمية على منبره ، فسأه ذلك ،
فأوحى الله اليه ، انما هو ملك يصيبونه، ونزلت الآية {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي
لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ }⁽³⁾، فكانت
خلافة بني أمية ألف شهر.

وروي عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله (ع) يقول: سيظهر على
الناس رجل من أمتي ، عظيم السرم، واسع البلعوم، يأكل ولا يشبع، يحمل
وزر الثقلين، يطلب الامارة يوماً فأن ادركتموه فأبقروا بطنه، قال: وكان في
يد رسول الله (ع) قضيب، قد وضع طرفه في بطن معاوية⁽⁴⁾.

⁽¹⁾الجميل، عادل، الغاية من التاريخ، بيروت، دار المتقف، 1995، ص21.

⁽²⁾السيوطي، الامام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن(ت911هـ) ، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، المكتبة العصرية،
1431هـ، ص175.

⁽³⁾سورة القدر، الآية 1- 2 ت 3.

⁽⁴⁾ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 109/4.

رسول الله (ع) لا يتكلم عن هوى بل هو وحي يوحى ، والرسول (ع) يعبر عن الحدث الذي سيكون في أماره واسع البلعوم، وليس غريباً أن تحدث أشياء كبيرة في الاسلام بسبب ذلك.

تلك دلالات عند رسول الله (ع) بان معاوية سيحدث شرخاً في الدولة الاسلامية.

كما أن الرسول الكريم (ع) يعرف من يكون متهماً بذلك الشرخ ، ويعرف ما سيحصل بعد رحيله الى الباريء.

طلب الرسول الكريم (ع) يوماً معاوية بن ابي سفيان في أمر ، فعاد من أرسل الى الرسول الكريم (ع) وابلغه ، أن معاوية يأكل، فرفع رسول الله (ع) يده الى السماء وقال: "اللهم لا تشبعه أبداً" فكان معاوية إذا جلس على زاد، يأكل حتى يجهد ويقول: "والله ما شبعت ولكن تعبت فكاى" (1).

كان مع أخيه يزيد بن ابي سفيان في فتح الشام ، ولما مات يزيد، أوكله ابو بكر الشام، وعندما مات أبو بكر، أقره عمر بن الخطاب عليها، فهو والى على الشام لمدة عشرين عاماً ، ثم خلفه لعشرين أخرى .

كان بنو أميه ييغضون علياً ، لأسباب كثيرة لعل قتل سادتهم في معارك المسلمين مع قريش أحد اسبابها، فضلاً عن تواتر البغض بين هاتين البيتين قديماً، ولذا فأن بني أميه كانوا يقتلون كل مولود اسمه علي (2).

هذه الهوة الواسعة بين علي ومعاوية في التربية والسلوك، والحياة اليومية، جعلت بني سفيان ينظرون الى الخلاف مجداً ، يرمقونه، ويتحايلون عليه، وكان كبيرهم ابو سفيان أشد فرحاً حين تولى عثمان الخلافة، ليقول تلقفوها تلقف الكرة (3).

⁽¹⁾ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 34/2.

⁽²⁾ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد الشافعي (ت 852هـ)، تهذيب التهذيب، بيروت، دار المعرفة 1380هـ، 213/1.

⁽³⁾ المجذلاوي، سامح، بنو امية والسلطة، عمان، دار العرب، 1999، ص 43

وبين معاوية وعليّ مجد النبوة ، فرسول الله(ع) ابن عم علي بن ابي طالب ، ولعلي السابقة في الاسلام، وقاتل اباسفيان وبني أمية في معارك كثيرة، وأخوه جعفر الطيار ، وهو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين ، فالمجد زرع في هذا البيت ، فكيف يرضى معاوية بالمجد لغيره ، وهو يرى نفسه أنه ابن زعيم من زعماء قريش، ولعلي ولدين من فاطمة هما سيدا شباب أهل الجنة، وهما ريحانة رسول الله(ع)⁽¹⁾.

دخل جعفر يوماً على الرسول (ع)، فقال رسول الله (ع) " شبهت خلقي خلقه" فخرج جعفر يحجل فرحاً.

وكيف لا يجزع معاوية منه، وهو ممزوج بلحم ودم رسول الله(ع).

من كل تلك المعطيات ، ولدت الحالة التي يتعامل بها معاوية مع علي في كل المواقف، فهو يريد أن يكون وأن يلزم الناس بأمر لعل فيه الشك في القول أهون ، فكان حديث رسول الله(ع) في علي وبنيه شوكة يتحمل وخزها معاوية في كل حين.

عمل معاوية طوال حياته في مكة ثم في الشام على ترسيخ حالة اليقين في حكمه ، فأعطى من المال ما أعطى، ولذا فقد أنحدرت اليه كل العقول التي خالفت علي بن ابي طالب، وقاتلت تلك النفوس مع معاوية بغضاً لعل بن ابي طالب⁽²⁾.

⁽¹⁾المصدر نفسه، 55.

⁽²⁾الصيداوي، محمد، معاوية والشام، بيروت، دار العلم للملايين، 1978، ص32.

المبحث الثاني: موقف عائشه (رض) من مقتل عثمان (رض) والمطالبة بدمه

كان مقتل عثمان الشرارة التي أاجت النفوس ، وأشرأبت العيون نحو المدينة، فحدث قتل عثمان لم يكن من الامور العابرة التي لا يعتد بها، فهي حادثة دلت على عمق الشرخ الذي كان موجوداً في نفوس الناس، ولم يكن القتل إلا نتيجة التراكمات في الاختلاف الفكري والنفسي لقيادة الامة الاسلامية ، وقد بدأ هذا الاختلاف في مسألة الشورى ، والتي اصبحت سابقة في اختيار الخليفة⁽¹⁾، فأبو بكر انتخب بدائرة ضيقة وهناك من يرى نفسه لها أجدر وأحق ، وعمر كان توليه الخلافة بعهد من ابي بكر، الا أن عثمان توليها بالشورى وكانت الشورى مشوبة بالعصبية ، ولم يقم عبد الرحمن بن عوف بالامر الا بنظرة القربى والقبيلة، فهو يعرف من يستحقها ، وكان علي بن ابي طالب (عليه السلام) يرى نفسه مظلوماً في الامر ، ولذا قال لعبد الرحمن بن عوف : ليست هي المرة الاولى التي تظاهرت

⁽¹⁾القطان، سعيد، الأحوال السياسية في الدولة العربية الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (رض)، الموصل، مطبعة الجامعة، ص87.

علينا، وعلى الرغم من أنه وقف الى جانب عثمان في مواقف كثيرة ، الا إن مؤيديه كانوا يرون انه المستحق للخلافه⁽¹⁾.

وأجبت الناس أفعال عثمان ومكافأته لأقربائه، ووجود النفس الخبيث الذي يسوق الخليفة الى الهاوية على الرغم من تحذيرات أصحابه ومنهم علي بن ابي طالب (عليه السلام)⁽²⁾.

لم تكن المشورة التي يقدمها أصحاب عثمان إلا دليلاً على بداية انحراف خط الحكم عن المسار الذي رسمه القرآن، وحددته الشريعة، فهو دستور مصدقة من الله ولا يمكن النيل منها أو التلاعب فيها.

وأتسعت الدائرة، دائرة الشك والريبة من أفعال الخليفة وعماله، ولم يكن هناك نفس طيب يحذر الخليفة من اتساع دائرة الظن، بل أن ما يقوم به الصحابة من إصلاح لخط سير الخلافة ، لايسع الا المسافة بين المسجد ودار عثمان.

وهذه المسافة تقصر حيناً وتتسع أحياناً اخرى ، وتلك هي المساحة التي استغلها الثوار في تحقيق ما يصبون اليه، والتحمت مع الدائرة الرافضة أصلاً لخلافة عثمان، فتشكلت قوة لا يستهان بها، كان عثمان عاجزاً عن صدها ، فالواهن لا يستطيع كبح جماح طالب الحق الذي يتسلح بالمبادئ تاره وبالعاطفة تارة أخرى⁽³⁾.

وكان حصار عثمان يشكل تلك الدائرة التي ضاقت حتى اصبح داره مركزها، وأبتعد الكثيرون من أصحاب الحاجات عنه، فلم يبق الا الواهن معه والذي لا يستطيع أن يرد الثوار، كما أعانة في محنته بعض ابناء اصحاب رسول الله (ع) ومنهم ابنا علي بن ابي طالب ، الحسن والحسن (عليهم السلام) ، وأبنا طلحة ، وابن الزبير⁽⁴⁾.

كانت عائشة في حصار عثمان في الكعبة لتؤدي العمرة، ثم خرجت من مكة تريد المدينة، فلما كانت خارج مكة لقيها رجل من أخوالها من بني الليث

⁽¹⁾المصدر نفسه، ص91.

⁽²⁾الخطيب، نور الدين، الفساد الاداري في الدولة الاسلامية، دمشق، دار العربية، 1999، ص65.

⁽³⁾الخطيب، الفساد الاداري، ص98.

⁽⁴⁾المنصوري، حافظ، حقيقة الثورة على عثمان، بيروت، دار المهدي، 1997، ص32.

يقال له عبيد بن ابي سليمة ، وهو ابن أم كلاب ، فقالت له: مهيم؟ قال: قتل عثمان وبقوا ثمانية، قالت ثم صنعوا ماذا؟ قال: أجمعوا على بيعة علي بن ابي طالب، فقالت: ليت هذه أنطبقت على هذه أن تم الامر لصاحبك! ردوني ردوني! فأنصرفت الى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لا طلبن بدمه! فقال لها: ولم؟ والله أن أول من آمال حرفة أنت ، ولقد كنت تقولين " أقتلوا نعتلاً فقد كفر " ، قالت: انهم أستتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الاخير خير من الاول⁽¹⁾.

كانت عائشة قريبة من الاحداث ، ولربما أن جزعها حين علمت بأن الناس أختارت علي بن ابي طالب(عليه السلام) للخلافة كان مرده تلك الفجوة النفسية بينها وبين علي(عليه السلام) ، وبدأت تلك الفجوة تتسع ، لكن حادثة الافك⁽²⁾ وضعت صورة الكراهية المبطنة بين الطرفين موضعاً بائناً لا شك فيه، وحادثة الافك توضح جزء من فنون الاذى الذي الحقه اعداء الدين برسول الله(ع)، وقد أستدعى الرسول الكريم (ع) علياً وأسامة بن زيد واستشارهما في فراق أهله عائشة، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله(ع) أهلك ولا نعلم الا خيراً، وأما علي بن ابي طالب فقال: يا رسول الله(ع) لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وأن تسأل الجارية تصدقك، فدعى رسول الله بريره جاريته وقال لها: أي بربرة هل رأيت من شيء يرييك؟ قالت: لا والذي بعثك بالحق أن رأيت عليها أمراً أغمضه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام على عجيين أهلها⁽³⁾.

حملت عائشة في فكرها كلام علي بن ابي طالب على أنه يحفز الرسول الكريم(ص) لمكانته عنده على فراق عائشة، لكن الحقيقة أن علي بن ابي طالب رأى القلق والغم الذي أصاب الرسول الكريم ، فرأى لو أن الرسول الكريم (ع) فارقها سكن ما عنده من ذلك القلق حتى يتبين براءتها فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين، فكان جهد علي في القول

⁽¹⁾ ابن الاثير، الكامل، 3/313.

⁽²⁾ الافك الحادثة التي اتهم فيها الصحابي صفوان بن المعطل السلمي بارتكاب الفاحشه مع عائشة، حتى أنزل الله آية برأفها عائشة(أن الذي نجاءوا بالافك عصابة منكم لاتحسبوه شرأبل هو خير لكم) سورة النور، الآية 11، أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص155.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص164.

هو لمصلحة الرسول الكريم (ﷺ) لراحته، كما أن علياً لم ينل من عائشة ولم يذكرها بسوء، ويتحقق ما قاله علي وتثبت براءة عائشة، وثبت براءة الرجل الذي يدخل مع الرسول (ﷺ) إلى أهله⁽¹⁾.

لكن عائشة لا تنسى ذلك أبداً ، فيبقى في خاطرها أن علي بن ابي طالب يريد اخراجها من بيت الرسول الكريم (ﷺ) ولذا عندما علمت بان القوم اختاروا علي بن ابي طالب قال: ياريت هذه انطبقت على هذه.

فما بال عائشة مع عثمان، كانت عائشة تحرض الناس على عثمان يوم الدار ، وتقول أقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر⁽²⁾.

أن الإشارة الواضحة والامر بقتل عثمان ، كان الناس يعرفونه، بل أن المنددين بعثمان كانوا يرون في عائشة الند القوي لعثمان، فقد أقيمت صلاة ، فتقدم عثمان ليصلي بالناس ، فلما كبر قالت أمراءه في حجرتها: أيها الناس، ثم تكلمت ، وذكرت رسول الله (ﷺ) وما بعثه الله به، ثم قالت: تركتم أمر الله وخالفتم عهده، .. ونحو هذا، ثم صمتت وتكلمت أمراءه اخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشه وحفصه ، فسلم عثمان ، ثم اقبل على الناس ، وقال: هاتان لفتانتان!! يحل لي سبهما !وأنا بأصلهما عالم⁽³⁾.

أن وصول الامر الى قناعة عثمان بأن هاتين فتانتان ، اي انهما كالشيطان، أو كالدرهم والدينار، وهو وصف يرقى الى الشتيمة المحقرة الخارجة عن عرف الدين⁽⁴⁾.

وكان عثمان قد انقص عطاء عائشة، وذلك انه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب⁽⁵⁾.

ولم تبخل عائشة في الدعوى لقتل عثمان ، وكانت تقول: ايها الناس ، هذا قميص رسول الله (ﷺ) لم يبل وبليت سنته! أقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً⁽¹⁾.

⁽¹⁾ المسلماوي، حميد، عائشة وأثرها في احداث عصرها، قم، مطبعة ستارة، 1422، ص54.

⁽²⁾ سبط الجوزي، أبو المظفر يوسف شمس الدين، تذكرة الخواص، النجف، المطبعة العلية، 1369 هـ، ص67.

⁽³⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 5/9.

⁽⁴⁾ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن عمر بن تميم، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وأبراهيم السامرائي، ايران، طبع مؤسسه دار الهجرة، (1409 هـ، 8

128/

⁽⁵⁾ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 122/2.

ولقد ارسل عثمان مروان الى عائشة، لكي تصلح بينه وبين الثائرين في حصاره، فقال لها مروان: يا أم المؤمنين لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس؟ فقالت: قد فرغت من جهازي ، وأنا أريد الحج، قال: فيدفع اليك بكل درهم أنفقتة درهمين، قالت: لعلك ترى اني في شك من صاحبك؟ أما والله لو وددت أنه مقطوع في غراره من غرائري ، وأني أطيق حمله ، فأطرحه في البحر!.

نعم تتمنى عائشة ذلك وترجوه وتعتذر لمروان من القيام بأي عمل يوسع الدائرة الضيقة على عثمان.

وتعدى ذلك غضب عائشة من عثمان أن جعلت دعواها ضده لتأخذ أوسع مداها، الى المقربين من علي بن ابي طالب⁽²⁾.

خرج ابن عباس فمر بعائشة في مكة فقالت: ياابن عباس أنشدك الله قد أعطيت لساناً أن يخذل عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس فقد بانث لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لامر قد تم ، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد أتخذ على بيوت المال مفاتيح !⁽³⁾.

لقد اتخذت من مقاتلة عثمان وخذلانه أمراً تريد به أن تكشف ما كان لا يعرفه الناس عنه،

فقول رسول الله (ع)سنة، يهتدي بها الناس، وكان علي بن ابي طالب(عليه السلام) يقول: والذي فلق الحبة وبريء النسمة أنه لعهد النبي (ع)الي أن لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق⁽⁴⁾.

وعائشة ليست امرأة عادية ، فهي من أحب النساء لرسول الله (ع)، وهذا الحب يعني أنها الاقرب اليه، وقد سمعت الكثير من أحاديث الرسول (ع)وأفعاله، وكثيراً ما كان رسول الله (ع)يشير الى علي بن ابي طالب(عليه

⁽¹⁾.اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي،122/2.

⁽²⁾المسملوي،عائشة،ص76.

⁽³⁾.الطبري،تاريخ،140/5.

⁽⁴⁾.الطبري،تاريخ، 190/2.

السلام)، وقد قال الرسول الكريم(ع) " علي أقضى أمتي"⁽¹⁾، لكن علي لم يحرض عليها قبل حادثة الافك، وعندما وقعت هذه الحادثة، أراد أن يخفف عن رسول الله (ع) في ما يشاع حتى تتبين الحقيقة.

لم تكفي عائشة بموقفها ، بل حاولت أن تجمع أمهات المؤمنين حولها ليكون موقفها أكثر عمقاً في قلب المسلمين، وكانت حفصة أكثر نساء الرسول(ع) التصاقاً بعائشه في موقفها هذا⁽²⁾.

جاءت عائشة وحفصة الى عثمان، حين أنقص أمهات المؤمنين ما كان يعطيهم عمر، فسألتاه أن يعطيها ما فرض لهما عمر، فقال: لا والله ما ذلك لكما عندي، فقالتا له: فأتنا ميراثنا من رسول الله(ع)! وكان عثمان متكئاً فجلس، وكان علي بن ابي طالب (عليه السلام) جالساً عنده فقال: ستعلم فاطمة أني ابن عم لها اليوم، ثم قال: الستما اللتين شهدتما عند ابي بكر ولفقتما معكما أعرابياً يتطهر ببوله مالك بن الحويرث بن الحرثان، فشهدتما أن النبي(ع) قال: أنا معاشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، فإن كنتم

شهدتما بحق فقد أجزت شهادتكما على أنفسكما، وأن كنتما شهدتما بباطل فعلى من شهد بالباطل لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، فقالتا له: يانعثل والله لقد شبهك رسول الله(ع) بنعثل اليهودي فقال لهما: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ تُوْحٍ وَامْرَأَةٌ لُّوْطٍ} ⁽³⁾، فخرجتا من عنده ⁽⁴⁾.

كانت تلك الشهادة التي غيرت كثيراً مما كان يقال عن الميراث ، وأحقية آل بيت الرسول(ع) بما فيهن أزواجه.

وقد وقفت أم سلمة موقفاً مناقضاً لموقف عائشة من عثمان، قالت أم سلمة لعائشة: بدم عثمان تطليبين! والله لقد كنت من أشد الناس عليه، وما كنت

⁽¹⁾ القندوري، سليمان أبراهيم القندوري، ينباع المودة، قم، دار الاسوة للطباعة والنشر، 1416هـ، 225/1.

⁽²⁾ الحمزاوي، ليلي الشيخ فارس، عائشة والجمال، النجف الاشرف، مؤسسة البلاغ، دت، ص163.

⁽³⁾ سورة التحريم، الآية10.

⁽⁴⁾ ابن شاذان، محمد أبو الفضل الأزدي النيسابوري، الايضاح، بيروت، طبع مؤسسة لاعلمي، ص140؛ الشيخ المفيد، الآمال، ص125.

تسميه الانعتلا ، فما لك ودم عثمان ، فأتقي الله يا عائشة في نفسك وأحذري ما حذرَكَ الله ورسوله(ع) ولا تكوني صاحبة كلاب الحوَاب⁽¹⁾.

كانت نساء النبي(ع) يعلمن بمواقف الرسول (ع)، ولذا فإن أم سلمه ذكرت عائشة بقول الرسول و كلاب الحوَاب.

وكتبت أم سلمة تخبر علياً بالامر، وأرسلت اليه ابنها عمر بن ابي سلمة وأما حفصة فوافقت عائشة، فأتاها عبد الله بن عمر فطلب اليها أن تقعد فقعدت وبعثت الى عائشة: أن عبد الله حال بيني وبين الخروج، فقالت: يغفر الله لعبد الله.

ففي جميع الحالات نجد أن عائشة وقفت موقفاً سلبياً اتجاه عثمان ، وألبت عليه الناس⁽²⁾.

المبحث الثالث: قدوم الولاة على عائشة

عزمت عائشة على المطالبة بدم عثمان ، فقد كانت تنتظر بعين الى ولاة عثمان على الامصار، وفي عين أخرى لمحبي عثمان ومعارضني علي، وكان على مكة في خلافة عثمان ، عبد الله بن عامر الحضرمي ، وكانت عائشة قد عزمت على العودة الى المدينة، لكنها في الطريق عادت بعد أن علمت أن الناس أختارت علي بن ابي طالب(عليه السلام) للخلافة⁽³⁾.

فأنصرفت عائدة الى مكة، فقصدت الحجر الاسود فسترت فيه، وأجتمع اليها الناس ، فقالت : أيها الناس أن الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة أجمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالامس ونقموا عليه استعمال ما حدث سنه ، ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها، فلما لم يجدوا حجه ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام

⁽¹⁾. ابن الاثير، الكامل، 3/314.

⁽²⁾الحمزاوي، عائشة والجمل، ص165

⁽³⁾المسماوي، عائشة، ص102.

وأستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام واخذوا المال الحرام، والله لأصبع من عثمان خير من طباق الارض أمثالهم والله لو أن الذي أعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذا ماصوه كما يماص الثوب بالماء⁽¹⁾.

ولو كان الامر كما نظرت اليه عائشة في خطابها هذا الى الناس، لكان الامر أقل شأناً في حادثة مقتل عثمان ، وكان في حصار عثمان أصوات تجلجل ، وأراء تطرح لم يكن فيها مسالماً الا رأي علي بن ابي طالب (عليه السلام) وبعض من الصحابة والناس، فكيف تحول نعتلاً الى مظلوم بين ليلة وضحاها⁽²⁾.

كان عبد الله بن عامر الحضرمي في مكة وهو يسمع خطاب عائشة، وحتى لا يفوته الركب ، فقد قال:ها أنا أول طالب، وكان أول مجيب الى دعوى عائشة.

وليس غريباً أن يكون أول طالب بدم عثمان ،ذلك الحضرمي ، فهو يعرف أن علياً سيعزله عنها ، فلا بد أن يجد موضع قدم في هذا الموقف.

وأجتمع عند عائشة في مكة سعيد بن العاص ويعلى بن منبه وعبد الله بن عامر بن كريز، وقدم يعلى من اليمن ومعه ستمائة بغير وستمائة درهم، فأناخ بالابطح.

وقدم عبد الله بن عامر من البصرة ومعه مال كثير⁽³⁾، وكان وصول طلحة والزبير قد أجم مشاعر القوم، وقالت لهم عائشة أنهضوا الى القوم، وكان رأيهم الشام ، لكن عبد الله بن عامر قال لهم: كفاكم معاوية في الشام، ولنأت البصرة ، وقد أطمعهم أن البصرة لها هوى في طلحة، لكن القوم لم يرضوا برأي ابن عامر ، واراوا الإقامة في الشام ثم العودة للكوفة لقطع

⁽¹⁾. ابن الاثير، الكامل، 3/313.

⁽²⁾ المسلماوي، عائشة، ص122.

⁽³⁾. أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين (ت356هـ)، الاغانى، محمد أبو الفضل إبراهيم/مصر، مطبعة بولاق، 1390هـ، 1/296.

الطريق على علي بن ابي طالب، لكنهم في نهاية الامر أستقر الرأي على البصرة⁽¹⁾.

لم تكن لدى عائشة وطلحة والزبير رأي في المكان الذي يختارونه لاقامتهم وبث دعواهم ، تحت شعار المطالبة بدم عثمان، لكن رأي عبد الله بن عامر بن كريز غلب على الاراء المطروحة وكانت البصرة هي المكان الامثل لهم، لهوى أهلها في طلحة.

جاء عبد الله بن عامر الحضرمي الى عائشة فقال لها: قرت عينك! قتل عثمان، وبلغت ما أردت من أمره، فقالت: سبحان الله! أنا طلبت قتله؟! إنما كنت عاتبه عليه من شيء أرضاني فيه! قتل عثمان والله من عثمان خير منه وأرضى عند الله وعند المسلمين ، والله ما زال قاتله مؤخراً منذ بعث محمد(ع)، وبعد أن توفي يعدل الناس عنه الى الخيرة من أصحاب النبي(ع)، ولا يرونه أهلاً للامور، ولكنه رجل يحب الامر ، والله لا نجتمع عليه ولا على أحد ولده الى يوم القيامة! ثم قالت : معاشر المسلمين أن عثمان قتل مظلوماً ! ولقد قتله من أصعب عثمان خير منه! وجعلت تحرض الناس على علي بن ابي طالب(عليه السلام) وتحثهم على نقض عهده⁽²⁾.

كانت تحرض الناس ، وترى أن علياً بن ابي طالب(عليه السلام) هو المحرض على قتل عثمان، متناسية ما كانت تقوله في عثمان.

كان رأيهم في علي(عليه السلام) قد تبدل بشكل مخيف ويوحى ذلك الى عاقبة غير محسوبة، فقد جاء طلحة والزبير الى علي بن ابي طالب(عليه السلام) بعد الفراغ من البيعة فقالا: هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ قال علي(عليه السلام) : نعم ، على السمع والطاعة، وعلى ما بايعتم ابا بكر وعمر وعثمان، فقالا: لا! ولكننا بايعناك على أنا شريكاك في

⁽¹⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 53/1.

⁽²⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص277.

الامر! قال علي(عليه السلام): لا ولكنكما شريكاي في القول والاستقامة والعون على العجز والاولاد⁽¹⁾.

بالصورة التي نقلها طلحة والزبير الى علي بن أبي طالب(عليه السلام) كانا ينظران ،وهي سابقة خطيرة في الاسلام ،ولم تكن القيادة يوماً في شراكة وكأن الاحداث تعود مرة أخرى الى الوراء ، يوم قال الانصار للمهاجرين " منا وزير ومنكم وزير" ورفض ابو بكر ذلك.

فلو كان الامر في جمع المسلمين في طلب تكون فيه المشورة أمام العدد الاكبر منهم، وألا فأن القلة لا تعبر عن شوري، وكما ارادها الله.

فلو اشترط كل مسلم في بيعته أن يكون شريكاً للمبايع له لفسد الامر وعمت الفوضى، كما أن ذلك الشرط مخالف للشرع ، ولم يقل به أحد الا ما ذكر في انتخاب ابي بكر.

كان الطمع في الولاية هو ما يبغيانه في طلبهما من علي بن ابي طالب(عليه السلام)، ولما بايع الناس علي ، نزل من المنبر وأعطى كل ذي حق حقه وسكن الناس، فلم يلبثوا الا يسيراً حتى دخل عليه طلحة والزبير ، فقالا: يا امير المؤمنين أن عيالنا كثيره وأرضنا شديده! فقال: ألم أشرط ؟ اني لا أعطي أحد دون أحد ، فقالوا: قد لزمنا نفقات ، فقال: أنتوني بأصحابكم ، فأن رضوا أن أعطيكما دونهم فعلت، وأن أبيتما لا، انا أعطيكما من عطائي، فأبيا عليه، وقالا: أئذن لنا في العمره، فقال: والله ما تريدان العمرة ، وأنما تريدان الغدرة والفتنة! فقالا: كلا والله! فقال: قد أذنت لكما، فأفعلا ما شئتما⁽²⁾.

كان هاجساً لدى علي بن ابي طالب ، أن طلحة والزبير لم يكونا الا في حل من بيعته وأنهما سيفعلان أمراً ما، بل أنهما طلبا من علي بن ابي طالب(عليه السلام) أن يكون لطلحة العراق ، ويكون للزبير الشام، لكن

⁽¹⁾. ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج1/47.
⁽²⁾. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص65.

علي أمسك عليهما ما طلباه ، بل انهما طلبا مالا من مال المسلمين ، وقال لهم علي : سأكتب لكما ما عندي في " ينبع " فرفضاً⁽¹⁾.

كان علي بن ابي طالب(عليه السلام) شديد الحرص على مال المسلمين ، ويرى أن التفريط به خروج من الشرع ، وقد حدده الله لمن يستحق ، ولذا فقد قال لطلحة والزبير أعطيكما من مالي الخاص ولا أفرط بمال المسلمين⁽²⁾.

المبحث الرابع: طلحة والزبير والاعداد للخروج

أنفقت الاراء على محاربة علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، ولا أظن بأن الخارجين لحربه قد نسوا ما قاله الرسول (ﷺ) بحق علي(عليه السلام)، وما لعلي(عليه السلام) على المسلمين من حق ، ومن واجب لطاعته بعد أن أصبح خليفة لرسول الله (ﷺ)، وأن الخروج عن ولي الامر ، خروج عن الشرع ، وعائشة وطلحة والزبير يدركون ذلك ويعرفون ما معنى الخروج عن ولي الامر.

⁽¹⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص164.

⁽²⁾ سلمان، محمود احمد، عدالة الامام علي(عليه السلام)، بيروت، 2000، ص78.

أن المتتبع للاحداث سيرى أن خروج عائشة وطلحة والزبيركان للحرب ، معتقدين أن السيف هو الحكم الفصل فيما يطلبانه.

كانت البصرة هي المكان الذي أختاروه لدعوتهم ، وعندما وصل الى المدينة عبد الله بن عامر بن كريز لقيه طلحة والزبير فقالا له: لا مرحباً بك يا مضيع ولا أهلاً! تركت البصرة والاموال وأتيت المدينة فزعاً من علي بن ابي طالب! هل لا أقمت بالعراق حتى وافيناك بها؟ قال: ثم بعث الوليد بن عقبة بن ابي معيط بأبيات شعر أنبه فيها ⁽¹⁾.

فقد كانا يخططان للاستيلاء على البصرة بوجود عبد الله بن عامر فيها ، ولابد لابن عامر من أصحاب وتابعين وطامعين فيه يرفعون السيف متى ما أراد رفع سيفه.

ولما خرج طلحة والزبير يريدان مكة ، خرج معهما عبد الله بن عامر بن كريز ، وهو ابن خال عثمان ، فجعل يقول لهما : أبشرا؟! فقد نلتما حاجتكما، والله لامدنكما بمائة الف سيف⁽²⁾.

لقد قررا الاستمرار بما خططاه ، ولكن ألم يذكر طلحة والزبير أنهما أول من بايع علي بن ابي طالب، وطرقوا الباب عليه وأخرجوه ، وأكرهه الناس على قبول الخلافة، بل أن علياً قال لطلحة: يا أبا محمد أن الناس قد أجمعوا الي في البيعة ، وأما أنا فلا حاجة لي بها ، فأبسط يدك حتى يبايعك الناس، فرد طلحه عليه ، أنت أولى الناس بها وأنت أحق به مني⁽³⁾.

فما بدل الحال، ومن الذي غير رأي طلحة والزبير ، لا بد أن تكون هناك ظروف جعلت الرجلين يعدلان عن بيعتهما ، ولا بد أن يكون ترأس أحدهما في قيادة المسلمين و الخلافة هي اللغز الذي لا يحتاج الى تحليل.

"وعندما أستأذنا من علي بن ابي طالب(عليه السلام) في الخروج الى العمرة ، فقال لهما: لعلمكم تريدان الشام أو العراق! فقالا: اللهم غفرانك إنما نؤينا العمرة!! فأذن لهما فخرجا مسرعين وجعلا يقولان: لا والله ما لعلي

⁽¹⁾.ابن أعثم الكوفي،كتاب الفتوح،450/2.

⁽²⁾.المصدر نفسه،452/2.

⁽³⁾ابن قتيبة،الإمامة والسياسة،43/1.

في أعناقنا بيعة، وما بيعناه إلامكرهين تحت السيف ، فبلغ ذلك علياً فقال: أخذهما الله الى أقصى دار واحر نار"⁽¹⁾.

لم يكن علي بن ابي طالب(عليه السلام) في غفلة مما يحيكون وما يخططون، بل أنه كان يدرك بحواسه أن طلحة والزبير يريدان العراق أو الشام ، وهذا الهاجس الذي حمله علي بن ابي طالب(عليه السلام) كان هاجساً محسوباً، ففي الشام معاوية ابي سفيان وقد أمتنع عن البيعة وهو أحد المطالبين بدم عثمان من علي(عليه السلام)، والبصرة في العراق فيها شيعة لعثمان بن عفان ، وكان عليها عبد الله بن عامر بن كريز قبل أن يصل ابن حنيف عاملاً على عليها.

ان الامر حين وصل الى تجييش الناس لم يكن اعتباطياً بل لان طلحة والزبير لم يحصلوا من علي بن ابي طالب (عليه السلام) على ما ييغون ويأملون، فقد كان يطلبان منه:

أ- المشاركة في الأمر

ب - ولاية الشام واليمن أو الكوفة والبصرة

ج - الحصول على المال من بيت المال

وهذه المطالب الثلاثة لا يعطيها علي بن أبي طالب اليهما ، لاسباب كثيرة كانت في صدر علي ومعرفته بعدم رضاها حتى ولو أعطوا ولاية البصرة والكوفة، كما كان هناك من يأجج تلك القضية في صدورهما ، ويكتب معاوية الى الزبير: " بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله بن الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن ابي سفيان: سلام عليكم، اما بعد ، فأني قد بايعت لك أهل الشام ، فأجابوا، فدونك الكوفة والبصرة ، لا يسبقك اليها ابن ابي طالب، فإنه لاشيء بعد هذين المصرين، وقد بايعن لطلحه بن عبيد الله من

⁽¹⁾.البلاذري،أنساب، 222/2.

بعدك ، فأظهر الطلب بدم عثمان ، وأدع الناس الى ذلك ، وليكن منكما الجد والتشسمير، أظفركما الله ، وخذل مناوئكما "(1).

ويكتب رسالة الى طلحة: " أما بعد فإنك أقل قریش وترأ، مع صباحة وجهك، وسماحة كفك، وفصاحة لسانك، فأنت بازاء من تقدمك من السابقة

وخامس المبشرين بالجنة ، ولك يوم أحد وشرفه وفضله، فسارع رحمك الله الى ما تقلدك الرعية من أمرها، مما لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك الا القيام به، فقد أحكمت لك الامر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الامام ، والامر من بعد للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين ، ووهب لك رشد الموفقين والسلام "(2).

كان هذا رأي معاوية ، فهو يحرض طلحة والزبير للنهوض بالامر ، وكأن المسلمين عندما تولى علي بن ابي طالب خلافتهم سيسوقهم الى النار، أن معاوية في رسالته يذكر طلحة بيوم أحد وما كان له من موقف بطولي في الدفاع عن رسول الله ، لكنه يتناسى أن جيش المشركين كان يقوده أبوه ابو سفيان(3).

وموقف معاوية في الامر هذا هو تعزيز لمكانه في الشام، فهو يريد أن تضع الحرب أوزارها بين علي بن ابي طالب وطلحة والزبير، حتى يشار اليه وهو القوي في الشام بولاء أهلها ، وكأنما الحوادث تريد أن تسرد نفسها ، عندما قال ابو سفيان لاملأنها خيلاً ورجالاً في بيعة ابي بكر، ثم أن تنصيب الخليفة هل حق لمعاوية ؟ ومن أعطاه ذلك الحق ليقيم الرجال ويذكرهم بأمجادهم، أنه الطمع في الفتنة والطموح لتولي الامر حتى ولو كان على رقاب المسلمين(4).

وموقف معاوية يتكرر ، ويبحث رسالة أخرى الى الزبير: فأنتك الزبير بن العوام، ابن أبي خديجة، وابن عمة رسول الله(ع)، وحواريه ، وسلفه

⁽¹⁾ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 231/1.

⁽²⁾ صفوت، أحمد زكي، جمهرت رسائل العرب، بيروت، المكتبة العلمية، 1985، 299/1.

⁽³⁾ فرحات، موسى، التضييل الأموي، بيروت، دار الحق، 1999، ص54.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص61.

وصهر ابي بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل لله مهجته عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت ، تخطب خطب الجمل الرديع.

هكذا يذكر معاوية الزبير بن العوام، فيقول له : أنت ابن عم رسول الله(ع)، فيقرب البعيد ويبعد القريب، وكأن علي بن ابي طالب(عليه السلام) غريب عن رسول الله (ع)، فهو يكتب ليثير الشجون ويهز العواطف ، وهو يعرف أن النية في ما يكتب قد باتت واضحة ، وساطعة كالشمس لا يحجبها غربال.

لقد كان الشك يملأ قلب طلحة والزبير، فلما قتل عثمان وبايعوا علياً ، جاء علي بن ابي طالب(عليه السلام) الى الزبير فأستأذن عليه، فسل الزبير السيف ووضعه تحت فراشه!! ثم أذن لعلي(عليه السلام) بالدخول، فدخل وسلم على الزبير وهو واقف بنحوه، ثم خرج فقال الزبير لابي حبيبة مولاه: لقد دخل المرء ما أقصاه؟! قم في مقامه، فأنظر هل ترى من السيف شيئاً؟! فقامت في مقامه فرأيت ذبابة السيف، فأخبرته، فقال: ذاك أعجل الرجل ⁽¹⁾.

كان هذا التصرف من الزبير وهو ابن خال علي بن ابي طالب(عليه السلام)، قد جعل علياً(عليه السلام) يمتنع عن الجلوس عند الزبير على الرغم من أنه قد جاء لزيارته، لكنه رأى السيف الذي دسه الزبير تحت الفراش فأيقن علياً(عليه السلام) أن الزبير يضمر له شيئاً، وأنه حذر من زيارته ، فخرج عجلاً والزبير يعرف أن علياً(عليه السلام) لا يمتلك صفة الغدر ، ولعل قتله لابن ود العامري خير مثال على صبره وقوة ارادته.

لقد جمعت القبلية انفاسها ، وآلت نحو الناس لعلها تأخذ منهم مأخذاً، ولو ذكر الزبير ما دار يوم بيعة عثمان عندما دخل ابو سفيان وقد فقد بصره، قال لعثمان: أنفق ولا تكن كأبي حجر ، وتداولوها يا بني أميه تداول الولدان الكره، فو الله لا جنة ولا نار، وكان الزبير حاضراً، فقال عثمان لابي

⁽¹⁾. الطبري، تاريخ، 5/155.

سفيان: أعزب، فقال : يا بني أهاهنا أحد؟ قال الزبير: نعم والله لا أكتمها عليك⁽¹⁾.

ولو صحت هذه الرواية ، فأين أيمن الزبير وهو من العشرة المبشرة بالجنة، وهل يعقل القول أن المؤمن لا يفعل شيئاً أتجاهها ، وهل يرضى الصحابة من المهاجرين والانصار ما نقله الزبير وهو الذي قال لابي سفيان ، لا أكتمها عليك، وهل نسي الزبير هذا الموقف الصامت من عثمان حتى يقوم اليوم بالمطالبة بدمه.

وهل نسي الزبير يوم جاء الرجال لعلي(عليه السلام) ليبياع ابا بكر ، ووقف الزبير بوجههم ، وكيف كسر سيفه محمد بن مسلمة⁽²⁾ ألم يبياع هو وطلحة علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، ثم أنكروا البيعة، ثم جاء حكيم بن جبله بالزبير ليبياع، وبعد بيعته يقول، جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللج في عنقي⁽³⁾.

وكيف كان يرضى طلحة والزبير بما يقوم به معاوية ، وكيف يقبلوا تحريضه المعلن وغير المعلن ، وهم يتقبلون رسائله التي يحاول فيها أن يكون وديع الامة وهم يعرفون موقفه بعد ان دخل ابو سفيان الاسلام وبعد أن أحيطه الحيلة، ويقف معاوية يلوم أباه على دخول الاسلام⁽⁴⁾، بل أن رسول الله (ع)قال: يموت معاوية على غير ملتي⁽⁵⁾.

لا يخفى على الزبير وطلحة كل ما قاله رسول الله (ع)، وكيف يخفي عليهم وهم أقرب الناس للرسول الكريم (ص)، وكيف كان عدااء بني أمية للرسول(ع) حتى قال: أريت بني أمية على منابر الارض وسيتملكونها فتجدونهم ارباب سوء⁽⁶⁾، وروى كثير من الصحابة عن بني أمية ومنهم

⁽¹⁾ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 52/2.

⁽²⁾ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي، الاحتجاج، بيروت، مؤسسة الا علمي، 52/1، 1983.

⁽³⁾ الطبري، تاريخ، 295/4.

⁽⁴⁾ الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق أحمد المكي، مقتل الحسين، تحقيق محمد السماوي، قم، مطبعة مكتبة المفيد، 177/1، 2006.

⁽⁵⁾ المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، مطبعة الاندلس 1431 هـ، ص 217.

⁽⁶⁾ السيوطي، الدر المنثور، 211/4.

عبد الله بن مسعود حين قال: لكل شيء آفة وآفة الدين بنو أمية⁽¹⁾، وروي عن عمر بن الخطاب قوله: { أَلَمْ تَرَأِ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ }⁽²⁾، قال: هما الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا الى حين⁽³⁾.

وكان رسول الله (ﷺ) قد ذكر بنو أمية كثيراً، قال: إذا بلغت بنو أمية اربعين أخذوا عباد الله خولا ومال الله نحلاً وكتاب الله دغلاً⁽⁴⁾، كما قال رسول الله (ﷺ): إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثون رجلاً أخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلاً⁽⁵⁾.

كل تلك الاحاديث والروايات التي تشير الى مكانة ابي سفيان ومعاوية في نظر الرسول الكريم (ﷺ)، فكيف يقبل الزبير وطلحة بنصيحة معاوية ويسيرون مع بني أمية لقتال علي (عليه السلام).

ألم يسمع طلحة والزبير قول النبي (ﷺ) يوم خيبر، لآعطين هذه الراية غداً لرجل يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله⁽⁶⁾.

والذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله (ﷺ)، هل أجاز الله قتاله والخروج عليه، وهل أن عائشة وطلحة والزبير قد نسوا بهذه السرعة حديث رسول الله (ﷺ)، ألم يقل رسول الله (ﷺ) "سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، حقاً على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهاده فمن لم يستطع بلسانه فيقبله"⁽⁷⁾

وقال رسول الله (ﷺ) "أدروا الحدود بالشبهات"⁽¹⁾، وقال "أدفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعاً"⁽²⁾.

⁽¹⁾ ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل أحمد بن محمد، تطهير اللسان والجنان، ط2، القاهرة، مكتبة القاهرة، 1965، ص64.

⁽²⁾ سورة ابراهيم، الآية 28.

⁽³⁾ الزمخشري، أبو القاسم جارا الله محمود، الكشف، تحقيق عادل أحمد علي معوض، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ، 377/2.

⁽⁴⁾ الحاكم النيسابوري، لأبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرک فی الصحیحین، تحقيق مصطفى عبد القادر عطار، بيروت، مطبعة دار الفكر، 497/4.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، 480/4.

⁽⁶⁾ القمي، أصغر ناظم زاده، الفصول المائه، قم، مطبعة انتشارات أهل البيت، 1421هـ، 399/11.

⁽⁷⁾ الطبراني، أبو القسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد سلفي، ط2، الموصل، مطبعة الزهراء، 1982، 186/1.

وإذا كان كل هذا وذاك لم ينفع فليذكر القوم ما قاله ابو أيوب الانصاري عند منصرفه من صفين، قيل له : يا ابا أيوب أن الله أكرمك بنزول محمد عليك، وبمجيء ناقته تفضلاً من الله واکراماً لك حتى اناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله الا الله؟! فقال: ياهاذان ، أن الرائد لا يكذب أهله، وأن رسول الله(ع) أمرنا بقتال ثلاث طوائف مع علي: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم ، وأما المارقون فهم أهل الطرافات وأهل السيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات ، والله ما أدري أين هم ، ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله⁽³⁾.

وأبو أيوب الانصاري ليس بالرجل العادي في الاسلام فهو من أستقبل رسول الله(ع) عند وصوله الى المدينة ، ولم يكن وقوف جمل رسول الله(ع)ببابه إلا إكرماً له ، فهو رجل عرف دينه وجاهد فيه ، وليس من المعقول أن يروي حديثاً زوراً في رسول الله(ع)، وقد شخص فيما رواه عن تفاصيل موجودة في قلب المجتمع الاسلامي.

وكان رسول الله(ع) قد قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين " (عليهم السلام)أنا سلم لمن سالمتم ، وحرب لمن حاربتم"⁽⁴⁾.

كل تلك الاحداث والاحاديث التي رواها الصحابة الكرام في علي(عليه السلام) وفي قتال الناكثين لم تفت من قوة المطالبين بدم عثمان ، بل أن الامر تحول الى المطالبة بالشورى وعزل علي بن ابي طالب(عليه السلام) عن الخلافة ، ويعرف الجميع موقف علي منها .

فكانت مواقف الاطراف المتنازعة تجمع على رأي واحد وهدف واحد ، لكن ذلك الامر لم يكن واقع الحال في الدولة الاسلامية الفتية التي تحتاج الى من يعززها ويقودها ويرسخ مبادئ الدين فيها، فالنزاع في مرحلة صعبة وأفكار الناس تتجاذب بمقتضى الولاء أما للدين او المصلحة الذاتية بعيداً

⁽¹⁾ الحر العاملي، محمد بن الحسن وسائل الشيعة، 336/18.

⁽²⁾ ابن ماجه، ابو عبدالله محمد بن يزيد، سنن أبين ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، 1420هـ، 85/2.

⁽³⁾ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد، بيروت، مطبعة دار الكتب العلمية، 1422هـ، 186/13.

⁽⁴⁾ القندوري، ينابيع المودة، 113/1.

عن تعاليم الاسلام وهدفه، بل وهدف السماء الذي يـرجو الله بها المنعة والعزة ، وينكر لها الفرقه والشتات.

المبحث الخامس: طلحة والزبير وعائشة في مكة

كان طلحة والزبير قد خرجوا الى مكة بحجة العمرة، وعلي بن ابي طالب(عليه السلام) أعلمهم أنهم يريدون الغدرة لا العمرة⁽¹⁾، وهذا هاجس علي(عليه السلام) في طلحة والزبير ، وقد ادرك علي(عليه السلام) أن هذين الرجلين لن يرضيا بأمرته على المسلمين، وقد طالباه باشراكهم

⁽¹⁾اليـعقوبي، تاريخ، 2/176.

بالامر ، كما طالباه بمال يعينهما ، ولما ابلغهم أنهما شريكاه في الرأي والمشوره ، أصبح هدفهما عزل علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وعزله يتم بالثورة عليه⁽¹⁾ .

كانت الحالة العامة للدولة الاسلامية مضطربة، فكان معاوية بن ابي سفيان في الشام يطالب بدم عثمان ، وهو يعرف أنه يطالب بالخلافة، وفي المدينة طلحة والزبير عازمان على أمر يدرك عواقبه علي بن ابي طالب(عليه السلام)، ويحاول أن يسوي الامور دون الوصول الى الحرب⁽²⁾ .

كانت عائشة في مكة، والتحق بها مجموعه من المعارضين، وكان مع ابن منبه ستمائة بعير وستمائة الف درهم، وقدم طلحة والزبير من المدينة ، ولقيا عائشة ، فقالت : ما وراءكما؟ فقالا: أنا تحملنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم، فقالت: أنهضوا الى هؤلاء الغوغاء⁽³⁾ .

فيا ترى بأي شيء فكرا في خروجهما وأين هم من حديث الثقلين "أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي"⁽⁴⁾، وكتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض .

سئلت عائشة عن أحب النساء لرسول الله(ص) قالت: فاطمة أحب النساء للرسول (ع)، وكان علي(عليه السلام) أحب الرجال إلي⁽⁵⁾، فكيف أجازت لنفسها عائشة أن تحارب أحب الناس لرسول الله(ع).

أن خروج عائشة للمطالبة بدم عثمان هو خروج على كلام الله الذي أمر نساء النبي(ع) أن يقرن في بيوتهن⁽⁶⁾، فليس على نساء الرسول حيف لو طالبن بأنصافهن أو أنصاف الناس وهن في بيوتهن.

⁽¹⁾ البلاذري، أنساب، 18/3.

⁽²⁾ السلطان، حيدر مال الله، أضواء على التاريخ الاسلامي، بيروت، دارالمجد، 2003، ص54.

⁽³⁾ ابن الاثير، الكامل، 313/3.

⁽⁴⁾ الهندي، كنز العمال، 46/13.

⁽⁵⁾ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد، خصائص علي بن ابي طالب، تحقيق محمد باقر المحمودي، النجف، المطبعة

الحيدرية، 1308هـ، ص211.

⁽⁶⁾ أبو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبدالله، حلية الاولياء، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، 1411هـ، 49/2.

تكمّل الجمع في مكة، وبعد وصول طلحة والزبير اليه، طافا في الكعبة وسعيا بين الصفا والمروة، ثم بعثا عبد الله بن الزبير الى عائشة، وكان عبد الله بن الزبير من المعارضين لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) ، ومن باغضي بني هاشم ، فكان علي بن ابي طالب (عليه السلام) يقول: الزبير منا أهل البيت حتى كبر ولده عبد الله فافسده⁽¹⁾

لما وصل عبد الله بن الزبير الى عائشة أبلغها طلحة والزبير يقرئانك السلام ويقولان لك: أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً ، وأن علي بن ابي طالب أبتز الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولوا قتل عثمان.

وكان عائشة لم تكن تعلم بقتل عثمان ، وأن علي بن ابي طالب (عليه السلام) تولى الخلافة من بعده ، وانها خرجت تطلب مكه ، وعندما علمت بالامر رجعت الى المدينة وهي تقول: ياليت هذه أنطبقت على هذه، لا أدخل مدينه فيها علي بن ابي طالب (عليه السلام)⁽²⁾.

كانت عائشة تقول: أیظن ابن ابي طالب يكون في هذا الامر كابن ابي قحافه لا والله، وليها والله ابن ابي قحافه فخرج منها كما دخل، ثم وليها أخو بني عدي ، فسلك طريقة ثم مضيا فوليا ابن عفان فركبها رجل له

مصاهرة مع رسول الله (ع)، وكان محباً لقومه فمال بعض الميل ، فأستتاب قتال وقتل، فيحق للمسلمين أن يطلبوا بدمه⁽³⁾.

لو نظرنا الى كلام عائشة في عثمان ، نرى فيه مغالطة صريحة في إدارة الحكم بالدولة الاسلامية التي أسس قواعدها رسول الله (ع)، وفي قواعد الشرع ومبادئ الدين ليس هناك خط بين الحق والباطل ، كما هو بين الجنة والنار، بل هناك خط وسط لا يخرج من تلك المبادئ التي أنزلها الله ، وكرسها وطبقها رسوله الكريم ، والميل يعني أن تخرج عن المبادئ حتى ولو بمقدار ذره، ولو كان الامر بالشكل الذي صورته عائشة لعبد الله

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 230/4.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 233/6.

⁽³⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص299.

بن الزبير كان هناك ميل في المحرمات وفي الكبائر وفي السنة مادام الميل مقبولا.

يقول عبد الله بن الزبير لعائشة، إذا كان هذا قولك في علي يا أمه ورأيك في قاتلي عثمان، فما الذي يقعدك عن المساعدة على جهاد علي بن ابي طالب وقد حضرك من المسلمين من فيه غنى وكفاية فيما تريدون؟!.

أن عبد الله بن الزبير قد حول المعارضة لعلي(عليه السلام) والمطالبة بدم عثمان الى جهاد، وكأن علي بن ابي طالب(عليه السلام) قد خرج عن الدين وأرتد، أو أنه اغتصب الخلافة لمن هو أحق منه، أن وصول الامر بالشكل الذي يوصفه عبد الله بن الزبير يوحي الى مدى قوة المعارضة الفكرية لعلي بن ابي طالب(عليه السلام) من هؤلاء الذين يريدون قتاله⁽¹⁾.

لقد ظلت عائشة في مكة قبل أن يصل طلحة والزبير، وكانت تعمل على تحقيق هدفين:

الاول: بيان توبة عثمان ، والقول بأنه قتل مظلوماً.

الثاني: تخذيل الناس عن علي بن ابي طالب(عليه السلام)، وأتهامه بقتل عثمان.

ووجود عائشة في مكة له مدلولات كبيرة ، لتقلها الاجتماعي ، ولوجود مناصرين لها في مكة ، كما التحق بنو أمية اليها بعد مقتل عثمان.

وأصبحت مكة ملاذ للخارجين عن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وبدأت عائشة في تحريض أمهات المؤمنين على الخروج معها ، وكانت حفصة أول من استجابت لها ، لكن أم سلمة كان لها رأي معارض لرأي عائشة، وقد جاءت عائشة الى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت عائشة لأم سلمة: يا بنت أبي أمية، أنت أول مهاجرة من أزواج النبي(ﷺ)، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله(ﷺ) يقسم لنا في بيتك، وكان جبرائيل أكثر ما يكون في منزلك، فقالت أم سلمة : لا امر ما قلت هذه المقالة، فقالت عائشة: أن عبد الله أخبرني أن القوم أستتابوا عثمان،

⁽¹⁾ باقر، محمد سعد، حروب الامام الثالث، قم، دار الحق، 1425هـ، ص56.

فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمت على الخروج الى البصرة ومعي طلحة والزبير، فأخرجني معنا لعل الله يصلح هذا الامر على أيدينا، فقالت أم سلمة: أنك كنت بالامس تحرضين على عثمان، وتقولين فيه أخبث قول، وما كان اسمه عندك الا نعتاً⁽¹⁾.

فأم سلمة تعرف الموقف العام لحادثة مقتل عثمان ولا ينطلي عليها أو يخفي عليها تبرير أو زعم ، وتعرف أن عائشه كانت من أول المحرضين على قتله.

لكن أم سلمة ردت عليها بتذكيرها بالمواقف التي عزز فيها رسول الله(ع) منزلة علي بن ابي طالب(عليه السلام)، أذكرين يوم أقبل رسول الله(ع) ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه فأطال، وأردت أن تهجمي عليهما فنهيتهك فعصيتني، فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية، فقلت ما شأنك؟ فقلت اني هجمت عليهما وهما يتناجيان ، فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله(ع) الا يوم من تسعة أيام ، أفما تدعني يا ابن ابي طالب(عليه السلام)، فأقبل رسول الله عليّ وهو غضبان محمر الوجه، فقال: أرجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس الا وهو خارج من الايمان⁽²⁾

فالذي يبغض علي يخرج من الايمان، فكيف يحل قتاله، أولم يسمع بذلك طلحة والزبير ، وكيف تناست عائشة ذلك ، وعندما ذكرتها أم سلمة لماذا لم تتراجع عن مسعاها.

وتستمر أم سلمة: كنت أنا وأنت مع رسول الله(ع)، وأنت تغسلين راسه ، وانا أحيس له حيساً ، وكان الحيس يعجبه، فرفع رأسه وقال: ياليت شعري، أيتكن صاحبة الجمل الاذن، تنبها كلاب الحوآب، فتكون ناكبة عن الصراط ، فرفعت رأسي عن الحيس فقلت: اعوذ بالله وبرسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك، وقال: " أياك كأ تكونيها" ثم قال: يا بنت بني أميه ،

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 226/6.

⁽²⁾ المصدر نفسه 227/1.

أيّاك أن تكونيها يا حميراء، أما أنا فقد أنذرتك، قالت عائشة: نعم أذكر هذا⁽¹⁾.

وتذكرها أم سلمة بخاصف نعلي رسول الله (ﷺ)، وقوله لأبي بكر وعمر بأنه سيخلفني.

أما حفصة فقد أرسلت عليها عائشة، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر، فأتى أخته فعزم عليها فأمتنعت عن الخروج إلى البصرة.

وكتب إليها الاشترا ، وذكرها بمكانتها وأن تقر في بيتها، فأجابته : انك أول من شب العرب ، ودعا إلى الفرقة، وخالف الائمه، وسعى لقتل الخليفة.

كان بين عائشة وطلحة والزبير سجال من الكلام ، فيه عتب الأعمال ، وتنهيض الهمم، فقد قالت للزبير : يا أبا عبد الله شركت في دم عثمان ثم بايعت علياً وأنت والله أحق منه بالامر؟! فقال لها الزبير: أما ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي في ذلك ولن أترك الطلب بدم عثمان ، والله ما بايعت علياً إلا مكرهاً.

وقالت لطلحة: يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت علي؟! فقال لها : يا أمه ما مثلي إلا كما قال الأول، ثم أنشد شعراً⁽²⁾.

فالذاهبون لقتال علي(عليه السلام) والخروج عن طاعته ، يعرف أحدهم الآخر بخفايا أمورهم ، ولم يكن هناك حاجز بين أفكارهم ، ويجمعهم الخروج عن خليفة رسول الله (ﷺ).

ولما عرف عبد الله بن الزبير رأيها في مقتل عثمان وخلافة علي(عليه السلام) ، عاد إلى طلحة والزبير وأبلغهما قول عائشة، ونادى منادياها: أن أم المؤمنين تريد أن تخرج للمطالبة بدم عثمان ، فمن يريد أن يخرج فليتها للخروج معها⁽³⁾.

المبحث السادس: الخروج إلى البصرة

⁽¹⁾. المصدر نفسه، 228/6.

⁽²⁾. الشيخ المفيد، الجمل، ص 230.

⁽³⁾. المصدر نفسه، ص 299.

لما أجمع الرأي من طلحة والزبير وعائشه ومن بمكة من المسلمين من أتباعهم على السير الى البصرة والاقتصاص من قتلة عثمان، خرج الزبير وطلحة حتى لقيا عبد الله بن عمر فقالا له: يا أبا عبد الرحمن أن عائشة قد خافت من هذا الامر وعزمت على المسير الى البصرة فأشخص معنا ولك بنا أسوه، فأنت أحق بالامر، وكلمه الزبير: يا أبا عبد الرحمن لا تنظر الى أول أمرنا، ولكن أنظر الى آخر أمرنا، فقال لهما: ايها الرجلان: أتريدان أن تخرجاني من بيتكما، يخرج الارنب من جحره، ثم تلقاني بين لحيي علي بن ابي طالب، مهلاً يا هاذان، فأن الناس أنما يخدعون بالوصف والوصيفة والدينار والدرهم ولست من أولئك، أني قد تركت هذا الامر وأطلبوا لامركم غيري، فقال الزبير: يغني الله عنك⁽¹⁾.

كان وجود ابن عمر بينهم يعني الكثير، لمكانته بين الناس، ولشرفه وشرف ابيه، وحاولوا أقناعه بأن الامر له لو أستتب، لكن حقيقة الامر غير ذلك، فهما قد قالوا لعلي(عليه السلام): نحن شريكاك في الامر، فكيف يكون طرف ثالث بينهم.

ولم يسكنا، فقد حرضهم مروان بن الحكم للذهاب الى ابن عمر ثانية فأستجابا، وكلماه لكنه امتنع، فقال مروان: أستعينا عليه بحفصة، فقالت: لو أطاعني أطاع عائشة! دعاه، فأتركاه، وتوجها الى البصرة⁽²⁾.

ربما أن عائشة لم تنس ذلك الموقف الذي كان فيه عمر بن الخطاب يصارع الموت عندما أرسل ابنه الى عائشة "أذهب الى عائشة وأقرئها السلام، وأستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله(ع) ومع ابي بكر، فأتاها عبد الله بن عمر فأعلمها، فقالت: نعم وكرامة، ثم قالت: يا بني أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع"⁽³⁾.

⁽¹⁾ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 453/2.

⁽²⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 80/1.

⁽³⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 41/1.

فلماذا تنظر عائشة الى الامة عندما كان عمر يصارع الموت، ولماذا تغير الحال وتبدل عندما قتل عثمان وأختير علي بن ابي طالب(عليه السلام) للخلافة، وتكمن هناك أسباب لربما الكراهية والبغض أحداها.

خرجت وتناست عائشة ما كانت تقول لعثمان " يا عثمان أكلت أمانتك ،ضيقت رعيتك وسلطت عليهم الاشرار من أهل بيتك، لا سقاك الله الماء من فوقك وحرملك البركة من تحتك!! أما والله لولا الصلوات الخمس لمشي اليك قوم ذو ثياب وبصائر يذبحونك كما يذبح الجمل"(1).

كما أن طلحة كان لا يقيم وزناً لعثمان " مرّ مجمع بن جارية الانصاري بطلحة بن عبيد الله فقال:يا مجمع ما فعل صاحبك؟ قال: اظنكم والله قاتليه! فقال طلحة: فأن قتل فلا ملك مقرب ولا نبي مرسل"(2).

بهذا الشكل كان طلحة يرى عثمان ، وكان ، ومن مفارقات القدر أن يختلف رأى مثل رأى طلحة والزبير بين ليلة وضحاها

كان القوم يتمنيان، أن يبقى عبد الله بن عامر في البصرة،ولكنه عاد فلاماه طلحة والزبير على عودته.

واصبح المسير الى البصرة هدفاً ، وقال طلحة والزبير: كيف نستقل وليس معنا مالنجهز به الناس؟ فقال يعلي بن منبه : معي ستمائة ألف ، وستمائة بعير! فأركبوها! وقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهزوا به ، ونادى المنادي أن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة! فمن كان يريد أعزاز الاسلام وقتال المحليين والطلب بثأر عثمان ، ولم يكن عنده مركب ، ولم يكن له جهاز، فهذا جهاز، وهذه نفقه!! فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة، سوى من كان له مركب، وكانوا جميعاً ألفاً ، وتجهزوا بالمال ، ونادوا بالرحيل ! واستقلوا ذاهبين (3).

⁽¹⁾.أبوأثم الكوفي،كتاب الفتوح، 421/2.

⁽²⁾.العسكري،مرتضى،أحاديث أم المؤمنين عائشة،بغداد،المطبعةالحيدرية،

1416هـ،ص113.

⁽³⁾.الطبري،تاريخ، 167/5.

فالدعوة الى الاصلاح لا تحتاج الى هذا الكم من المال لتجهيز الناس، ولماذا الناس؟ فبالكلمة الطيبة يتم الصلح لا بتجهيز الجيوش وتمويلها، فهذا التجهيز البشري والمادي يستخدم للحرب لا للصلح.

ثم لماذا الشخصوص الى البصرة ، وأذا كان هناك خلاف فالخلاف في مركز المدينة حيث جميع الاقطاب، ولذا فقد وضعوا ثلاث أهداف لمسيرتهم:

1. أعزاز الاسلام

2. قتال المحليين

3. الطالب بئار عثمان

وركبت عائشة على جمل أسمه عسكر، وعن العرني صاحب الجمل" بينما أنا أسير على جمل، أذ عرض لي راكب فقال: يا صاحب الجمل ، أتبيع جملك؟ قلت: نعم، قال: بكم؟ قلت: بألف درهم، قال: مجنون أنت، جمل يباع بألف درهم؟! قلت: نعم ، جملي هذا، قال: ومم ذلك؟ قلت: ما طلبت عليه أحد قط الا أدركته، ولا طلبني وأنا عليه أحد قط الا فته، قال: لو تعلم لمن نريده لاحسنت بيعنا، ، قلت: لمن تريده ؟ قال: لأملك! قلت: لقد تركت أمي في بيتها قاعدة لا تريد براحا، قال: انما نريده لأم المؤمنين عائشه، قلت: فهو لك، فخذ بغير ثمن، قال: لا، ولكن أرجع معنا الى الرحل فلنعطيك ناقة مهرية، ونزيدك دراهم ، قال: فرجعت فأعطوني ناقة مهرية، وزادوني أربعمئة دراهمًا وستمئة دراهمًا⁽¹⁾.

فالجمل الذي ركبته عائشة أختير لها من بين الجمال وما يليق بها وهو دجها ، فالمسير الى البصرة يعني الكثير من المشقة والجهد.

أن الذي أشتري جمل معركة الجمل هو يعلي بن منبه عامل عثمان على اليمن ، وقد هرب منه عند بيعة علي بن ابي طالب(عليه السلام) للخلافة، فأتى مكة وصادف فيها عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم واخرين

⁽¹⁾.ابن الاثير، الكامل، 103/3.

من بني أمية ، فأعطى عائشة وطلحة والزبير اربعمائة الف درهم ، وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكر ، وكان قد اشتراه بمائتي دينار⁽¹⁾.

وعلى الرغم من تناقض قيمة الجمل بين النصين أعلاه فإن الذي اشترى الجمل هو يعلي بن منبه بن أمية ، وهو غير مخطيء في مسعاه ، فعلي بن ابي طالب قد عزله بعد مقتل عثمان ، فلا بد من التضحية بالمال والجهد لحرب علي بن ابي طالب(عليه السلام)، فالخلاف بين المعارضين وعلي(عليه السلام) خلاف مادي وخلاف سلطه، وليس للعقيدة فيه مكان.

كتب الاشر الى عائشة" فأئك طعينة رسول الله (ع)، وقد أمرك أن تقري في بيتك، فإن فعلت فهو خير لك ، وأن أبيت ألا أن تأخذي منسأك وتلقي جلبابك وتبدي للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردك الى بيتك ، والموضع الذي يرضاه لك ربك⁽²⁾.

والاشترهنا يعود بالمرأة الى مكانتها التي ارادها الله ورسوله(ع)، ويقوم الاعوجاج والشرخ الذي بدأ يكبر مع الايام بسعة مقتل عثمان، وعصيان معاوية.

لكن عائشة ترد عليه" فأئك أول العرب شب الفتنة، ودعا الى الفرقة، وخالف الائمة، وسعى في قتل الخليفة⁽³⁾.

فالكل هنا في مسعاه، لا ينفك في تأليب الناس على علي بن ابي طالب(عليه السلام)، ولوتأملنا أقوال الزاحفين الى البصرة نراها أكثر تشدداً في تطبيق تلك الاقوال، فعائشة عندما سمعت ببيعة علي قالت" وددت أن هذه أنطبقت على هذه " " ما لعلي يستولي على رقابنا" لا ادخل المدينة ولعلي فيها سلطان" تعسوا تعسوا لا يردون الامر في تيم أبداً"، وكانت تقسم للزبير " أنت والله أحق منه بالامر" وتقصد علياً، أما الزبير فيرد على اتهام عائشة له " أما ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت الى ربي من ذنبي في ذلك، ولن أترك الطلب بدم عثمان" فالزبير يهرب من ذنبه الى ربه ، فهو

⁽¹⁾.المسعودي،مروج،266/3.

⁽²⁾ابن ابي الحديد،شرح نهج البلاغة،234/6.

⁽³⁾.المصدر نفسه،236/6.

يعترف بأشتراكه بقتل عثمان، ثم يخرج مطالباً فيه، أما طلحة " لما أشتد بعثمان الحصار عمل بنو أمية على أخراجه ليلاً الى مكة وعرف الناس ذلك فجعلوا عليه حرساً ، وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله، وهو أول من رمى سهم في دار عثمان⁽¹⁾

كتب قثم بن عباس لعلي (عليه السلام) بخروج عائشة وطلحة والزبير⁽²⁾، وكتب عقيل بن ابي طالب الى علي (عليه السلام) بخروج الثلاثة، وكان عقيل قد ذهب الى مكة معتمراً⁽³⁾.

فعلي بن ابي طالب (عليه السلام) يملك المعلومة عن مسير عائشة وطلحة والزبير، فقد سار جيش المطالبين بدم عثمان وقد أجمع اليهم ثلاثة آلاف ، منهم من أهل المدينة ومكة تسعمائة⁽⁴⁾، بل خرجوا في تسعمائة رجل من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة الاف رجل⁽⁵⁾، " فحملوا ستمائه رجل على ستمائة بعير وساروا في ألف ، وقيل: في تسعمائة من أهل المدينة ومكة ، ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة الاف رجل⁽⁶⁾، " ثم خرجوا من مكة في تسعمائه ثم لحقهم الناس حتى صاروا ثلاثة آلاف⁽⁷⁾.

وقد أجمع المؤرخون على عدد الخارجين الى البصرة لقتال علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وقد كسب المطالبون الناس بالدرهم والعطاء، وعلي (عليه السلام) لا يفعل هذا فهو يعطي لكل صاحب حق حقه، فقد كان علي (عليه السلام) يكنس بيت المال ثم يصلي فيه⁽⁸⁾ وهو الذي قيل فيه " زنت الخلافة وما زانتك " ، خرج الجميع لقتال من قال فيه عمر بن الخطاب " أعوذ بالله من معضله ليس فيها أبو الحسن⁽⁹⁾.

⁽¹⁾ الشيخ لمفيد، الجمل، ص146.

⁽²⁾ ابن منظور، لسان العرب، 225/5.

⁽³⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج1/74.

⁽⁴⁾ أبو مخنف، نصوص، 104/1.

⁽⁵⁾ البلاذري، أنساب، 222/2.

⁽⁶⁾ ابن الاثير، الكامل، 1102/3.

⁽⁷⁾ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص72.

⁽⁸⁾ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص160.

⁽⁹⁾ الزهري، أبو عبد الله محمد بن سعد، العشرة المبشرة بالجنة من طبقات ابن سعد، ط4، القاهرة، مطبعة دار الزهراء للإعلام العربي، 339/2، 1988.

وأتهام علي والنيل منه كان سرّاً بين القلوب فضحه مقتل عثمان، فالامر بين عائشة وبين عثمان وصل الى الملاعة فكان يناديها يا زعراء⁽¹⁾، بل أن عائشة أخرجت شعرةً من شعر رسول الله(ﷺ) ونعله وثيابه، وقالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال! وغضب حتى ما كان يدري ما يقول⁽²⁾، ثم كانت حادثة المسجد عندما لا عنتاه حفصه حفصه وعائشه، فقال: هاتان لفتانتان⁽³⁾.

وخرجت عائشة وطلحة والزبير الى مكة، جاء مروان بن الحكم حتى وقف على طلحة والزبير فقال: على أيكما أسلم بالامرة وأؤذن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد الله، يعني أباه الزبير، وقال محمد بن طلحة: على أبي محمد، يعني أباه طلحة، فأرسلت عائشة الى مروان وقالت له: أتريد أن تفرق أمرنا! ليصل بالناس ابن أختي، يعني عبد الله بن الزبير⁽⁴⁾.

وخرجت أمهات المؤمنين مع عائشة لخارج المدينة، فبكوا على الاسلام، فلم يرى يوم أكثر منه بكاءً على الاسلام، فكان يسمى هذا اليوم يوم النحيب⁽⁵⁾.

وخرج علي بن أبي طالب(عليه السلام) وراءهم في تسعمائة راكب من المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول الله(ﷺ) ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس، وأستخلف على المدينة قثم بن العباس، وكان له فضل وعقل، لكنهم فاتوه⁽⁶⁾.

أراد علي بن أبي طالب(عليه السلام) أن يللم ما كان بعد مقتل عثمان، وأن يوقف المعارضين الطالبين بدم عثمان عند حدود المدينة، حتى لا تصل عدوى التمرد الى الامصار الاخرى العراق خاصة، وأهل العراق لهم هوى في أكثر من رجل.

⁽¹⁾ عبد القادر الزيات، ابراهيم، المعجم الوسيط، 293/1.

⁽²⁾ البخاري، البدء، 218/2.

⁽³⁾ الفراهيدي، كتاب العين، 128/8.

⁽⁴⁾ ابن الاثير، الكامل، 315/3.

⁽⁵⁾ الطبري، تاريخ، 313/4.

⁽⁶⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 74/1.

وفي الطريق لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بها، فقال: أين تذهبون وتتركون ثأركم على اعجاز الابل وراءكم؟ يعني عائشة وطلحة والزبير أقتلوهم ثم أرجعوا الى منازلكم ، فقالوا نسير حتى نقتل قتلة عثمان جميعاً⁽¹⁾.

أن شهادة سعيد بن العاص بأن قتلة عثمان معهم على الابل تظهر براءة علي بن ابي طالب(عليه السلام) مما يدعون عليه، وأن القوم في عدم قتلهم للثلة التي معهم والمتهمة الرئيسة في قتل عثمان ، دليل آخر أنهم يبيتون لأمر آخر غير الذي أعلنوه.

وحتى السائرين الى قتال علي(عليه السلام) لا يعرفون لمن الأمرة عليهم، قال سعيد بن العاص لطلحة والزبير: إذا ظفرتما لمن تجعلان الأمرة؟ أصدقاني، قالوا: نجعله لاحدنا أينما يختار الناس ،قال: بل تجعلونه لولد عثمان فأنكم خرجتم تطلبون بدمه، فقالوا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأيتام! قال: فلا أراني أسعى إلا لأخراجها من بني عبد مناف، فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد ، وقال المغيرة بن شعبه: الرأي ما قاله سعيد ، من كان ههنا من ثقيف فليرجع، فرجع ومضى القوم ومعهم أبان والوليد أبنا عثمان⁽²⁾.

هذا حال الخارجين مع عائشة وطلحة والزبير، لا يعرفون من يأتهم عليهم، ولا يعرفون لمن تكون، اليس هذه مفارقة في الحروب.

ويرى السائرين على خط علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، أن حديث الدار كان فيه أمر للرسول(ع) من الله بتنصيبه⁽³⁾، كما أنه ولي المسلمين بقول الرسول الكريم(ع) في غدير خم⁽⁴⁾، أكد ذلك جابر بن سمرة عن الرسول(ع): أن هذا الامر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ ، قال: قلت لابي: ما قال؟ قال: كلهم من قریش⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ابن الاثير، الكامل، 3/315.

⁽²⁾ العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ص125.

⁽³⁾ العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، بيروت، مؤسسة النعمان، 1991م، 1/203.

⁽⁴⁾ التستري، القاضي نور الدين الحسيني، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ط3، (قم، 1989)، 2/415.

⁽⁵⁾ القشيري، صحيح مسلم، 100/4.

كان صاحب جمل عائشة دليل القوم في مسيرهم، وكان لا يمر على وادي إلا سألوه عنه، حتى طرّقوا الحوآب ، وهي ماء فنبتت كلابها ، قالوا : أي ماء هذا؟ قال: ماء الحوآب ، فصرخت عائشة بأعلى صوتها، وقالت " أنا لله وأنا اليه راجعون، أني لهيّه، سمعت رسول الله يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبّحها كلاب الحوآب "(1)، ثم ضربت عضد بغيرها فأناخته وقالت: ردوني ، فأنا والله صاحبة الحوآب، فأناخوا حولها يوم وليلة.

لقد عرفت عائشة أن هذا الماء هو ماء الحوآب ، وسمعت نباح كلابها، وأناخت بغيرها، فلماذا لم ترجع عن مسيرها .

قال لها عبد الله بن الزبير: هذا كذب، وأقسم لها طلحة أن ذلك ليس ماء الحوآب ، وشهد معهما خمسون رجلاً ممن كان معهم، فكانت أول شهادة زور في الاسلام (2).

هل يحق لمن يطلب الامر والخلافة أن يكذب، وأذا تلقفها فكيف يكون مصير الناس في عطائهم وعباداتهم وحياتهم اليومية، أن الجواب هنا لا يغني بالتوبه ، أو القول بالضروره ، فهذا باطل شرعاً.

ورحلوا الى البصرة، وكاتبوا عثمان بن حنيف (3) عامل علي بن ابي طالب(عليه السلام) عليها، وهم في "الحفير" وهو موضع بين مكة والبصرة، وأرسل عثمان بن حنيف رجلين، عمران بن الحصين وأبو الاسود الدؤلي، فدخلا على عائشة، فردتهما بانها تطالب بدم عثمان المظلوم، فعادا الى البصرة وأبلغوا عثمان بن حنيف بذلك.

أن اختيار طلحة لخمسين من الاعراب بالشهادة، دليل على جهل الاعراب بالشرائع، بقول الله تعالى {الاعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم، ومن الاعراب من يتخذ ما

(1). ابن كثير، البدايه والنهيه، 211/6.

(2). المسعودي، مروج الذهب، 395/2.

(3). صحابي، شارك في كل غزوات الرسول، تولى البصرة في خلافة علي، مات في الكوفة في نهاية حكم معاوية "أنظر الاصابة في معرفة الصحابة لابن حجر، 371/4.

ينفق مغرمًا ويتربص بكم الدواير} ⁽¹⁾ {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} ⁽²⁾ .

وخرج ابو الاسود الدؤلي وعمران بن حصين ، والتقيا بطلحة والزبير ، وسألهما عن سبب خروجهما ، فأجابا بانهم يطالبون بدم عثمان ، ثم اختلف الناس حول مطالب طلحه والزبير من أهل البصرة ، وانقسم الناس الى فرقتين ، فرقة أيدت كلام عائشة بالطلب بدم عثمان ، وأنه قتل مظلوماً وفرقة انحازت الى عثمان بن حنيف ، ثم اقبلت عائشة الى المربد ، وتكلم الزبير فاطال بالمطالبة بدم عثمان ، ثم تكلمت عائشة ، وكان نتيجة كلامها أن انحاز قوم من اتباع عثمان بن حنيف الى عائشة ، وأقبل جارية بن قدامة السعدي وقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح! أنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك! أنه من رأى قتالك يرى قتلك! لأن كنت أتيتينا طائعة فأرجعي الى منزلك ، وأن كنت أتيتينا مكرهه فاستعيني بالناس ⁽³⁾ .

أن الناس تعرف قدر عائشة عند رسول الله (ع) وعند المؤمنين ، لكنها تستغرب خروجها الى قتال وهي التي أمر الله أن تقرر في بيتها ⁽⁴⁾ .

وأقبل حكيم بن جبلة العبدي ، وتنازع القوم ودار قتال بينه وبين جيش طلحة والزبير ، وكثر القتل بين الطرفين وكذلك الجراح ، ثم تنادوا الى الصلح ، وارسلوا كعب بن سور الى المدينة يسأل أهلها ، أن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة لعلي ، فأن هما أكرها خرج عثمان بن حنيف من البصرة ، وأن كانا لم يكرها خرج طلحة والزبير منها ، وحمل الكتاب كعب بن سور شيخ الازد ، ، وأجتمع أهل المدينة ولم يجب أحد إلا اسامة بن زيد ، قال: أنهما بايعا وهما مكرهان.

⁽¹⁾ .سورة التوبة الآية 97- 98.

⁽²⁾ .سورة الحجرات الآية 14.

⁽³⁾ .ابن الاثير، الكامل، 3/319.

⁽⁴⁾ .ابونعيم الاصفهاني، حلية الاولياء ، 2/49.

ورجع كعب الى علي بن ابي طالب (عليه السلام) يخبره، فكتب علي الى عثمان بن حنيف يعجزه، وقدم الكتاب على عثمان، لكنه أحتج بالكتاب ولم يخرج للقتال، وجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر واتجهوا صوب المسجد وفيه اربعون رجلاً، فاقتتلوا في المسجد وقتلوا أربعين رجلاً، وقيل سبعين⁽¹⁾، ثم أخرجوا عثمان بن حنيف وندفوا شعر وجهه ولم تبق منها شعره، ثم امرت عائشة بقتله، وعدلت، فأمرت بحبسه وندفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه، ثم أطلقوه، وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن ابي بكر.

وكتبت عائشة كتاباً الى زيد بن صوحان فيه: من عائشة أم المؤمنين حبيبة رسول الله (ع) الى ابنها الخالص زيد بن صوحان: أما بعدُ فإن أذاك كتابي هذا فأقدم فأنصرنا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي (عليه السلام)، فكتب لها: أما بعد فأنا ابنك الخالص، لئن أعتزلت ورجعت الى بيتك وإلا فانا أول من نابذك⁽²⁾.

ولم تبخل عائشة بالكتابة الى انصار علي ومنهم زيد بن صوحان⁽³⁾، والاشتر⁽⁴⁾ وغيرهم، لكنها لم تفعل في استمالة أحد منهم.

لما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف، جمع رجاله وجاء اليهم وطلب أن يخلي سبيل عثمان بن حنيف، ولما أمتنعوا دار بينهم قتال شديد قتل فيه عثمان وخلق كثير، ثم كتبوا الى أهل الشام بما صنعوا، وكتبت عائشة الى أهل الكوفة تأمرهم أن يثبطوا الناس عن علي (عليه السلام) وتحثهم على الطلب بدم عثمان، وكانت هذه الواقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الاخر سنة ست وثلاثين⁽⁵⁾، ثم بايع أهل البصرة طلحة والزبير، وقال الزبير: إلا الف فارس أسير بهم الا علي أقتله بياتاً أو صباحاً قبل أن يصل إلينا! فلم يجبه أحد، فقال: أن هذه الفتنة التي كنا نتحدث عنها، فقال له

⁽¹⁾ .اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 181/2.

⁽²⁾ .ابن اعثم، الفتوح، 290/2.

⁽³⁾ .صحابي، شهد المشاهد كلها مع الرسول (ص)، شهد جلوا لواء وقطعت يده فيها،

قاتل الى جانب علي وقتل في معركة الجمل (أنظر: ابن قتيبة، المعارف، ص 227).

⁽⁴⁾ .تابعي، شترت عينه في اليرموك فسمي الاشر، أرسله علي الى الشام والياً، لكن معاوية دس السم له عن طريق أحد أتباعه

عام 38هـ (أنظر: ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، 238/2).

⁽⁵⁾ .الطبري، تاريخ، 181/5.

مولاه : أتسميها فتنه ونقاتل فيها! قال: ويلك! أنا نبصر ولا نبصر، ماكان أمر قط ألا وأنا أعلم موضع قدمي فيه غير هذا الامر فأني لا أدري أمقبل أنا أم مدبر! (1).

لقد أدارت الاحداث فكر الزبير ، فأمتناع الناس للخروج معه لقتل علي(عليه السلام) جعله يعود الى الوراء ، ويضع الامر في ميزان عقله ليخرج بالنتيجة أنها فتنة، على الرغم من الكثير من الاحاديث والروايات التي يخترنها صدر الزبير، الا أنه انجر الى هذه الحرب طوعا.

أراد علي بن أبي طالب(عليه السلام) أن لا يكون قتل وقتال فأرسل عبد الله بن عباس الى طلحة ليبلغه ما عزم عليه علي(عليه السلام) ، ألا أن طلحة قال لابن عباس : قل لابن عمك : إذا كان يريد حقن الدماء واصلاح أمر الامة فليمكننا من قتلة عثمان، فهم معه ويخلع نفسه ويرد الامر ليكون شورى بين المسلمين فيولوا من شأؤوا ، فانما علي رجل كاحدنا ، وأن أبي أعطيناه السيف ، فما له عندنا غير هذا!!

ويعجب من يسمع هذا الكلام من طلحة، فهو يريد من علي بن أبي طالب(عليه السلام) أن يمكنه من قتلة عثمان ، ناسياً أنه أول من رمى حجر على دار عثمان ، وأنه المحرض الاول لقتله، فأن كان الاصرار على هذا الامر فليسلم طلحة نفسه ويتوب الى ربه في مشاركته بقتل عثمان، أما خلع علي بن أبي طالب(عليه السلام) نفسه ، فعلي لم يغضب أحداً على أنتخابه لهذا الامر ، بل أنه رفض ذلك ، وعندما كان الاصرار على عدم تركه الا بتولى الخلافة، كان شرطه أن تكون بيعته امام الناس وفي مسجد رسول الله(ع)، وهذا الامر يسقط المطالبة بأن تكون البيعة شورى لأن الناس هي التي بايعت، أما الشورى التي أختارها عمر بن الخطاب فكانت بأمر عمر ، لا بأمر الناس (2).

لكن ابن عباس يرد على طلحة: يا أبا محمد لست تنصف، ألم تعلم أنك حصرت عثمان حتى مكث عشرة أيام يشرب من ماء بئرهِ وتمنعه من

⁽¹⁾المصدر نفسه.

⁽²⁾العلوي، محمد حسن، الامام علي ومعارضوه، بيروت، دار الجمل، 2005، ص43.

شرب الماء الفرات، حتى كلمك علي على أن تخلي الماء له وانت تأبى ذلك ، ولما رأى أهل مصر فعلك وانت صاحب رسول الله دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه، ثم بايع الناس رجلاً من السابقة، والفضل والقراية برسول الله (ع) والبلاء العظيم ما لا يدفع، وجئت أنت وصاحبك طائعين غير مكرهين حتى بايعتما ثم نكثتما، فعجب والله لاقرارك لأبي بكر وعمر وعثمان بالبيعة ، ووثوبك علي علي بن أبي طالب! فوالله ما عليّ دون أحد منهم ، واما قولك أن أبا علي فالسيف ، فوالله أنك لتعلم أن علياً لا يخوف

فقال طلحة: أيها عنا الان من جدالك ⁽¹⁾.

أن رد عبد الله بن عباس هو شهادة دامغة لما يدعيه الخارجون عن طاعة علي بن ابي طالب(عليه السلام)، وابن عباس يسرد الاحداث لطلحة لانه جزء من الاحداث التي وقعت قبل وبعد مقتل عثمان ، أما السيف الذي يهدد به طلحة ، فلا يشك أحد بشجاعة طلحة ، لكن عندما تصل المراهنة مع شجاعة علي تسقط كل الفروض.

أن أمر الخلافة أربك طلحة والزبير ، فهما طامعان فيه ، لكنهم أجلا البوح إلا لمن سأل، وعندما سألهم سعيد بن العاص: أن ظفرتما لمن تجعلان الامر؟! أصدقاني ، قالوا: لأحدنا أينما أختار الناس!! قل: بل أجعلوها لولد عثمان ! فأنكم خرجتم تطلبون بدمه ! قالوا: ندع شيوخ المهاجرين والانصار ونجعلها لأبنائهم! ⁽²⁾.

أن طلحة والزبير أختلفا بمن لو ظفرا ، لكن سؤال سعيد بن العاص فيه من الخبث المبطن أكثر من وضوح الفكرة عنه ،فهو يريد أن يزرع الشك بين طلحة والزبير ، وأن يعيد الخلافة الى بني أميه ، وكأن طلحة والزبير لايعلمان لماذا انقلب الناس على عثمان ، وكان أحد الاسباب الرئيسة هو ميل عثمان لابناء عمه، لكن هذا الميل تحول الى شرط ملزم لعثمان ، فطاعته لا تعني شيئاً لو أبتعد عن مولاتهم وتنفيذ رغباتهم ⁽³⁾.

⁽¹⁾. الشيخ المفيد، الجمل، ص314.

⁽²⁾. الطبري، تاريخ، 5/168.

⁽³⁾. العلوي، الامام علي، ص65.

ويعود عبد الله بن عباس الى علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فيبلغه رد طلحة، ولم ييأس علي (عليه السلام)، فيرسله الى عائشة، وأبلغه أن يقول لها عن خروجها من بيت رسول الله (ص)، وقل لها: أن هذا الامر لا تصلحها النساء، وأنتك لن تؤمري بذلك، فلم ترضى بالخروج عن امر الله في تبرجك وبيتك الذي

الذي أملك النبي (ع) بالمقام فيه حتى سرت الى البصرة فقتلت المسلمين، وعمدت الى عمالي فأخرجتهم، وفتحت بيت المال، وأملك بالتكيل بالمسلمين، وأبحت دماء الصالحين، فارعي وراقبي الله عز وجل، فقد تعلمين أنك كنت أشد الناس على عثمان، فما هذا مما مضى.

وعلي هنا لا يلوم أحد في فعله، لكنه يذكر ما لهذا وذاك، وهو يستند في قوله على قول الله جلالة، وعلى أوامر الرسول الكريم (ع).

ويذهب ابن عباس الى عائشة فلما جئتها واديت الرسالة اليها وقرأت كتاب علي، قالت: يا ابن عباس: أبن عمك يرى أنه قد تملك البلاد، لا والله ما بيده منها شيء ألا وبيدنا أكثر منه! فقلت يا اماه: أن أمير المؤمنين له فضل وسابقة في الاسلام وعظم عناء، قالت: ألا تذكر طلحة وعناءه يوم أحد، قال، فقلت لها: والله ما نعلم أحد أعظم عناء من علي، قالت: انت تقول هذا ومع علي أشياء كثيرة، قلت: الله الله في دماء المسلمين! فقالت: وأي دماء تكون للمسلمين ألا أن يكون علي يقتل نفسه ومن معه! قال ابن عباس: فتبسمت! فقالت: مما تضحك يا ابن عباس؟ فقلت: والله معه قوم على بصيرة من أمرهم يبذلون مهجهم دونه، قالت: حسبنا الله ونعم الوكيل⁽¹⁾.

أن القوم الخارجين عن طاعة أمير المؤمنين يؤيدون أقسى ما يملكه الانسان في حياته، أنهم يريدون حياة المعارض لهم والواقف أمام تفردهم ومحاولتهم إزاحة علي من موقع الخلافة، لكن ابن عباس يقول لها: الله الله في دماء المسلمين، فأى صورة غير متجانسة بين فكر الطرفين المتخاصمين.

⁽¹⁾. ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 467/2.

وكيف يقتل علياً(عليه السلام) نفسه، وهو الذي جاء بالطريقة الشرعية للخلافة، وهل هناك قتل بدون دم، فالمطالب هنا يريد أن يسفك الدم لتحقيق رغباته التي وجد أنها خارج المعقول فأخذ يتشبث بالاوهام ليحقق أمنيته.

ولم يدب اليأس في نفس علي(عليه السلام) وتفكيره، بل أن الود أن يحقق السلم دون أراقة الدماء، وهذا الأمل فيه هي الرسالة التي يريد أوصولها الى معارضية لعله يجد فيهم ما يشفي غليله في السلام ودون إراقة الدماء، " لما كان الغد دعا علياً(عليه السلام) زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس ، فقال لهما: إمضيا الى عائشه فقولاً لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقري في بيتك؟ فخذعت وأنخذعت، وأستنفرت فنفرت، فألقى الله الذي اليه مرجعك ومعادك وتوبي اليه فإنه يقبل التوبة عن عباده، ولا يحملنك قرابة طلحة وحب عبد الله بن الزبير على الاعمال التي تسعى بك الى النار⁽¹⁾.

فالرسالة واضحة المعالم، وتعرف عائشه أنها الصدق في المسير نحو سلام بلا دم، والتوبة تسقط السيئات، وكل انسان له توبة، لكن توبة من كان في صدارة الامر تعني حقن دماء كثير من البشر.

" انطلق زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس الى عائشة وبلغاها رسالة علي بن أبي طالب(عليه السلام)، فقالت: ما انا برادة عليكم شيئاً فأني أعلم لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب، فرجعا اليه وأخبراه بالخبر"⁽²⁾.

فعائشة لا تملك الحجة التي يملكها علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، وهي تقف أمام من يريد أن يثنىها عما أزمعت عليه موقف المتأمل لانقيادها الى هذا الامر الخطير، وما دام أنها لاتملك الحجة، فحري بمن أخرجها، أن يكون جدير بالدفاع عن ذلك الخروج وتلك الصحبة غير المتكافئه بالافكار⁽³⁾.

ولم ينس الخليفة ، ما كان من الزبير، قال عبد الله بن عباس " أوصاني أن ألقى الزبيرو أن قدرت أن أكلمه وابنه ليس بحاضر، فجئت مره أو مرتين كل ذلك أجده عنده، ثم جئت مرة أخرى فلم أجده عنده، فدخلت عليه وأمر

⁽¹⁾.العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ص154.

⁽²⁾.ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 467/2.

⁽³⁾(الحمزاوي، عائشة، ص170

الزبير مولاة (سرجس) أن يجلس على الباب ويحبس عنه الناس، فجعلت أكلمه فقال: غضبتُم أن خولفتُم! والله لتعلمن عاقبة ابن عمك! فعلمت أن الرجل مغضب فجعلت ألاينه فيلين مره ويشتد مره، فلما سمع (سرجس) ذلك أنفذ الى عبد الله بن الزبير، وكان عند طلحه ، فدعاه فأقبل سريعاً حتى دخل علينا.

فقال: ياابن عباس! دع بنيات الطريق ، بيننا وبينكم عهد خليفة، ودم خليفة، وأنفراد واحد وأجتماع ثلاثة وأم مبرورة ، ومشاورة عامة، فأمسكت ساعة لا اكلمه، ثم قلت: لو أردت أن أقول لقلت، فقال ابن الزبير: ولم تؤخر ذلك وقد حم الامر مبلغ السيل الزبي؟ قال ابن عباس، فقلت: أما قولك عهد الخليفة، فإن عمر جعل المشورة الى ستة نفر فجعل الستة نفر أمرهم الى رجل منهم يختار لهم ويخرج نفسه منها ، فعرض الامر على علي(عليه السلام) وعثمان ، فحلف عثمان وأبى علي(عليه السلام) أن يحلف فبايع عثمان ، فهذا عهد خليفة، وأما دم الخليفة قدمه عند أبيك لا يخرج أبوك من خصلتين: أما قتل أو خذل، وأما أنفراد واحد واجتماع ثلاثة ، فإن الناس لما قتلوا عثمان فزعوا الى علي فبايعوه طوعاً وتركوا أباك وصاحبه ولم يرضوا بواحد منهما، وأما

قولك أن معك أمّ مبرورة، فإن هذه الام أنتم أخرجتموها من بيتها وقد أمرها الله أن تقر فيه فأبيت أن تدعها وقد علمت أنت وأبوك أن النبي(ع) حذرهما من الخروج وقال: يا حميراء! أياك أن تنبحك كلاب الحوآب وكان منها ما قد رأيت، وأما دعواك مشاورة العامه فكيف يشاور فيمن قد أجمع عليه، وأنت تعلم أن أباك وطلحه بايعاه طائعين غير كارهين.

وينظر عبد الله بن عباس في رده على عبد الله بن الزبير، وهو يعلم وأعلمه علي بن طالب(عليه السلام) البغض الذي يحمله عبد الله بن الزبير لبني هاشم عامة ولعلي بن ابي طالب(عليه السلام) خاصة، لكن ابن عباس يجسد في جوابه الصورة التي يراها ، وحق علي(عليه السلام) بالخلافه وبرأته من دم عثمان.

لكن ابن الزبير يرد" الباطل والله ما تقول يا ابن عباس، ولقد سئل عبد الرحمن بن عوف عن أصحاب الشورى فكان صاحبكم أحسنهم عنده، وما أدخله عمر في الشورى إلا وهو يعرفه، ولكن خاف فتقه في الاسلام، وأما قتل الخليفة، فصاحبك كتب الى الافاق حتى قدموا عليه فقتلوه، وهو في داره بلسانه ويده وأنا معه في الدارأقاتل دونه حتى جرحت بضعة عشر جرحاً، وأما قولك: وأما علياً بايعه الناس طائعين ، فوالله ما بايعوه إلا كارهين والسيوف على رقابهم، غصبهم أمرهم، فقال الزبير: دع عنك ما ترى يا ابن عباس ، جننتنا لتوفينا! فقال له ابن عباس: أنتم طلبتم هذا ، والله ما عددناك قط إلا من بني هاشم في برك لأخوالك ومحبتك لهم ، حتى أدرك ابنك هذا فقطع الارحام ، فقال الزبير: دع عنك هذا ⁽¹⁾.

هذا هو موقف الزبير من علي(عليه السلام) ، والمحرض لذلك ولده عبد الله الذي كان شديد التعلق بخالته عائشه، فوضع منها بغض علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، بل وبغض بني هاشم ، حتى في ثورته في مكة،وهو يتعرض لهم.

¹. الشيخ المفيد، الجمل، ص317.

المبحث السابع: موقف الخليفة من الحرب قبل نشوبها

على الرغم من الاحداث التي سبقت نشوب الحرب ، فإن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان رافضاً لها ، وكيف يرضى بالحرب وهو صاحب الامر ، وأستقرار الدولة يساعده على نشر الاسلام في البلدان القريبة بجمع قوى العرب والخوض بهم في الارض ، كما أنه يستطيع أن يبني دولة بقواعد ثابتة يطبق فيها الشريعة الاسلامية ، فالحرب دمار للقوى البشرية والاقتصادية ، وهدر للدم ، وخاصة حروب المسلمين مع أنفسهم⁽¹⁾.

كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حيرة من أمره ، وهو يرى الجيوش التي حشدها طلحة والزبير لقتاله، لكنه أستمر في دعواه للسلم وفي محاولته دغدغة أفكار مناوئيه عله يجد طريقاً للسلم⁽²⁾.

وكتب الى طلحة والزبير قبل بدء الحرب "أما بعد فقد علمتما وأن كتمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وانكما لمن أرادني وبايعني وأن العامة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، فأن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب، وأن كنتما بايعتماني كارهين، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بأظهاركما الطاعة وأسراركما المعصية ، ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالنقية والكتمان، أنك يا زبير لفارس رسول الله (ع) وحواريه، وأنك يا طلحة لشيخ المهاجرين ، وأن دفعكما هذا الامر من قبل أن تدخلا فيه، كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد أقراركما به ، وقد زعمتما أني قتلت عثمان ، فبيني

⁽¹⁾ العلوي، الامام علي، ص78.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص81.

وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ، ثم يلزم كل أمرى بقدر ما
احتمل ، وزعمتما أنى أويت قتلة عثمان ، فهؤلاء بنو

عثمان فليدخلوا فى طاعتي، ثم يخاصموا إلى قتلة أبيهم، وما أنتما وعثمان،
أن كان قتل ظالماً أو مظلوماً؟ ولقد بايعتmani وأنتم بين خصلتين قبيحتين:
نكت بيعتكما، وأخرجكما أمكما، فأرجعا أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الان
أعظم أمركما العار، من قبل أن يتجمع العار والنار، والسلام⁽¹⁾.

فقد أتهمهما علي بن أبي طالب(عليه السلام) باظهار الطاعة واسرار
المعصية أن كانا قد بايعا كارهين، كما طالبهما بالرجوع الى الحق والتوبة
الى الله سبحانه وتعالى، إن كانا قد بايعا طائعين، كما بين لهما أنهما لا
علاقة لهما بالمطالبة بدم عثمان أن كان قتل ظالماً أو مظلوماً ، فلماذا
يصران على المطالبة بشيء ليس لهما حق فيه؟! وأما أبناء عثمان فقد
تتكروا للحق ونبذوه وراء ظهورهم ، ولا عجب فى ذلك، فهم أغصان من
الشجرة الملعونة فى القرآن ، فينبغي لهم أن يدخلوا فى طاعة أمامهم
الشرعى علي بن أبي طالب(عليه السلام) ويباعوه ويعرضوا عليه قضية
أبيهم ويخاصموا قتلته، لكنهم لم يأتوا العدل من باب، بل أصروا على
الخروج عن طاعة الخليفة الذى ينبغى أن يلجؤوا اليه ، وأنضوا تحت
راية المعارضين لعلي(عليه السلام)، فطلبوا العدل بالجور، والحق بالباطل،
والانصاف بالظلم، ودم ابىهم بالتمرد والعصيان وسفك الدم البرىء ، فكان
طريق الطلب لتنفيذ مطالبهم أسوأ طريق ، مليء بالغىض والضغينة
والدم⁽²⁾.

لقد عاش طلحة والزبير بين الخصلتين القبيحتين، كما ذكرها علياً(عليه
السلام)، فهما قد نكثا البيعة ، واخرجا أمهما، وأن موتهما بهذه الصورة هي
ميتة الجاهلية ، فلا بيعة فى عنقهما لأمام، كما أن أخرج أمهما من مكة الى
البصرة هي هتك لسترها ومخالفة صريحة للقرآن الكريم عن عمد وأصرار
، فبأي حجة سيدافعان عن هاتين الخصلتين القبيحتين أمام العدل الالهي يوم
القيامة؟ ولو أقتصر الامر على تلك الخصلتين لهان الامر ، لكن كيف

⁽¹⁾. الشريف الرضى، نهج البلاغة، 111/3.

⁽²⁾ العلوي، الامام علي، ص87.

سيخلصان أنفسهما من نتائج تلك الخصلتين، وما تركته من زهق النفوس ،وسفك الدماء ،وتعذيب ، وأرامل، ویتامی.

وقد طالبهما علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالرجوع عن رأيهما والاكتفاء بالعار في خروجهما وأشعال حرب يجتمع فيها العار والنار، وهما بذلك يهينون الدين بالطريقة المتشنجة بالتعامل مع قضية عثمان ، ثم مع قضية علي بن أبي طالب (عليه السلام).

كان هذا موقف علي (عليه السلام) من الحرب، فما كان موقف طلحة منها، رد طلحة على كتاب علي (عليه السلام) "أنك سرت مسيراً له ما بعده، ولست راجعاً وفي نفسك منه حاجة، فأمض لامرك أما أنت فلست راضياً دون دخولنا في طاعتك، ولسنا بداخلين فيها أبداً، فأقض ما أنت قاض (1).

أن رد طلحة رداً موحشاً في ببداء تتسارع فيها الرياح، فقد أخذه تفكيره الى ما بعد الخروج عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فهم يقولون أنهما لن يدخلوا في طاعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وبقاؤهم خارج دائرة الرأي ، وفي حزمة الرأي المعارض، واستمرار هذا التيار سيولد تيارات أخرى تكون أكثر ثقلًا على المسيرة الإسلامية الناشئة، ووجود التيارات تلك سيستتبط منها آراء جديدة فيها من المخالفات الفكرية ما تهدد ثوابت الشريعة.

لم يبق أمام علياً (عليه السلام) سوى العوده ثانيه للأقناع، والجنوح للسلم، وهي تعبير عن ما يحمله من نظرة للحرب، فكتب الى عائشة: أما بعد فأنت قد خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله محمد(ع)، تطلبين أمراً كان عنك وضوعاً ، ثم تزعمين أنك تريدان الإصلاح بين المسلمين، فاخبريني ما للنساء وقود العسكر والإصلاح بين الناس، زعمت أنك تطلبين بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أمية، وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، ولعمري ان الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم اليك ذنباً من قتلة عثمان، وما غضبت حتى أغضبت ولا هجت حتى هيجت، فأتقي الله يا عائشة وأرجعي الى منزلك وأسبلي عليك بسترِكَ والسلام .

⁽¹⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 90/1.

وقد ردت عائشة على كتاب علي بقولها: "جل الأمر عن العتاب والسلام"⁽¹⁾.

وبهذا الرد يكون علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد يأس من عائشة ، وعودتها الى بيتها، والاقرار فيه ، فهي الآن في موقع المسؤولية لما يدور في البصرة، ولو أنها تخلت عن نيتها في مشاركة طلحة والزبير في امرهم لتغير الحال الى ما هو أسلم لطريق السلم ونهاية الحرب.

عمل علي بن أبي طالب (عليه السلام) بكل الطرق الكفيلة بانهاء هذه الازمة، ولم يرسل أحد الى قبيلة ليحرض أهلها في قتاله ضد طلحة والزبير، سوى من أتاه من أهل الكوفة والبصرة، وعندما شغل الكوفة وطلب مساعدتها في حربه، كان يريد أن يقطع الطريق أمام طلحة والزبير في دعوة أهل الكوفة للوقوف بوجهه في الحرب.

وعندما وصل البصرة ،بعث اليه الاحنف بن قيس رسولا يقول: أني مقيم على طاعتك في قومي، فان شئت أتيتك في مائتين من اهل بيتي فعلت، فأن شئت حبست عنك أربعة آلاف من بني سعد ، فبعث اليه علي بن أبي طالب (عليه السلام): بل أحبس وكف⁽²⁾.

وفي رواية ثانية" أختري مني واحد من اثنين : إما أن أكون أتيتك فأكون معك بنفسي ، وأما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف⁽³⁾.

فلو اراد الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن يرفع راية الحرب ، ماكان رده على الاحنف بن قيس بالشكل الذي ذكر، ولو كانت في قرارة نفسه الحرب لجيش الجيوش وبدأ الحرب منذ ساعة وصوله الى العراق، بل أنه أخذ طريق الحوار مع المتنازعين لعله يصل الى نتيجة تحقق دماء المسلمين وتجنبهم كارثة لا تحمد عقباه.

لم يترك طلحة والزبير وسيلة ألا استخدموها ضد علي (عليه السلام)، فقد قام عبد الله بن الزبير في معسكره قائلاً: أيها الناس : إن هذا الوعث

⁽¹⁾.صفوت،جمهرة رسائل العرب،333/1.

⁽²⁾.الطبري،تاريخ،199/5.

⁽³⁾.المصدر نفسه،197/5.

والرعث قتل عثمان في المدينة، ثم جاءكم ينشر أموركم بالبصرة وقد غصب الناس أنفسهم، إلا تنصرون خليفتم المظلوم؟ أترضون أن يتوردكم أهل الكوفة؟! أغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتهم، إن علياً لا يرى أن معه في هذا الأمر أحداً سواه ، والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم⁽¹⁾.

أن من يصف خليفة رسول الله (ع) بالوعث والرعث، لا يبخل في قتله والتمثيل به، وإلا ماذا يريد هؤلاء من علي ، ولماذا البصرة؟ ولماذا التشبث بمعاوية والاستماع الى نصائحه.

ويرد علي بن ابي طالب (عليه السلام) على كلام ابن الزبير، ويأمر ابنه الحسن أن يخطب فيقول: أيها الناس : أنا قد بلغنا مقالة عبد الله بن الزبير، فأما زعمه أن علياً قتل عثمان ، فقد علم المهاجرون والانصار بأن أباه الزبير بن العوام لم يزل يجتني عليه الذنوب، ويرميه بفضيحات الذنوب ، وطلحة بن عبيد الله راكز رايته على باب بيت المال وهو حي، وأما شتيمة لعلي فهذا ما لا يضيق به الحلقوم لمن أراده، ولو أردنا أن نقول لفعلنا، وأما قوله علياً أبتز الناس امورهم ، فأن أعظم حجة أبيه الزبير أنه زعم بايعه بيده دون قلبه، فهذا إقرار البيعة، وأما تورده أهل الكوفة على أهل البصرة فما يعجب من أهل الحق وردوا على أهل الباطل، ولعمري ما نقاتل أنصار عثمان، ولعلي أن يقاتل أتباع الجمل⁽²⁾.

لقد فند الحسن بن علي (عليهم السلام) أقوال عبد الله بن الزبير ، بل أنه وضح الصورة التي عليها الزبير وطلحة، وأخذ الحجة عليهم أنهم بايعون وهم كارهون، وهي شهادة عليهم بالبيعة ، لا يسقطها الاكراه، فالمؤمن لا يكره على فعل فيه نص .

ولو كان علي (عليه السلام) بهذا الشكل الذي وصفوه لما ذكرت له شواهد مع رسول الله (ع)، قال رسول الله (ع) " أني أوشك أن أدعى فأجيب، واني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل ، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من

⁽¹⁾ ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 466/2.

⁽²⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص326.

السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لا يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فأنظروني بمن تخلفوني فيهما⁽¹⁾.

ولما نزلت الآية " أنما أنت منذر ولكل قوم هاد" قال الرسول " أنا المنذر وعلي الهادي ، وضرب بيده على صدر عليّ ، فقال: أنت الهادي بعدي يا عليّ بك يهتدي المهتدون"⁽²⁾.

لم يبقَ أمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الا مواجهة خصومه ، ولا بد لتلك المواجهه من وقفه ، لعل الامر يكون أقرب للسلم منه للحرب.

⁽¹⁾.جنبل،المسند، 17/3.

⁽²⁾.الجويني،ابراهيم بن محمد بن مؤيد،فرائدالسبطين،القاهرة،مؤسسةالمحمودي،ص148؛السيوطي،الدر المنثور،52/4.

الفصل الرابع

تحضيرات الإمام علي (عليه السلام) لمواجهة المنحرفين
عنه والتخطيط للمعركة

المبحث الأول: توجه الإمام (عليه السلام) نحو العراق

المبحث الثاني: تقسيم الكتائب وعقد الألوية والرايات

المبحث الثالث: محاولات الإمام (عليه السلام) لوحدة الصف
وتجنب الحرب

المبحث الأول: توجه الإمام (عليه السلام) نحو العراق

استنهاض أهل الكوفة

لم يكن علي (عليه السلام) في هذا الامر الذي أصاب الدولة الاسلامية وانجرارها الى القتال فيما بينها راضياً، لكن الحالة التي وصلت لها قضية خروج عائشة وطلحة والزبير قد شغلته، وهو ربيب رسول الله (ع) والعارف بأسراره وافعاله، وقد قال رسول الله (ع) " أنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الامة، وهي جميع فأضربوه بالسيف كائناً من يكون" (1).

والكوفة الحاضرة الاسلامية التي لعبت دوراً مميزاً في كل الاحداث التي وقعت في الدولة الاسلامية، وأستوطنها العشرات من الصحابة وسكنتها قبائل عديدة، فكانت أهواء أهلها متضاربة، وفي كل الاحوال فهي لاعبة ماهرة في الساحة الاسلامية، تصنع الحدث بكل حذافيره وحيثياته.

كان على الكوفة أبو موسى الاشعري (2)، وعلي ينظر الى الكوفة لانها المصر الاكبر الذي سوف يستعين به في حربه المقبله.

ارسال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الى الكوفة:

أرسل علي بن ابي طالب (عليه السلام) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (3) الى أبي موسى الاشعري بهذا الكتاب " من عبد الله علي أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس، أما بعد، فأني قد بعثت اليك هاشم بن عتبة بن ابي وقاص لتشخص إلي من قبلك من المسلمين ليتوجهوا الى قوم نكثوا بيعتي، وقتلوا شيعتي، وأحدثوا في الاسلام هذا الحدث العظيم، فأشخص بالناس

(1). الطبراني، المعجم الوسيط، 1/186.

(2). صحابي، من مواليد اليمن، هاجر الى الحبشة، تولى البصرة ثم الكوفة، أختير حكماً في صفين، توفي عام 44 هـ في الكوفة ودفن فيها. أنظر: الزركلي، الاعلام، 4/254.

(3). صحابي، خطيب، شارك في اليرموك والقادسية، واستشهد في أواخر معركة صفين، وكان مع علي، أنظر: الزركلي، الاعلام، 9/46.

الى حين يقدم عليك ، فأني لم أولك المصر الذي أنت فيه، ولم أقرّك عليه الا لتكون من أعواني على الحق، وأنصاري على هذا الامر والسلام⁽¹⁾.

ما كان لعلي(عليه السلام) غير النظر لاهل الكوفة على أنهم اعواناً له في حربه المقبلة مع المعارضين، وأن لم يثبوا فإن أمر الحرب يكون في كفة ميزان ، ليس لعددهم ، لكن لتفكيرهم بقبول خلافة علي بن ابي طالب(عليه السلام)، فالعراق مهم بالنسبة للخلافة ، وقد أقتطع منه البصرة ، مكان المعارضة⁽²⁾.

وصل الكتاب الى أبي موسى الاشعري ، لكنه حبس الكتاب ، وكتب هاشم بن عتبة الى علي : لعبد الله علي أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة: أما بعد يا أمير المؤمنين ، فأني قدمت بكتابك على أمري مشاق بعيد الود، ظاهر الغل والشنان، فتهددني بالسجن ، وخوفني بالقتل، وقد كتبت اليك هذا الكتاب مع المحل بن خليفة أخي طيء، وهو من شيعتك وأنصارك، وعنده علم ما قبلنا، عما بدا لك، وأكتب إليّ برأيك والسلام⁽³⁾.

كان هذا رأي ابي موسى الاشعري والمعروف عنه أنه يطلب السلامة ، ولا يحب الحرب والقتال.

وقدم رجل من أهل الكوفة ، قال له علي(عليه السلام): أخبرني عما وراءك، قال : فأخبره، حتى سال عن أبي موسى ، فقال: أن اردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك، وأن اردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أردت الا الاصلاح حتى يرد علينا ، قال: قد أخبرتك الخبر، وسكت وسكت علي(عليه السلام)⁽⁴⁾.

لكن علياً(عليه السلام) لم يستكن ، فهو في قمة إدارة الدولة الاسلامية ، ولا بد له من إعادة الامور الى نصابها، وما دام القوم قد وضعوا الحرب طريقاً

⁽¹⁾..أبومخنف،نصوص،ج1/112.

⁽²⁾الخالدي،الامام علي رجل كل العصور،ص65.

⁽³⁾ابن ابي الحديد،شرح نهج البلاغة، 9/14.

⁽⁴⁾..الطبري،تاريخ،4/327.

للنتيجة التي يريدونها فحري بال خليفة أن يقف في وجوههم وأبطال مسعاهم⁽¹⁾.

وكان أبو موسى يثبط الناس عن الخروج الى نصره علي بن ابي طالب(عليه السلام)، وأرسل علي بن ابي طالب(عليه السلام) الى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بكتاب الى أبي موسى، وابلغهما بأن يحرضا الناس على الخروج من الكوفة لنصرته، وكان أبو موسى يسأل الناس في الخروج وكان يقول لهم: القعود سبيل الاخرة والخروج سبيل الدنيا، وقد غضب رسولا علي من أبو موسى، وأغلظا اليه، لكنه كان يردد أن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما ويقصد علي بن ابي طالب(عليه السلام).

لكن عثمان قتل ، فهل يحق لابي موسى أن تبقى الامة بلا إمام يقودها، ثم ماذا يحسب خروج عائشة وطلحة والزبير للقتال ؟ ألم يبايعا علي(عليه السلام) ؟ ألم يقولوا له نحن شريكاك في الامر ؟ ألم يطلبوا الإمرة على مصر من الامصار ؟ وكيف يكون تصرف الخليفة حتى وأن لم يكن علياً عليها.

عندما عاد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، قال عليّ للاشتر: أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء ، أذهب أنت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسدت⁽²⁾.

قام علي بن ابي طالب(عليه السلام) بعد تسلمه زمام الامر بتوزيع عماله على الامصار، وكان أبو موسى الاشعري على الكوفة في ولاية عثمان بن عفان، وأنحاز الاشتر لأبي موسى وطلب من علي(عليه السلام) أقراره على الكوفة، فأقره.

دخل عبد الله بن عباس الكوفة وبصحبه الاشتر وأستعانا بأبي موسى الذي قال لأهل الكوفة: أن أصحاب النبي (ع) الذين صحبوه في المواطن اعلم بالله عز وجل وبرسوله(ع) ممن لم يصحبه، وان لكم علينا حقاً فأنا مؤديه اليكم! كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل، ولا تجترئوا على الله عز

⁽¹⁾الموسوي، علي، الفكر العسكري عند امير المؤمنين، بيروت، دارصادر، 2007، ص45.

⁽²⁾الطبري، تاريخ، 329/4.

وجل ، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الامامة منكم، ولا تكلفوا الدخول في هذا فأما أذ كان ما كان ، فأنها فتنة صماء⁽¹⁾.

كان هذا رأي ابي موسى على مسمع ومرأى من الناس ، فالسابقة هي الاولى وهي في علي وطلحة والزبير، لكن الرأي الثاني كان محبطاً للرسولين، فعلي بن أبي طالب لم يأت الخلافه بتتصيب أو تعيين ، بل أن الناس أختارته بالاكراه بعد أن أمتنع عنها ، بل طلب أن تكون بيعته أمام الناس ، وكانا الخارجان عنه في هذا الامر طلحة والزبير من أول المبايعين⁽²⁾.

إرسال الحسن(عليه السلام) وعمار بن ياسر الى الكوفة

لم يقف علي بن ابي طالب(عليه السلام) مكتوف اليدين، فدعا ابنه الحسن بن علي(عليهم السلام) وعمار بن ياسر وقيس بن سعد ، وكتب معهم الى ابي موسى الاشعري: من عبد الله علي أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس: أما بعد يا ابن الحائك! والله أني كنت لأرى أن بعدك عن هذا الامر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ، ولا جعل لك نصيباً،سيمنعك من رد أمري، وقد بعثت اليك الحسن وعمار وقيساً ، فأخل لهم المصراً ، وأعتزل عملنا مذموماً مدحوراً ، فأن فعلت وإلا فأني أمرتهم أن ينادوك على سواء، أن الله لا يحب الخائنينفأن ظهروا عليك قطعوك أرباً أرباً! والسلام على من شكر النعمة، وعمل لله رجاء العافية⁽³⁾.

في هذا الكتاب المشحون بالتوتر الفكري والنفسي خاطب علي بن ابي طالب(عليه السلام) أبا موسى الاشعري، خطاباً ليس فيه شك ولا ريبه الا بما حوى ، والخطاب لا يخلو من التهديد والوعيد لأبي موسى بالقبول بما أمر به الخليفة، وأن يحرض الناس على الخروج، لا أن يثبط عزائمهم، والا فعلي قد قال بعزله لو خالف الرأي الذي طرحه⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ الطبري، تاريخ، 392/4.

⁽²⁾ الجابري، منعم حسن، ادارة الدولة في زمن الامام علي(عليه السلام)، بيروت، دار الهدى، 2009، ص 65.

⁽³⁾ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 392/4.

⁽⁴⁾ الجابري، ادارة الدولة، ص 76.

لكن ابو موسى لم يفعل عندما أستقبل الحسن(عليه السلام) وعمار وقيس، وقال للحسن(عليه السلام): إن المستشار مؤتمن ، وسمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب.

وتكلم عمار بن ياسر ثم أعقبه زيد بن صوحان ، لكن أبو موسى يخاطب الناس : أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف .

لما دخل الحسن(عليه السلام) وعمار الكوفة ، أجمع اليهما الناس ، فقام الحسن فأستنفر الناس، فحمد الله وصلى على رسوله(ﷺ) ثم قال:أيه الناس أنا جننا ندعوكم الى الله والى كتابه وسنة رسوله(ﷺ) ، والى أفقه من تفقه من المسلمين، وأعدل من تعدلون، وأفضل من تفضلون، وأوفى من تبايعون، إلا من لم ترد له راية، ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصرة، ويدعوكم الى الحق، ويأمركم بالمسير اليه، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا البيعة، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعماله، وأنتهبوا بيت المال، فأشخصوا اليه رحمكم الله فمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر⁽¹⁾.

فبعد أن سمع الحسن(عليه السلام) قول ابي موسى الاشعري لم ير غير القيام بواجبه وحشد الناس للخروج الى علي(عليه السلام)، والناس تعرف الحسن سلوكاً وأصلاً، ولا بد لكلامه أن يكون له وقعاً بين الناس.

وقام زيد بن صوحان رافعاً يده المقطوعة ، طالباً من الناس السير مع علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، لكن القعقاع بن عمرو، أخذ يثني الناس عن الخروج الى نصرة علي(عليه السلام).

وقام الحسن بن علي(عليهم السلام) فقال: أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا الى أخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه، فأجاب الناس ورضوا⁽²⁾.

⁽¹⁾.أبومخنف،نصوص، 113/1.

⁽²⁾.الطبري،تاريخ،331/4.

وتكلم هند بن عمر⁽¹⁾ ، كما تكلم حجر بن عدي⁽²⁾ ، ثم قام الاشتهر فذكر الجاهلية وشدتها، ثم قام الحسن فقال: أيها الناس أني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء، فنفر معه تسعة الاف ، فأخذ بعضهم البر ، وأخذ بعضهم الماء وعلى كل سبع رجل، أخذ البر ستة الاف ، وأخذ الماء الفان وثمان مائة⁽³⁾.

كانت الاهواء موزعة بين علي(عليه السلام) وعائشة وطلحة والزبير، وعندما أزمع علي المسير الى البصرة، كان بعض الصحابة على رأي علي في قتال الخارجين، " ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة نفر بدريون لا سابع ، وقال سعيد بن زيد: ما أجمع اربعة من أصحاب النبي (ع) الا علي أحدهم، وقال أبو قتادة الانصاري: يا أمير المؤمنين أن رسول الله(ع)، قلدني هذا السيف وقد أغمدته زماناً وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لا يألون الامة غشاً، وقد أحببت أن تقدمني فقدمني، وقالت أم سلمة: يا أمير المؤمنين لولا إن أعصى الله وأنت لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابن عمي وهو والله أعز علي من نفسي يخرج معك ويشهد مشاهدك، وخرج معه وهو لم يزل معه، واستعمله علي على البحرين ، ثم عزله⁽⁴⁾.

كان علي(عليه السلام) في مسيره يرجو أن يدرك طلحة والزبير فيردهما، لكنهم فاتوه، وتقلب الاهواء بين ثنايا القلب حسرة وغيلة من تقلب المصالح فعائشة تقدم نفسها قرباناً في سبيل قتل علي ، وأم سلمة تردد لولا ما أمرني به الله لخرجت ، أولم يأمر الله عائشة بالاقرار في بيتها، أم أنها لم تكن ضمن أزواج النبي(ع) المحببات، ألم تسمع بالحوأب ونباح كلابها ، الم يقل لها رسول الله(ع) يا حميراء ، الم تعرف حب رسول الله(ع) لعلي بن ابي طالب، وماذا يعني خروج زوج النبي (ع) الى قتال، وما علاقة المرأة بالخلافة وأمرها، هل كانت وصية من رسول الله(ع) ، كلا، انها الدنيا

⁽¹⁾ صحابي قاتل بالمشاهد كلها، وقت يوم الجمل عام 36، (أنظر: ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، 620/3).

⁽²⁾ صحابي، قاتل في كل المشاهد، قتل في صفين، أنظر: الكليني، الكافي / 219.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 331/4.

⁽⁴⁾ ابن الاثير، الكامل، 323/3.

ومطامعها ، وأهواء القلب وما يكنه من غيظ وحب لصاحب الشأن، وما علم الرسول الكريم(ع) أهل بيته الا الحب لله والناس والشرع⁽¹⁾.

الامام علي (عليه السلام) وقرار السفر الى العراق

وخرج علي(عليه السلام) من المدينة، بعد أن استخلف عليها تمام بن العباس، وعلى مكة قثم بن العباس، وخرج معه من نشط من الكوفيين تسعمائة ، وقيل سبعمائة⁽²⁾.

وكان لعبد الله بن سلام موقف جديد فيه من النصيح ما يجنب القوم سفك الدماء، قال لعلي بن ابي طالب(عليه السلام) بعد أن أخذ بعنان فرسه: يا امير المؤمنين لا تخرج منها، فوالله أن خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين أبداً! فسبوه، فقال علي(عليه السلام): دعوا الرجل من أصحاب محمد⁽³⁾.

هذه النصيحة من عبد الله بن سلام ، لم تكن نصيحة عابرة ، فالرجل سبق وأن حذر من سل السيوف وقتل عثمان ، وقال: إن سللتهم سيوفكم لا تغمد بعد أبداً، لكن كلامه لم يأخذ مأخذ الجد ، فقتل عثمان وكان ما كان ،وما سيكون.

لم يبق من أهل الشورى الذين أختارهم عمر بن الخطاب إلا علي(عليه السلام) وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص، بعد أن مات عبد الرحمن بن عوف وقتل عثمان بن عفان ، وأعتزل سعد بن ابي وقاص بيعة علي وطلب منه سيفاً يفرق بين المؤمن والكافر، فلم يبق الا الثلاثة علي(عليه السلام) وطلحة والزبير، وكان عمر يقول فيهما: ما يمنعني منك يا ابن الزبير، ألا أنك مؤمن الرضا ، كافر الغضب، وما يمنعني من طلحة إلا نخوته وكبره، !ولو وليها وضع خاتمه في أصبع امرأته⁽⁴⁾.

¹توكلي،الحاكم الزاهد،ص76.

²المسعودي،مروج الذهب،2/396.

³الطبري،تاريخ، 5/170.

⁴ابن قتيبة،الامامة والسياسة،1/43.

لم يكن علي(عليه السلام) قد وضع في حسابه قتال طلحة والزبير، وأنه تجهز لقتال معاوية في الشام عند أمتناعه عن البيعة، والبيعة التي يتحدثون عنها طلحة والزبير، كانت في رقبتهم⁽¹⁾.

سار علي(عليه السلام) الى العراق ، ووصل الربذه، وقد فاته طلحة والزبير، فأتاه ابنه الحسن(عليه السلام) في الطريق فقال له: لقد أمرتك فعصيتني فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال له علي(عليه السلام): أنك لا زلت تخن خنين الجارية، وما الذي امرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل أن لا تباع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر فأنهم لن يقطعوا امرأ دونك ، فأبيت علي، وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فأن كان الفساد كان على يد غيرك، فعصيتني في ذلك كله⁽²⁾.

والنصيحة بين الاهل هي تقويم للرأي ، ولا فرق بين أن يقدم النصح الابن للاب ، او الأب للابن، وكانما تعاد الرواية مرة أخرى حين قال العباس عم النبي لعلي(عليه السلام) والنبي مسجى: أبسط يدك لابايع حتى يبايعك الناس، ولا تدخل الشورى التي نصبها عمر بن الخطاب، لكن نصيحة الحسن فيها من أحياء السلامه التي أنتهجها الحسن في حياته ، وهي تختلف عن الشدة التي أمتاز بها علي بن ابي طالب(عليه السلام)، لكن تلك الحاليتين في علي والحسن لا تخرجا ، من إطار الولاء للرسول(ع) والرضا بحكم الله⁽³⁾.

وكان رد علي بن ابي طالب للحسن(عليهم السلام) ما يرضى به الحسن(عليه السلام) ، لحكمة علي وقدرته على الاستنتاج ، وهو الذي أيقن أن خروج طلحة والزبير للغدرة وليس للعمرة، فيقول للحسن(عليه السلام): يا بني ! أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تباع حتى يبايع أهل الامصار ، فإن الامر

⁽¹⁾ الجابري، ادارة الدولة، 73.

⁽²⁾ الطبري، تاريخ، 342/4.

⁽³⁾ السالم، تحديات حكومة امير المؤمنين، ص 67.

أمر أهل المدينة ، وكرهنا أن يضيع هذا الامر ، ولقد مات رسول الله (ع) وما أرى أحد أحق بهذا الامر مني، وبإيع الناس أبا بكر الصديق فبايعت ، ثم أن أبا بكر أنتقل الى رحمة الله وما أرى أحد أحق من هذا الامر مني، فبايع الناس عمر فبايعته، ثم أن عمر أنتقل الى رحمة الله وما أرى أحد أحق بهذا الامر مني، فجعلني سهماً من ستة أسهم ، فبايع الناس عثمان فبايعت ، ثم ثار الناس على عثمان فقتلوه ، وبايعوني طائعين غير مكرهين ، فأنا مقاتل من خالفني بمن أطاعني حتى يحكم الله (1).

لقد وضع علي(عليه السلام) النقاط على الحروف ، وأوجز في كلامه كل الاحداث التي مرت وتوقعاته لمستقبلها، فالذين أختاروه للخلافة بعد عثمان ، أكرهوه على قبولها، حتى قال لهم : لا أريد بيعة الا في مسجد رسول الله(ع) وأمام الناس حتى لا يقال أختارته النخبة، بل هدد بقتله أن لو يرض بها، وعلي بن ابي طالب(عليه السلام) يرى أنه أحق من أبي بكر في تولي الخلافة لكثير من الامور التي كانت في شخصيته ، أو التي أكتسبها من رسول الله (ع)، كما لا بد من الاشارة لشجاعته في كل الحروب التي خاضها المسلمون للدفاع عن الاسلام ونشر الدعوة الاسلامية ، وأن سيفه كان الحكم الفصل بين الحق والباطل، وعندما تولاه أبو بكر لم يمانع رغم شعوره بالحيف الذي وقع عليه، فبايع مع الناس، لكنه اعتبر عمر قد ضيع حقه ، حيث كان له سدس الموقع في الحق والاستحقاق، لكن القبيلة غلبت على المذهب، فأختار عبد الرحمن بن عوف عثمان مع علمه بليته وبتأثير ابناء عمومته عليه، فالسابقة في الاسلام لا تعني البلاغة او حسن الادارة في الحكم، فكان علي يشعر بالغبن أكثر من السابقتين ، الا إنه تجرع قبول خلافة عثمان حتى لا يحدث رفضه لها شرخاً في جسد الدولة الاسلامية، وبويع علي بالخلافة وكان أول المبايعين طلحة والزبير ، فما دام في عنقهما بيعة وهما من العشرة المبشرة بالجنة، فلا بد من التزامهما أمام الله ورسوله(ع) بما بايعا، وجاء رفضهما سهماً موغلاً في احشاء الدولة الاسلامية، ولا بد للناكث من أن يقاتل، فاما العودة للصواب ، أو القتل(2).

(1). الطبري، تاريخ، 342/4.
(2) السالم، تحدي الحكومة امير المؤمنين، ص78.

ولا يرضى علي(عليه السلام) أن يكون في واد تحيط به المنايا، فيقول لابنه الحسن(عليه السلام): أتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحل عرقوبها حتى تخرج؟ وإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الامر ويعينني فمن ينظر فيه؟ فكف عني يا بني⁽¹⁾.

أن قبول الامام علي(عليه السلام) للبيعة كان أمتحاناً عسيراً لأهل المدينة، فالجماعات الثائرة جاءت من مصر والعراق، وعندما قتل عثمان ، فإنها تريد من يشغل هذا المكان ، ولو رفض علي بن ابي طالب(عليه السلام) ذلك ، لكان هناك رأي آخر للثوار ، ولربما يكون الاختيار من أحد هذين المصريين⁽²⁾.

وعلي بن أبي طالب(عليه السلام) لا يغفل أحد ما له عند رسول الله(ع) من حضوة، حتى كان تنصيبه من قبل الرسول الكريم(ع) في حديث الدار أميراً للمؤمنين⁽³⁾.

وكما كان تنصيبه في غدير خم ولياً للمسلمين⁽⁴⁾، وقال رسول الله(ص) بحق علي بن أبي طالب(عليه السلام) عندما نزلت { إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }⁽⁵⁾ ، أنت الهادي بعدي يا علي بك يهتدي المهتدون⁽⁶⁾.

وكل تلك الفضائل لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) لم تمنع الآخرين من الوقوف أمام تلك المكارم بهيبة الولاء، ولا تسكن النفوس التي حملت غيظ الجاهلية عن الدعوى لمحاربته ، وقد كانت حجة الوداع لرسول الله(ع) خير مثال على ذلك القدر الذي يتمتع به علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ولما تكلم الرسول (ع) في حجة الوداع وأوصى بما لديه ، وبعد خروجه من مكة فصار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له غدير خم لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، وقام خطيباً وأخذ بيد علي بن أبي طالب(عليه السلام)

⁽¹⁾الخرسان، عقيل، دولة أمير المؤمنين دولة الحق المبين، قم، مطبعة الانمة، 1423هـ، ص45.

⁽²⁾السالم، تحديات حكومة أمير المؤمنين، ص81.

⁽³⁾العسكري، نجم الدين جعفر بن محمد، علي والوصية، ط2، بيروت، مطبعة دارالزهراء، 1978، ص304.

⁽⁴⁾اللكهنوتي، حامد حسين بن محمد، عباة الانوار، طهران، مؤسسة البعثة،

1405هـ، ص34.

⁽⁵⁾سورة الرعد، الآية7.

⁽⁶⁾الهندي، كنز العمال، 187/2.

فقال: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : بلى يا رسول الله ! قال: فمن كنت مولاه ، فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (1).

ونذكر أن رسول الله (ع) قرأ الآية { فَيُبَيِّنُ أُنْزَلَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ } (2) فقام إليه رجل فقال: بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الانبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ - لبيت علي وفاطمة (عليهم السلام) - قال: نعم ، من أفاضله (3).

ولما نزلت الآية { وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ } (4) وقد قال رسول الله (ع) "صالح المؤمنين" علي بن أبي طالب (عليه السلام) (5).

وعلى كل الحالات، فإن المطالبة بدم عثمان أخذ منحى واسعاً ، وكأن الاعراب كانت تنتظر تلك الهوة بين أصحاب رسول الله (ع) لتظهر حقدتها ، وتخرج ما بنفسها ، غير عابئة بالنتيجة التي ستؤول إليها الامه في هذا الشتات، وذلك التمزق، ولو كتبنا التاريخ من باب الافعال التي قام بها الاعراب لتبين عمق القضية على المستقبل الفكري للاسلام ، ومدى فاعلية أنتشاره بين أمم الارض ، لاسيما وهو الدين الجديد بافكاره ومعالجاته للواقع العربي المليء بالمتناقضات، فالخطوره في كتابة التاريخ، فما لم يكن الانسان متجرداً حين يكتب، فليس فيمن يكتبه كبير ثقة وعظيم أطمئنان، وهو الذي نجده في اختلاف الآراء في مفردة واحدة من مفردات التاريخ، حتى ربما كان المؤرخون قد عاشوا هذه المفردة بأنفسهم (6). وأسباب

(1). اليقوي، تاريخ، 76/2.

(2). سورة النور، الآية 36.

(3). ابن فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن ابراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، مطبعة مؤسسة النعمان، (بيروت 1992م) ط1، ج1 ص286؛ الشيرازي، ناصر مكرم، نفحات القرآن، مؤسسة أبي صالح للنشر والطباعة، (قم 1998م) ط1، ج9، ص354؛ ابن الحجام، محم بن عباس بن علي، تأويل منازل علي النبي وآله، تحقيق فارس بيرزيان، (قم 1420هـ) ط1، ص185؛ ابن البطريق، يحيى بن الحسن الاسدي، عمدة العيون صحاح الاخبار في مناقب أمام الأبرار، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، (1407هـ) ط1، ص191؛ ابن عقده، أبو العباس أحمد محمد، فضائل أمير المؤمنين، جمع وترتيب عبدالرزاق محمد حسين، (قم 1421هـ) ط1، ص199.

(4). سورة التحريم، الآية 4.

(5). البحراني، هاشم الحسني، غاية المرام في حجة الخصام، مطبعة دار القاموس الحديث، (بيروت 1983م) ط1، ص366؛ أين المغازي، أبو الحسن علي بن محمد، مناقب الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق محمد باقر المحمودي، مطبعة دار الاضواء (بيروت 1983) ط1، ص154؛ الاصفهاني، أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبدالرزاق محمد حسن، قم، مطبعة دار الحديث، 1422هـ، ص335.

(6). شبر، حسن، خلفاء بني العباس والمغول أسقطوا بغداد، بيروت، مطبعة دار الملاك، 1420، ص6.

الخلافت بين الصحابة الاوائل كثيرة ، لكن الخلاف الاكبر كان حول منصب الخلافة، وبدأ ذلك الخلاف في واقعة السقيفة بعد وفاة الرسول الكريم(ع)، ولعل الخطبه الشقشقية التي أحتج علي بن أبي طالب(عليه السلام) بها توضح مدى عمق الخلاف حول هذا المنصب الذي يراه كل من الصحابة أنه أهل له فقد قال علي"أما والله لقد تقمصها فلان، وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى اليّ الطير، فسدت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحا ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو اصبر على طحيه عمياء ، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، ، فرأيت أن أصبر على، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا ، حتى مضى الاول لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده⁽¹⁾.

نعم ... كان علي بن أبي طالب(عليه السلام) ينظر الى الخلافة من عين واسعة، عين لا تحجب حقه المغصوب عواصف الاحداث، ولا تسكن لوعته ، رحيل الاهل والاحباب، يرى نفسه وقد غصب حقه، فمن له وقد رحل رسول الله(ع) ولم يكتب ما لن يختلف عليه أصحابه، أن الطامة هنا تغلي في صدور الصحابة، ياترى ماذا كان الرسول الكريم(ع) أن يكتب، ولماذا تنازع القوم في حضرته ، وهم الذين لم يعمل صوتهم في مقامه يوماً، ولما كانت السقيفة ، ولماذا لم يحضر أحد من بني هاشم ، بل أن من حضرها أراد أن لا يكون لهم حضور، ولو حضروا لتغير الحال ، ولقالت الانصار ، هذا بيت الرسالة ونحن له مبايعون.

تلك الغصة ما زالت تفور في صدر علي بن أبي طالب، فهو يقول بعد أن أودع ابو بكر الخلافة لعمر"لشد ما تشطر ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبه، إذا أشنق لها خرم ، وأن أسلس لها تقحم⁽²⁾.

⁽¹⁾.ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغه،213/3.
⁽²⁾.بيضون،كامل محمد رشيد،الامامة في عهدالخلافه،بيروت،دارالاضواء،2006،ص2202.

وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) يعتقد أن الإمامة ليست منصباً دنيوياً، بل منصب الهي مقرون بالعدل الالهي، " نعتقد أنها منصب الهي أقتضته حكمة الله سبحانه لمصلحة الناس في مؤزارة الانبياء بنشر الدعوة والمحافظة بعدهم على تطبيق شرائعهم وصونها من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة (1). أن معركة الجمل لم يكن معداً لها الاعداد الكافي من الدراسة والواقع والنتائج، بل هي كانت فوراً في الصدور لتراكمات كثيرة ، وفيها من المتناقضات الكثيره، وإلا ما هو تفسير عائشه وهي تتذكر قول الرسول (ع) لبعض نسائه " ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الاديبي، تخرج فينبحها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها وعن يساره قتلى كثير، ثم تنجو بعدما كادت (2).

ويزيد في رواية الحديث فيقول: أن الرسول (ع) قال: يقتل عن شمالها ويمينها قتلى كثيرة، كلهم في النار (3)

أولم تذكر عائشة أن خروجها من بيتها هو تظاهر على رسول الله (ع)، وقد أنزل الله بكتابه المجيد "وأذا أسر النبي (ع) الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به، وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأني العليم الخبير أن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وأن تظهرا عليه فأن الله هو مولا هو جبرائيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا (4).

أن الاقرار بأن طلحة والزبير قد بايعا علي بن ابي طالب (عليه السلام) هو إقرار أمر طلحة والزبير ما يثير الظن في بشرعية خلافة علي (عليه السلام) ، وهذه الشرعية لم تكن مكتسبه بل هي حق الهي أراده الله وأقره

(1) ابراهيم، علي عزيز، العلويون بين الغلو والفسف، التصوف والتشيع، بيروت، مؤسسة لاعلمي، 1415هـ، ص76.

(2) اللكنجي الشافعي، محمد بن يوسف، كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب، تحقيق محمد هادي الاميني، ط3، قم، دار تراث أحياء أهلال البيت، 1404هـ، ص171.

(3) ابن بابويه القمي، أبو جعفر بن علي بن الحسين، معاني الاخبار، طهران، مطبعة الحيدري، 1379هـ، ص305.

(4) البحراني، هاشم الحسني، البرهان في تفسير القرآن، قم، مؤسسة مطبوعات أسما عليان، 1986م، 352/4؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين،

تحقيق هاشم الرسولي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، 1379هـ، ص313؛ أبين كثير الدمشقي، تفسير أبين

كثير، 371/4؛ الحوزي، عبد الرحمن عبد علي، تفسير نور الثقلين، ط4، قم، مؤسسة مطبوعات أسما عليان، 1412هـ، 367/5، القمي،

أبو الحسن علي بن ابراهيم، تفسير القمي، بيروت، مؤسسة لاعلمي للمطبوعات،

1991م، 2ص45؛ الاستربادي، شرف الدين علي، تأويل الايات الظاهرة ف فضائل العترة الطاهرة، تحقيق حسين الاستادولي، قم، مؤسسة لنشر الاسلامي،

1409هـ، ص676.

الرسول الكريم(ع)، لكن في مسيرهم ، حين نبحت كلاب الحوآب ، فكيف كان العذر لعائشة، لقد جهزوا لها خمسين من الاعراب للشهادة زوراً وبهتاناً، وقال رسول الله(ع): أن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً، وأن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني ومن الله مجلساً شاهد زور⁽¹⁾.

أن رضا الناس عن خروج عائشة والمطالبة بدم عثمان ، لم يكن إجماعاً من المسلمين، وبديل أن الذين خرجوا مع الجيش الزاحف الى البصرة لا يتعدى الستمئة رجل، وحتى نساء الرسول الكريم كان هناك تباين في وجهات نظرهن، وما قول أم سلمة لعائشة: أي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس؟! وأرجو فيه الأجر أنشاء الله!! فقالت أم سلمة: أنت ورأيك⁽²⁾.

ولو كانت لعائشة رأي فيما يصدره عثمان في حياته ، لكان لها رأي في ضرب عمار بن ياسر من قبل عثمان، وعمار كان يحمل لبنتين لبنتين في بناء مسجد رسول الله (ع)، فلما رآه الرسول(ع) قال: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار⁽³⁾.

وكان رسول الله(ع) في مناسبات عديدة يؤكد على حبه لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) ، ويشير الى قتال البعض له " سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً حق على الله تعالى جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلمه ليس وراء ذلك شيء⁽⁴⁾.

كان علي بن أبي طالب(عليه السلام) في كل المواقف الاسلامية مميزاً في شجاعته وحكمته وأقدامه والتضحية بنفسه في سبيل الاسلام ، ولذا فقد قال الرسول الكريم(ع) " عليّ مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ شهرري، محمدي الري، ميزان الحكمه، قم، مطبعة الدار الاسلامية، 1985م، 178/5.

⁽²⁾ الشيخ المفيد، الاختصاص، ص119.

⁽³⁾ العدوي، أبو عبدالله مصطفى، الصحيح المسند في فضائل الصحابة، صنعاء، مطبعة دار الهجرة، 1416هـ، ص2.

⁽⁴⁾ الفير وأبادي، مرتضى السيد محمد الحسيني، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ط2، بيروت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1421هـ، 397/2.

⁽⁵⁾ الحبري، الحسن بن الحكم بن مسلم، تفسير الحبري، تحقيق محمد رضا الحسيني، قم، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، 1359هـ، 32/

لكن ما يثير الاستغراب في التحالف بين طلحة والزبير وعائشة، هو عمق التناقض في المواقف من أقوال وأفعال، فقد كانت عائشة تنعت عثمان بنعوت ما لها من سلطان، وعندما طالبت عائشة وحفصة باعطائهما العطاء الذي كان عمر بن الخطاب يعطيها أياء، فرفض عثمان ، فقالتا: فأتنا ميراثنا من رسول الله (ﷺ) من حيطانه!! وكان علي بن أبي طالب (عليه السلام) جالساً عند عثمان، فقال علي (عليه السلام): ألستما اللتين شهدتما عند أبي بكر ولفقتما معكما أعرابياً يتطهر ببوله مالك بن حويرث بن الحرثان فشهدتم إن النبي (ﷺ) قال: أنا معاشر الانبياء لا نورث، ماتركناه صدقة⁽¹⁾، فقالتا لعثمان : يا نعتل، فقال لهما { ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط }، فخرجتا من عنده⁽²⁾.

كانت تلك العلاقة المتشنجة بين عثمان وعائشة، وهي علاقة كانت بعيدة عن التسامح الاسلامي ، وعن التأخي الاخلاقي الذي أراده الرسول (ﷺ) حين حط رحاله في المدينة، ولو عدنا الى قول عائشة وحفصة في الارث ، ويعرفان صحة قول الرسول الكريم (ﷺ) في ذلك ، فلم يطلبان من عثمان أن يعطيها مما أورثه الرسول الكريم (ص)، ولماذا شهدتا عندما طالبت فاطمة بنت الرسول (ﷺ) بحقها مما أورثه أباهما⁽³⁾.

كانت فاطمة (عليها السلام) والعباس بن عبد المطلب أتيا أبو بكر يلتزمان ميراثهما من النبي (ﷺ) وهما حينئذ يطلبان أرضه في فدك، وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر: أني سمعت رسول الله (ص) يقول " أنا معشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة ، أنما يأكل آل محمد من هذا المال، وأنني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله (ﷺ) يصنعه إلا صنعته، فهجرت فاطمة (عليها السلام) ولم تكلمه في ذلك حتى ماتت⁽⁴⁾.

وكان هذا الحدث دليلاً على ذلك التناقض في الاقوال لمن تولى الأمر في مسألة الميراث التي أمتدت أفعالها الى وقتنا الحاضر، بل أن "فدك" هي

⁽¹⁾. القمي، بيب الاحزان، 52/1.

⁽²⁾. الشيخ المفيد، الامالي، ص 125.

⁽³⁾ النجار، عبدالحسن، عائشة بنت أبي بكر وأثرها في أحدث عصرها، بيروت، دار الجمل، 2006، ص 43.

⁽⁴⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 51/6.

الشماعة التي يعلق عليها كل من يريد العبث بأفكار الناس ، حين يدخل في عقولهم و في مذاهبهم، ليس حرصاً عليها ، بل تجني وأثارة الفتنة التي زرعت بذورها منذ ذلك التاريخ.وهنا تكمن الخطورة التي يحذر منها المفكرون في كتابة التاريخ، فالنقل الدقيق يأخذ حيزاً ضئيلاً مما يكتبه المؤرخون الذين يخضعون الى سيطرة القادة وحب المال.

أرادت عائشة بمقتل عثمان أن يكون لها الصدارة في الرأي ، فبعد أن أنقص عطائها أحست بعمق الهوة بينه وبينها وهي أم المؤمنين وبنت صاحب رسول الله(ع) وخليفته الاول، فلما قتل عثمان كانت عائشة في مكة ، وبلغ قتله اليها وهي بـ "أشراف" فلم تشك في إن طلحة هو صاحب الامر ،وقالت: بعداً لنعتل وسحقاً ! أيه ذا الاصبع!! أيه أبا شبل ! أيه يا ابن عم، لكأنني أنظر الى إصبعه وهو يبائع له: حثوا الابل ودعدعوها!!⁽¹⁾.

كانت مغمورة بالسعادة وهي تسمع أن عثمان قتل، فليذهب نعتل، وأرادت العودة للمدينة،حتى وصلت "أشراف" وهي تقول: أيه ذا الاصبع ! لله أبوك ! أما انهم وجدوا لها طلحة كفواً! فلما أستقبلها في "أشراف" عبيد بن ابي سلمة الليثي قالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان، قالت: ثم ماذا؟ قال: حارت بهم الامور الى خير محار، بايعوا علياً، فقالت: لو وددت إن السماء إنطبقت على الارض إن تم هذا! ويحك! أنظر ما تقول! قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين! فولولت! فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين! والله لا أعرف بين لابتيها أحد أولى بها منه ولا أحق ، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته ، فلماذا تكرهين ولا يته؟! قال: ما ردت عليه جواباً!!⁽²⁾ .

نعم ارادت شيء ولأراد الله شيء آخر ، فالذي بينها وبين علي كسر لم يلتحم ، وهي تريدها لنفسها وقد طمعت بطلحة، لكن الامر كان لعلي(عليه السلام) وهي لا ترض بالامر هذا.

لقد وصفت عائشة عثمان بشتى الاوصاف ، ولم تكن منه في حذر، وكان يصل الى عثمان ما تقوله، فلما بلغها مقتل عثمان ، قالت: أبعد الله ! قتله

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغه، 215/6.

⁽²⁾ أبو مخنف، نصوص، ج1/100.

ذنبه وأقاده الله بعمله! يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود، إن أحق الناس بهذا الأمر ذو الاصبع!! فلما جاءت الاخبار بببيعة علي ، قالت: تعسوا تعسوا!! لا يردون الأمر في تيم أبداً! ⁽¹⁾. فالمسألة في نظر عائشة هي مسألة قبيلة وهي ترى إن الأمر لو خرج لبني هاشم لا يعود الى تيم أبداً.

هي النزعة القبلية ، وهي تكرار لما كان ، فقد قال ابو سفيان لعلي(عليه السلام) عندما بويع ابي بكر بالخلافة ورسول الله(ع) مسجى "ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً" ⁽²⁾.

والنزعة القبلية لم تنتهي في قريش وغيرها من القبائل التي أنظوت تحت لواء الاسلام، وشيخ بني أمية يراها عجاجة لا يطفئها الا الدم.

تلك القبلية المقيتة التي حاربها الاسلام تعثرت في مسيرها بمقتل عثمان، بل أنها تجددت في صدور الناس، وكانت مواقف الصحابة من المهاجرين الذين ما فتنوا في خلافة ابي بكر وعمر الا الحرص على الاسلام ، فما بالهم قد تغيروا بين لحظة وأخرى، وجعلوا من الدين درباً للسلطة، وما كانت السلطة في يوم ما قد مهدها الدين لأحد ، فالقبلية المزروعة في خيال الناس وقلوبهم هي وهن وهي ضياع للحق والحقوق ، والقبلية بنيت على السيف ، والسيف الذي لا يلتزم بالمبادئ السماوية ، فإنه يقطر من دماء الضعفاء ، الذين قد يجمعهم ولاء لأحد أو يللم شملهم دين وشريعة ودستور. وعائشة بعد أن ارادت ان تذهب الى المدينة وهي بمكة، رجع ابن ابي كلاب معها فقالت له: ما كنت أظن إن الناس يعدلون عن طلحة مع بلائه يوم أحد!! فقال لها: فإن كان بالبلاء فصاحبه الذي بويع أشد بلاء وعناء، قالت: يا اخا بني بكر لم أسالك غير هذا، فاذا دخلت مكة وسألك الناس ، ما رد إم المؤمنين؟ فقل: القيام بدم عثمان والطلب منه! ⁽³⁾.

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6/216.

⁽²⁾ الطبري، تاريخ، 2/202.

⁽³⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص163.

بهذه السهولة تغير موقف عائشة من مقتل عثمان، فبالامس كان نعتلاً، واليوم تطالب بدمه، بل أنها أقسمت أن لا تدخل المدينة وعلي (عليه السلام) فيها، وكأن علي (عليه السلام) قد شمر سيفه لقتل من يريد أن يتحدث بأمر عثمان أو انه يتمتع من مبايعته، " ما لعلني يستولي على رقابنا! لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان" (1).

إن عائشة تعرف ميزان علي وقدره عند رسول الله (ع)، فقد دخل رسول الله الى المسجد وهو أخذ بيد علي (عليه السلام)، فقال الرسول الكريم (ع) "ألستم زعمتم أنكم تحبونني؟ قالوا : بلى يا رسول الله (ع)، قال: كذب من زعم انه يحبني ويبغض هذا (2).

كان الفرق شاسعاً بين خروج علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وخروج طلحة والزبير، وتكتب أم سلمة الى علي بن ابي طالب (عليه السلام): الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب من أم سلمة بنت أبي أمية ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد ، فأن طلحة والزبير وعائشة وبنيتها بني السوء وشيعة الضلال خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر الى البصرة، ويزعمون ان عثمان بن عفان قتل مظلوماً وإنهم يطلبون بدمه ، والله كافيك وجعل دائرة السوء عليهم ان شاء الله تعالى، وتالله لولا ما نهى الله عز وجل عنه من خروج النساء من بيوتهن وما أمر به رسول الله (ع) عند وفاته لشخصت معك، ولكن قد بعثت اليك بأحب الناس الى النبي (ع)، واليك، إبنني عمر بن ابي سلمى والسلام (3).

تلك اللوعة الحارقة في احشاء أم المؤمنين أم سلمة جعلها تكتب كتاباً لعل علي (عليه السلام) ، تريد فيه أن تعبر عما يخالج نفسها من كدر في هذا الخروج فهي تفصح إن الرسول (ع) أمرها بما جاء بكتاب الله أن تكون جليسة دارها ، وأن تقر فيه ، ولولا ذلك لخرجت مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتلك شهادة من امرأة كان رسول الله (ع) يقسم بين

(1) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 66/1

(2) ابن عساكر، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، 185/2.

(3) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 315/1.

نسائه في بيتها، وكانت قريبة منه، وارسلت ولدها الى قتال الخارجين على علي(عليه السلام) وهي تعرف الحرب وما فيها.

وتكتب أم الفضل بنت الحارث الى علي، بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله علي أمير المؤمنين ، من أم الفضل بنت الحارث: أما بعد فأنا طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة ، وقد أستنفروا الناس

الى حربك ، ولم يخف معهم الى ذلك الا من كـان في قلبه مرض⁽¹⁾. ثم دفعت الكتاب الى رجل من جهينة، له عقل ولسان يقال له ظفر، فقالت: خذ هذا الكتاب ان تقتل في كل مرحلة بـعير وعليّ ثمنه ، وهذه مائة دينار قد جعلتها لك ، فجد السير حتى تلقى علي بن أبي طالب ، فتدفع اليه كتابي هذا⁽²⁾.

ولنتأمل قول بنت الحارث " وقد أستنفروا الناس الى حربك " وهذه شهادة من أم الفضل الى علي ببطلان الخارجين في إدعائهم بأنهم خرجوا للإصلاح، والحقيقة أنهم خرجوا للحرب، وما الإصلاح الا ذريعة للهروب من مكة وأضلال الناس في الخروج لحرب علي(عليه السلام).

ويكتب قثم بن العباس الى علي(عليه السلام) يخبره، أن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة ، يريدون البصرة، وقد أستنفروا الناس، فلم يخفَ معهم الا من لا يعتد بمسيره، ومن خلفت بعدك فعلى ما تحب⁽³⁾.

فكل تلك الكتب هي شهادات على عزم الخارجين الى البصرة بقتال علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وعلي يريد أن يلحق بهم لعله يردهم عن عزمهم.

لكن عشق مخالفة خليفة رسول الله (ع)، والذي ساهموا في انتخابه ، قد شغل فكرهم ودفعهم الى دعوة الناس ضد الخليفة.

سار علي(عليه السلام) من المدينة بعد اربعة أشهر ، وقيل غير ذلك، في سبعمائة راكب، ومنهم أربعمائة من المهاجرين والانصار، منهم سبعون

⁽¹⁾ ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 456/2.

⁽²⁾ ابن الاثير، الكامل، 102/3.

⁽³⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 81/1.

بدرياً ، وباقيهم من الصحابة، وكان قد أستخلف على المدينة سهيل بن حنيف الانصاري، وانتهى الى الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة، وفاته طلحة وأصحابه، وقد كان علي أرادهم فأنصرف حين فاتوه الى العراق بطلبهم، ولحق بعلي من أهل المدينة من الانصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، واتاه من طيء ستمائة راكب⁽¹⁾.

أرسل علي بن ابي طالب(عليه السلام) لكل من يعرف أن له ولاء فيه يدعوهم الى نصرته ومقاتلة الخارجين عن طاعته، وكان أهل الكوفة أول الملبين للدعوة ، رغم موقف ابو موسى الاشعري المحبط لمسيرهم، وعندما أرسل علي ابنه الحسن(عليه السلام) مع عمار بن ياسر الى الكوفة، فدخلها والناس في المسجد وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم والحسن(عليه السلام) وعمار معه في منازعة، وكذلك سائر الناس، فجعل الاشترا لا يمر بقبيلة فيها جماعة ألا دعاهم ، ويقول أتبعوني الى القصر، فأنتهى الى القصر في جماعة من الناس، فدخله وأبو موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن(عليه السلام) يقول له: أعتزل عملنا لا أم لك ! وتنح عن منبرنا! وعمار ينازعه، فأخرج الاشترا غلمان أبي موسى من القصر ، فخرجوا يعدون وينادون: أبو موسى هذا الاشترا قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا ، فنزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الاشترا: أخرج لا أم لك أخرج الله نفسك ، فقال : أجلي الى العشية فقال: هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة ، ودخل الناس ينهبون متاع أبو موسى، فمنعهم الاشترا، وقال: أنا له جار ، فكفوا عنه، فنفر الناس في العدد المذكور⁽²⁾.

تداعى الناس لنصرة علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، فكان الذين خرجوا من أهل الكوفة اثنا عشر فارساً ، وهم سباقون الى قتال طلحة والزبير، وكان قيس بن سعد يقول لعلي(عليه السلام)" يا أمير المؤمنين ، انه والله ما غمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة ، لان هذين الرجلين حلالا الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما⁽³⁾.

⁽¹⁾. البلاذري، انساب، 222/2.

⁽²⁾ابن الاثير، الكامل، 329/3.

⁽³⁾ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 81/1.

وقام علي(عليه السلام) بدعوة محمد بن أبي بكر وقال له: ألا ترى الى أختك عائشة كيف خرجت من بيتها الذي امرها الله عز وجل أن تقر فيه ، وأخرجت معها طلحة والزبير يريدان البصرة لشقاقي وفراقي ؟ فقال محمد: ياامير المؤمنين لا عليك ، فإن الله معك ولن يخذلك، والناس بعد ذلك ناصروك، والله تبارك وتعالى كافيك امرهم (1).

ومن رد محمد بن أبي بكر على قول علي(عليه السلام) يتضح ان محمد بن أبي بكر لا يستطيع أن يمنع أخته من الخروج الى البصرة، ولذلك مدعاة ، فمحمد تربى مع الحسن والحسين(عليهما السلام) ، ولذا فإن عائشة تعتبره جزء من بيت علي(عليه السلام).

وقام علي(عليه السلام) خطيباً بين الناس فقال: أيها الناس! أن الله تبارك وتعالى بعث كتاباً ناطقاً لا يهلك عنه إلا هالك وأن المبتدعات المشتبهات هن المهلكات المرديات إلا ما حفظ الله، الا أن طلحة والزبير قد تمالا علي بسخط أقاربي ودعوا الناس الى مخالفتي، وانا سائر اليهم ومنابرهم حتى يحكم الله بيني وبينهم والسلام (2).

ودعوة الناس لمخالفة ولي الامر هي إجحاف بالدين ، لكن طلحة والزبير أخذتهما مواجع رجال بني أمية وبني العاص، فلم يجدوا بداً من الخروج الى قتال علي ومنازعته، أما عن الكيفية التي رضي فيها هذان الرجلان بمسايرة هؤلاء وقد سمعوا من رسول الله(ع) أحاديث فيهم، قال الرسول الكريم(ع): " رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القرده " فانزل الله { وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ألا فتنة للناس والشجرة ملعونه } (3). وقالت عائشة لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله يقول لايبك " أنكم الشجرة الملعونة في القرآن " (4).

(1). ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 457/2.

(2). الطبري، تاريخ، 457/5.

(3). السيوطي، الدر المنثور، 211/4.

(4). المصدر نفسه، 211/4.

وما دامت عائشة تعرف مروان ومن معها من بني أمية وآل العاص من الشجرة الملعونة، فكيف رضت لنفسها أن تكون معهم في درب المعارضة لولي المسلمين ، والذي يمثل الخليفة المنتخب من الناس.

أقبل سعيد بن العاص على جيش طلحة والزبير ومعه المغيرة بن شعبة ، ونزل سعيد متوكأ على قوس له سوداء، فأتى عائشة فقال لها: أين تريدين يا أم المؤمنين ؟ قالت: أريد البصرة، قال: وما تصنعين في البصرة، قال: أطلب بدم عثمان!! قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك! ثم أقبل على مروان

فقال له: وأنت أين تريد أيضاً، قال: البصرة؟ قال : وما تصنع بها؟ قال: أطلب قتلة عثمان، قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك، أن هذين الرجلين قتلا عثمان "طلحة والزبير" وهما يريدان الامر لنفسهما ! فأن غلبا عليه قالوا: نغسل الدم بالدم والحبوبة بالتوبة! ثم قال المغيرة: أيها الناس كنتم أنما أخرجتم مع أمكم ، فأرجعوا بها خيراً لكم، وأن كنتم غضبتم لعثمان ، فرؤسائكم قتلوا عثمان، وأن كنتم نقمتم على علي ، فبينوا ما نقمتم عليه، !أنشدكم الله فتننيتين في عام واحد ، فأبوا الا أن يمشوا بالناس ، فلحق سعيد بن العاص باليمن ، ولحق المغيرة بالطائف ، فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل وصفين ⁽¹⁾.

كلام سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة لم ياتي من جزاف، فالرجلان أقرب لحالة تمرد الناس وثورتهم ، ثم قتلهم عثمان، وربما سعيد بن العاص عاش القتل وهو في الكوفة عندما منعه أهلها من الدخول ، وعاد الى عثمان ، فهو بصير بكل حيثيات مقتل عثمان ومن حرض عليه ومن نفذ ، ومن المستفيد منه ، ولذا عندما يقول لعائشة ومروان أن قتلة عثمان بينكم ، فهو يعرف الدور الذي لعبه الرجلان في مصرع عثمان ، ويعرف ما أرادا طلحة والزبير بعد ذلك من علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، وما الغاية من خروجهما، ومن المستفيد ؟ الناس؟عائشة ؟ طلحة والزبير؟ لكن علامة الاستفهام تشير بكل وضوح الى طلحة والزبير ، أما عن الغاية من خروج عائشة، فلا يمكن جزمه الا بعدم رضاها على تولي

⁽¹⁾ابن قتيبة، الامامة والسباسة، 82/1.

علي بن ابي طالب (عليه السلام) الخلافة وما معنى الخروج على علي (عليه السلام) من طلحة والزبير، فقد كانا تحت إمرة أسامة بن زيد وهو شاب صغير، فلم يدلّيا بشيء؟ فلماذا أرادها مع علي بن أبي طالب (عليه السلام).

حزم الامر علي (عليه السلام) بالمسير الى البصرة ، وسار حتى وصل الربذة ، وأرسل منها الى أهل الكوفة ثم قررالمسير الى ذي قار، وكان الرجل الذي باع الجمل "عسكر" لاصحاب طلحة والزبير، كان دليلهم في المسير ، فلما نبحت كلاب الحوآب ، وعلمت عائشه بأسم المكان ، فأناخت جملها ورفضت المسير حتى جاء الزبير صائحاً النجاء فقد أدرككم علي بن أبي طالب ! فأرتحلوا وشتموا الاعرابي ، لانه أبلغهم أن المكان الحوآب وهذه كلابها، مما حدا به الى الانصراف عن القوم، ولما سار قليلاً وأذا بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ومعه نحو ثلثمائة ، فقال له علي (عليه السلام): أيها الراكب ، فأتاه، فقال: أين أتيت الضعينة؟ قال : في مكان كذا وكذا، وهذه ناقتها وبعثتهم جملي، قال علي (عليه السلام): وقد ركبتة؟ قال: نعم، وسرت معهم حتى أتيت ماء الحوآب، فنبحت عليها كلابها، وقالت: كذا وكذا، ! فلما رأيت أختلاط أمرهم أنفلت ورحلوا، فقال علي (عليه السلام): هل لك دلالة بذي قار، فقال لعلي (عليه السلام): أدل الناس، قال: فسر معنا ، حتى نزلنا بذي قار ⁽¹⁾.

المبحث الثاني: تقسيم الكتاب وعقد الالوية والرايات

ولما سار من الربذة ⁽²⁾ الى ذي قار وعلى مقدمته أبو ليلى عمر بن الجراح ، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمى أو عمر

⁽¹⁾. البلاذري، انساب، 224/2.

⁽²⁾. قريه على بعد ثلاث أميال من فيد، تقع على طريق الحج. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 345/2.

بن سفيان بن عبد الاسد والراية مع محمد بن الحنفية، وعليّ (عليه السلام) على ناقه حمراء يقود فرساً كميتاً⁽¹⁾.

ونزل بقيد قبل ذي قار ، ثم الثعلبية⁽²⁾ ، وهي منزل بين الكوفة ومكة ، حتى أنهى في ذي قار، وفيها جاءه عثمان بن حنيف⁽³⁾ وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، وقال لعلّي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية وقد جئتكم امرد.

في ذي قار وفد أهل الكوفة على علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فرحب بهم علي (عليه السلام)، وقال: يا أهل الكوفة: أنتم لو يتم شوكت العجم وملوكهم، وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم مواريتهم، وأغنيتهم حوزتكم ، وأعنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا أخواننا أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد، وأن يلجوا داويناهم، وبايناهم حتى يبدوونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح ألا أثرناه على ما فيه إن شاء الله ، ولا قوة الا بالله⁽⁴⁾.

أن الاستنجد بأهل الكوفة كان لعلّي (عليه السلام) فيه مغزى، فالكوفة أستوطنتها قبائل كثيرة ومتعددة ، وفيها من الرجال من يستطيع فيهم أن يخوض غمار حرب مقبله مع الشام⁽⁵⁾.

دعا علي بن أبي طالب (عليه السلام) القعقاع بن عمر ، وأرسله الى أهل البصرة ، وقال له: ألق هذين الرجلين يا ابن الحنظلية، وأدعهما الى الالف والجماعة ، وعظم عليهما الفرقه، وقال له: كيف أنت صانع فيما جاءك منها مما ليس عندك فيه وصاة مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي أجتهدنا الرأي وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي، قال: أنت لها⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ابن الاثير، الكامل، 325/2.

⁽²⁾ تقع على بعد ستين كيلو متر من زرود وعلى طريق الحج، وبها عين ماء.

⁽³⁾ عثمان بن حنيف بن ذاهب بن ثعلبة، صاحب رسول، شهد المشاهد كلها، تولى البصرة في خلافة علي. أنظر: ابن حجر، الاصابة في

تمييز الصحابة، 371/4.

⁽⁴⁾ الطبري، تاريخ، 332/4.

⁽⁵⁾ الموسوي، الفكر العسكري عند امير المؤمنين، ص 78.

⁽⁶⁾ الطبري، تاريخ، 332/4.

بالصورة التي قالها علي بن ابي طالب (عليه السلام) للقعقاع كانت مخيلة علي تدور رحاها، لعل الامر ينتهي بسلام؟ ولعل عائشة تعود الى حجرها وتقر فيه؟ ولعل طلحة والزبير يسكنان الى السلم وتنتهي مرحلة الاعداد للحرب؟ وتلك الاسئلة لا بد وأنها تراود مخيلة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلا يعقل أن يقبل خليفة بأن يقتل مؤمن أخاه المؤمن، وذكرنا جهل الاعراب سالفاً، ثم نعود قول سعد بن ابي وقاص لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، "أعطني سيفاً يفرق بين المؤمن والكافر"، فمن أين يأتي السيف ، فلا بد للسلام أن يحل ، ولا بد للسيف أن يغمد⁽¹⁾.

يذهب القعقاع الى البصرة بدعوة من علي (عليه السلام) ليحل السلام، ويدخل على عائشة ويقول لها: أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني الاصلاح بين الناس، قال: فأبعثي الى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت اليهما، فجاءا ، فقال لهما: أني سألت أم المؤمنين ما أقدمها، فقالت الاصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما، أمتابعان أم مخالفان قالوا: متابعان، فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن ولنئن أنكرناه لانصلح، قالوا: قتلة عثمان، فأن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، قال: قد قتلتم قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب للاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة الاف وأعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن بن زهير فمنعه ستة الاف ، فأن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون، وأن قاتلتموهم والذين أعتزلوكم فأدبلوا عليكم فالذي حذرتم وقويت به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأن انتم منعتم مضر وربيعه من هذه البلاد أجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصره لهؤلاء كما أجمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير.

كان القعقاع مصيباً في تحليله لموقف عائشة وطلحة والزبير، فهو يقول لهم قتلتم ستمائة رجل، وهؤلاء الستمائة رجل هم السباجه الحراس لبيت المال

⁽¹⁾ (الموسوي، علي، الفكر العسكري عند امير المؤمنين، ص81).

والقصر في البصرة، والذين لم يكن لهم يد فيما يدور سوى القيام بواجبهم، وليس لهم معرفة بماذا ينوي طلحة والزبير القيام به.

قالت عائشة للقعقاع: فماذا تقول انت؟ قال: أقول: أن هذا الامر دواؤه التسكين، فاذا سكن أختلجوا، فاذا أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمه ودرك بثأر هذا الرجل وعافيه وسلامه لهذه الامه ، وأن أنتم أبيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب المال ، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم، ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا وأياكم، وأيم الله أني أقول هذا القول وأدعوكم اليه! وأني لخائف الا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الامه التي قل متاعها ونزل بها ما نزل ، فأن هذا الامر الذي حدث أمر ليس يقدر، وليس كقتل الرجل الرجل

ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل ، قالوا: قد أصبت وأحسننت فأرجع فأن قدم علي(عليه السلام) وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر ⁽¹⁾.

أن المهمة التي قام بها القعقاع أتسمت بحسن القول ، وحسن القبول ، ولقد جاءهم بما يضرهم ، بل ويضر الاسلام، فذكرهم بالمصيبة لو وقعت الحرب ، وان الضرر سيصيب الجميع، وآثرهم السلامة ، فرضوا، وان دلّ رضاهم عن شيء ، فهو يدل على ضعف الحجة التي خرجوا من أجلها فلا يعقل أن يخرج أحد مطالباً بقضية ويخرج الناس معه ويتحمل مشاق الكلام ، ويكذب على الله ، كما في نباح الحوآب واقناع عائشة بعدمه، وانفاق المال والجهد ، وذبح الناس كما حصل للسبباجعة في البصرة ، ثم يرضى بكلمات وفي لحظة، يتحول الى مسالم وعلي طالب للحرب ، بل يقول للقعقاع ، اذا قدم علي(عليه السلام) وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر، وكأن علي(عليه السلام) هو من خرج ، وهو من نكل البيعة .

رجع القعقاع الى علي بن أبي طالب(عليه السلام) فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه فيه من رضا، وارسلت عائشة الى علي تعلمه أنها انما جاءت للصلح ، ففرح هؤلاء

⁽¹⁾ابن الاثير، الكامل، 3/331.

وهؤلاء وقام علي(عليه السلام) في الناس خطيباً فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الاسلام وسعادة أهله بالالفه والجماعة، ، وأن الله جمعهم بعد نبيه على الخليفة ابي بكر، ، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم حدث هذا الحدث الذي جرى على الامة، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي من الله بها، وأرادوا رد الاسلام والاشياء على أدبارها، والله بالغ أمره، ثم قال أني الان مرتحل غداً فأرتحلوا، ولا يرتحل معي أحدٌ أعان على قتل عثمان، بشيء من أمور الناس⁽¹⁾ ، فلما قال هذا ، أجمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي وعبد الله بن سبأ المعروف بأبن السوداء وسالم بن ثعلبة وغيرهم في الفين وخمسائه ، وليس فيهم صحابي والله الحمد ، فقالوا: ما هذا الرأي وعلي والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، واقرب الى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غداً يجمع عليكم الناس ، وأنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم وعددكم قليل، في كثرتهم، فقال الاشتري: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه الى اليوم، فأن كان قد أصلح معهم فانما أصطلحوا على دماننا، فأن كان الامر هكذا الحقنا على بعثمان، فرضى القوم منا بالسكوت، فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت ، لو قتلناه قتلنا، فأنا يا معشر قتلة عثمان، في الفين وخمسائه وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة الاف ، لا طاقة لكم بهم ، وهم أنما يريدونكم ، فقال أحدهم: دعوهم وأرجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد، فمتمتع بها ، فقال ابن السوداء: بئس ما قلت، أذ والله كان يتخطفكم الناس، ثم قال: ياقوم أن عيركم في خلطة الناس ، فإذا التقى الناس فأنشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون، فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يعبون ، ويأتيهم ما يكرهون فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه⁽²⁾.

بهذا الرأي أجمعت الرؤوس التي شاركت في قتل عثمان، وجعلوا الحرب هي الفيصل، واذا أجمع الناس، وما لعل علي(عليه السلام) فيها رأي، بل أن

⁽¹⁾ ابن كثير، البدايه والنهيه، 239/7.

⁽²⁾ المصدر نفسه 239/7.

الرأي خرج الى ثلة من الذين يرون أنفسهم في دائرة الاتهام ليلقوا بالثقل الاتهامي على أناس آخرين مستغلين فوضى التجمع غير الملتزم بقرار، سوى أن ذلك علي بن أبي طالب وهذا طلحة والزبير ومعهما عائشة.

كان علي بن أبي طالب ملتزماً بقول الله في كتابه المجيد {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }⁽¹⁾.

لما صار الامر الى الصلح تنادت عشائر البصرة الى عشائر الكوفة ، فلما التقوا ، قال الكوفيون مثل مقالة علي(عليه السلام) في الصلح ، وأدخلوا على علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وسأل علي عن طلحة والزبير فأخبر بدقيق امرهما ، وقالو له: الزبير يقول بايعت مكرهاً ، كما يقول طلحة ذلك.

أجمع المتهمون بقتل عثمان ،و كان الرأي أن ينشبوا متى ما اجتمعت الناس، وها هو ابن السوداء يقول " فإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحه والزبير ومن رأى رأيهم عما يكرهون ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون⁽²⁾.

أن أمر الناس أصبح معلقاً بين رأي علي(عليه السلام) الجانح للسلم ورأي طلحة والزبير القائم على المطالبة بدم عثمان ، ولكن كيف تكون المطالبة بالدم، وقد ارتكب الخارجون أخطاءً بقتل الناس ،

وأذا كان هدفهم المعلن هو السلم ، لماذا لم يذهبوا الى علي(عليه السلام) ويعرضوا قضيتهم عليه وهناك تاخذ العدالة مجراها، ويأخذ كل ذي حق حقه، وقد قال رسول الله (ع) بحق علي بن أبي طالب(عليه السلام) " أقضى أمتي علي"⁽³⁾.

⁽¹⁾ سورة الحجرات، الآية 8.

⁽²⁾ ابن الاثير، الكامل، 3/332.

⁽³⁾ الطبري، محب الدين أحمد بن عبدالله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، القاهرة، مكتبة القدسي، 1356هـ، ص83.

كان هذا هو الاسلوب الشرعي الذي يجب أن يسلكه طلحة والزبير، لا أن يستمدوا الناس ويكاتبوا اشياهم ويجهزوا الناس، وطلحة والزبير ليسوا من عامة الناس ، فهم ذو صحبة للرسول الكريم ، ولطلحة يوم أحد موقف لا ينسى، فهو من الرجال الذين وقفوا يتصدون بصدروهم النبال والسيوف والرماح حتى حمل من الجراح ما حمل وشلت يده، كما أنه من العشرة المبشرة بالجنة بقول الرسول الكريم(ع)، ومن الستة أصحاب الشورى، وكان ليثاً في غزوات الرسول(ع) وحروبه، على الرغم من أنه في الشورى بايع لعثمان، ألا انه حرض الناس عليه، بل هو من منعه حين أراد بعضاً من بني أميه أخراجه ، وهو أول من رمى على دار عثمان ، وعندما قتل عثمان ، بايع علياً(عليه السلام) ، وأراد أن يشاركه الحكم، إلا أن علياً(عليه السلام) قال له، انت شريك في الرأي ، وأراد أن يتولى أمانة الكوفة او البصرة ، الا أن علي(عليه السلام) يعرف طباعة التي أمتازت بالقوة والشده ، ويخرج الآن مطالباً بدم من ساهم في قتله أما الزبير فهو ابن عمه رسول الله(ع)، ومن الاوائل الذين نذروا ارواحهم للاسلام ، وقاتلوا في سبيله ، وليس بغريب عن الرسول(ع) وعن علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، فأمه صفيه عمه الرسول(ع) وعلي بن أبي طالب(عليه السلام)، وكان الزبير من أقرب الناس لبني هاشم ، بل عده الناس واحداً منهم، وعندما تمت البيعة لابي بكر ، وقف الزبير مع علي ، وكان معه بالدار حين حضر عمر بن الخطاب لاختد البيعة من علي(عليه السلام) لابي بكر، وشهر سيفه ، حين أغمد الآخرون سيوفهم دفاعاً عن علي، وعندما بايع علي(عليه السلام) ، بايع الزبير معه ، ثم كان من أصحاب الشورى ، وكان صوته مع علي(عليه السلام) في الشورى، وعندما بويع عثمان ، وقف الزبير ندأ له ، بل أنه حرض الناس عليه، وقتل عثمان، وبايع الزبير علي بن أبي طالب(عليه السلام)، لكن تلك البيعة لم تتعد أياماً ،حتى تحول ذلك الود الى بغض وكراهية لعلي بن أبي طالب(عليه السلام)، بل وتحول الى عدااء، وعلل بنو هاشم ذلك العدااء بعبد الله بن الزبير ، فكان علي بن أبي

طالب(عليه السلام) يقول: الزبير من أهل البيت حتى كبر ابنه عبد الله فأفسده⁽¹⁾.

ويقف الزبير من علي(عليه السلام) الموقف الند ، فبعد أن بايعه امام الناس، انكر تلك البيعة، بل وحمل السلاح لقتال علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، والنيل منه، وهاهو في البصرة يطلب الف فارس ليصبح عليه ويقتله، ولم يمنع الزبير قول الرسول الكريم(ع) له أكثر من مرة بفضل علي(عليه السلام) وبأنك يا زبير تحاربه وأنت له ظالم، لكن الزبير يتناسى ذلك ، بل ويصر على التخلص من علي(عليه السلام) بأي وسيلة كانت، فيكتب ، ويجمع الجموع، لكن الرأي يبقى للزبير، لا بد له من عوده⁽²⁾.

لكن كيف تكون تلك العوده ؟ فلا بد للاحداث أن تأخذ مداها لتكون فيصلاً بين المتخاصمين ، وتكون الغلبة للاقوى ، حتى ولو كان باطلاً.

أن التحرك الذي بدأته عائشه وطلحة والزبير ، كان يهدف الى الحد من وصول الناس لنصرة علي بن أبي طالب(عليه السلام)، والوصول الى البصرة بأي شكل كان ، وأذا استطاعوا أن:

أولاً: يخرجوا عامل علي بن أبي طالب(عليه السلام) من البصرة

ثانياً: أن يقتلوا شيعة علي(عليه السلام)

ثالثاً: الاستحواذ على بيت المال

وبالفعل فأنهم أستطاعوا أن يخرجوا عثمان بن حنيف من البصرة ، لكن بأي صورة خرج ، خرج بالصورة التي قالها لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) حين التقاه في ذي القار " خرجت ذا شعر وعدة اليكم بلا شعر " ، وخروجه بلا شعر تم بأمر الثلاثة عائشة وطلحة والزبير، فقد كان الرأي أن يقتل ، لكن امرأة صاحبت طالبة الرحمة والرفاة به ، فنتف شعر وجهه وحاجبيه وعينه وعاد الى علي بن أبي طالب(عليه السلام) أملط الوجه.

⁽¹⁾عبد الشافي، محمد، صور من احداث التاريخ الاسلامي، القاهرة، دار العرب، 1992، ص 65.
⁽²⁾البنداري، سعيد، مواقف حاسمة في تاريخنا الاسلامي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1978، ص 72.

كما أستطاعوا أن يقتلوا من السباجة ستين ، وقيل سبعين ، وقيل ستمائه، وهم ناس ليس لهم سوى القيام بمهام الحراسة لبيت المال والقصر، ولو كان الامر بأيديهم لقتلوا كل من شايع علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وأستطاعوا أن يستولوا على بيت المال ، ويفرقوه بين أشياعهم، جاء رجل الى طلحة والزبيروهما في المسجد بالبصرة ، فقال: نشدتكم بالله في مسيركما، أعهد اليكما فيه رسول الله(ع) شيئاً؟ فقام طلحة ولم يجبه! فناشد الزبير، فقال: لا، ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها⁽¹⁾.

هل حقاً أن الزبير كان بحاجة الى المال ، حتى يخرج عن الخليفة ويشق عصا الطاعة عن ولي أمر المسلمين، ليكسب المال، ربما كان في جوابه للاعرابي بعض الصدق، فقد طلبا من علي بن أبي طالب(عليه السلام) المال ، فردهم بأن يعطيهم من ماله الخاص فرفضوا.

ولو أنهم كانوا بحاجة الى السلطة والمال ، فما بالهما عندما أخرجوا عائشة من دارها ، وأقنعوها بمصاحبتهم والطلب بدم عثمان، على الرغم من أن عائشة كان تقول عن عثمان " أقتلوا نعثلاً فقد طغى" ولما كان حصار عثمان خرجت تريد مكة حتى لا ترى ما يدور، وهي تعرف أن عثمان مقتول، وعندما وصلها خبر مقتل عثمان، طارت فرحاً ، وعادت أدراجها الى المدينة، لكنها عندما علمت أن الناس بايعت علي بن أبي طالب(عليه السلام)، تغير حالها وقالت " ياليت هذه أنطبقت على هذه" فالخبر هزها وشغل فكرها، ولكن كيف تتخلص من هواجس هذه الفكرة؟ وبأي وسيلة تبدأ عدها في منازعة علي(عليه السلام) في توليه الخلافه، وهي امرأة رسول الله وفيها أمر من الله جل وعلا بأن تقر في بيتها، ولذا عندما طرح طلحة والزبير أمر علي بن أبي طالب(عليه السلام) عليها وافقت بسرعه غريبه، وكأنها تريد أن تتخلص من ذلك الهاجس الذي أوغل في صدرها وتزفر زفره توقض أحساسها المنهك بتولي علي بن أبي طالب(عليه السلام) الخلافه ، فكانت أفكار الجميع، عائشه وطلحة والزبير متوافقة بالمصالح مختلفه بالهدف ، فالثلاث كل يريد أن يكون الاول في عزل علي (عليه

⁽¹⁾.البلاذري، أنساب، 270/2.

السلام)،" خرج غلام شاب من بني سعد الى طلحة والزبير ، فقال: أما أنت يا زبير فحواري رسول الله (ع)، وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله(ع)بيدك وأرى أمكما معكما ! فهل جئتم بنسائكم؟!، قال: لا، قال: فما انا منكما بشيء، وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة ، وكان محمد رجل عابد ، فقال: أخبرني عن قتلة عثمان،

قال: نعم، دم عثمان ثلاث اثلاث، ثلث على صاحبة الهودج، يعني عائشة! ثلث على صاحب الجمل الاحمر، يعني طلحة، وثلث على علي بن أبي طالب، فضحك الغلام وقال: لا أراني على ضلال ، ولحق بعلي بن ابي طالب⁽¹⁾.

وكان علي(عليه السلام) يشعر بأصرار هذه الجماعة على مفارقتة والنيل منه ، بل وقتله لو أستطاعوا، وقد قال علي في خطبته عندما سمع بمسير عائشة وطلحة والزبير: والله أن راكبة الجمل الاحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقده ألا في معصية الله وسخطه، حتى تورد نفسها ومن معها الى التهلكة⁽²⁾.

وعائشة زوج رسول الله(ع) ، ومن المحبات عنده، حتى كانت نساؤه عندما يردن أن يكسبن ود رسول الله(ع) يعطين ليلتهن لعائشة، وقد تزوجها الرسول الكريم (ع) وعمرها تسع سنوات، فتربت في بيته وسمعت أحاديثه ، بل أنها الاقرب الى نفسه وقلوب المسلمين ، وهي بنت رفيق الرسول الكريم (ع)"ابي بكر الصديق" في هجرة من مكة الى المدينة، وخليفته من بعده ، وقائد قتال المرتدين ، فهل نسي الخارجون عن طاعة علي بن أبي طالب أن أخرجاهم عائشة سيؤلد رد فعل لدى المسلمين ، وخاصة من ضعفاء القلوب ، فينحوا لعصيان تعاليم الدين ويعصون خلفاءهم، فيتمرد منهم من يتمرد ، ويسيء منهم من يسيء، فالدين لحمة واحدة، وحرى بقادتها أطاعة تعاليم الرسول (ع)وتطبيق الدستور من خلال القرآن المجيد ، وما ورد فيه من نصوص ، اليس نحن كما قال

⁽¹⁾ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 333/1.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 334/1.

الله تعالى "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" ⁽¹⁾، وأي منكر الخروج عن طاعة ولي الامر، وتقريب كلمة المسلمين ، وزرع الفتنة التي لا تنتهي في زمان، بل أنها تمتد ما دامت الدنيا قائمه.

أن النية الصادقة في الاصلاح كانت غير موجوده بين الخارجين على علي بن أبي طالب، ولو أستعرضنا دخولهم البصرة عندما طلبوا عثمان بن حنيف عامل علي (عليه السلام) عليها فأنا نجد مفارقات بين القول والفعل، " لما أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف ، فوجداه وأصحابه قد أخذوا السكك، فأستقبلهم أصحاب ابن حنيف، فشجرهم طلحة والزبير بالرماح ! فحمل عليهم حكيم بن جبلة، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك ، ورمتهم النساء بالحجارة من فوق البيوت، فأخذوا الى مقبرة ابن مازن، فوقفوا فيها ملياً حتى ثابت اليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسناة البصرة ، حتى أنتهوا الى الزابوقة، ثم أتوا سبخة دار الرزق فنزلوها ⁽²⁾.

كان دخول البصرة بالنسبة اليهم نصراً ما بعده نصر ، فهم في حكم القتال يريدون أن يضعوا لهم موضع قدم يكون فيه أنطلاقهم لمعركة مقبلة مع جيش الخليفة، والبصرة هي المكان الذي أختاروه عند بدأ دعوتهم، لكن أصحاب ابن حنيف حسبوا أن القادمين لهم حملوا راية السلم ، الا أن طلحة والزبير شجرا الناس وقاتلوهم ، فأصبح لزاماً على أتباع ابن حنيف قتالهم ، وهكذا تكون الهزيمة الاولى لجيش طلحة والزبير في البصرة.

لكن جيش طلحة والزبير لم يستكن، " ثم أصبحا من غد ، فصفا للحرب، وخرج عثمان بن حنيف اليهما بأصحابه، فناشدهما الله والاسلام! وذكرهما ببيعتهما لعلي بن أبي طالب، فقالا: نطلب بدم عثمان، فقال لهما: وما أنتم وذاك ؟ اين بنوه؟ اين بني عمه الذين هم أحق به منكم ؟! كلا والله ولكنكما حسدتماه ، حيث أجمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الامر، وتعملان له؟ وهل كان أحد أشد على عثمان قولاً منكما؟ فشتماه شتماً قبيحاً ! وذكرنا

⁽¹⁾ سورة آل عمران، الآية 110.

⁽²⁾ أبو مخنف، نصوص، 1/130.

أمه! فقال للزبير: أما والله لولا صفيه ومكانها من رسول الله فأنها أدنتك الى الظل، وأن الامر بيني وبينك - يا ابن الصعبة - يعني طلحة، أعظم من القول، لأعلمتكما من أمركما ما يسؤكما، اللهم أني أعذرت الى هذين الرجلين! ثم حمل عليهم وأقتل الناس قتالا شديداً، ثم تحاجزوا وأصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح⁽¹⁾.

عثمان بن حنيف لم يترك شاردة وواردة في كلامه الى طلحة والزبير، ونبههما الى أن لعثمان بنيه فأين هم من المطالبة بدمه؟ ويقول لهما علانية أنتم جسدتموه، وانكم طلبتم الامر لانفسكما، فأى أمر بقى لم يقال؟

ونشبت بعد هذا الكلام وبعد شتيمة طلحة والزبير الى عثمان بن حنيف قتالا، أصيب يومئذ من عبد القيس خاصة خمسمائة شيخ مخضوب من أصحاب ابن حنيف، سوى من أصيب من عامة الناس⁽²⁾.

كان هناك خمسمائة شيخ مخضبين بدمائهم، ويشير هذا الرقم الاحصائي الى الحجم غير المعلن من الاصابات بين قتيل وجريح بين صفوف ابن حنيف عدا ما كان في صفوف جيش طلحة والزبير" وتأهبوا للقتال وأنتهوا الى " الزابوقه" وأصبحوا، وزحف عثمان بن حنيف اليهم فقاتلهم أشد قتال، فكثر منهم القتلى وفشت فيهم الجراح⁽³⁾.

في هذا القتال كانت الهزيمة الثانية لجيش طلحة والزبير، لكن هذه الهزيمة لم تلوي ذراع أحد، بل كان الامر الى الصلح وهو ظاهر الامر، لان باطنه هو قتل عثمان بن حنيف، أو اخراجه من البصرة.

لم يطلب منهم عثمان بن حنيف قبل القتال سوى أن يعودوا للسلم والمناصحة بدل القتال الذي يذهب بأرواح المسلمين، وهو بذلك ينفذ أمر الخليفة علي الذي ابلغه عند لقائه طلحة والزبير بتقديم النصح لهم وتذكيرهم بما سيكون لو حل القتال" فأذا قدموا عليك فأدعهم الى الطاعة والرجوع الى

⁽¹⁾ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 319/9.

⁽²⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص 279.

⁽³⁾ البلاذري، انساب، 227/2.

الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقوا عليه، فإذا اجابوا فأحسن جوارهم حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين⁽¹⁾.

لا يريد علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن تذهب دماء المسلمين سدى تحت ثرى البصرة ، وهي التي بها يستطيع أن يمد بقعة الاسلام طويلاً وعرضاً ، وأن تراق تلك الدماء فداء للاسلام ، وليس في خلاف بين مسلمين.

أن المطالبة بدم عثمان من الوجه الشرعي هي لأبنائه وليس لطلحة والزبير، ولو لم يكن له ذريه ، فأبناء عمومته وهم أكثر، ولو عدنا الذاكِرَ للوراء ، فإن مقتل الهرمزان في المدينة على يد عبيد الله بن عمر، وبعد مقتل أبيه كان فيه أشكال شرعي وقع الحل فيه بأن قال عثمان بأنه ولي أمره، وكان ما كان بعدها ، لكن عثمان له ابناء وعمومه وعشيرته تطالب بدمه أن كان له قاتل، وليس لطلحة والزبير رأي في ذلك ، فما بال الناس انساق وراءهم في مطالبتهم.

بعد القتال بين طلحة والزبير واتباع عثمان بن حنيف اتفق الطرفان على الصلح فكتبوا " هذا ما أصطلح عليه عثمان بن حنيف الانصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما، أن لعثمان بن حنيف دار الاماره، والرحبه، والمسجد، وبيت المال، والمنبر، وأن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شأؤوا من البصرة! ولا يضار بعضهم بعضاً في طريق، ولا فرضه ولا سوق ولا شرعه ولا مرفق ، حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فأن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة! وأن أحبوا لحق كل قوم بهواهم وما أحبوا من قتال أو سلم أو خروج أو أقامه ! وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه ، وأشد ما أخذه على نبي من أنبيائه ، من عهد وذمه "وختم الكتاب ، ورجع عثمان بن حنيف

⁽¹⁾ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغه، 312/9.

حتى دخل قصر الامارة وقال لاصحابه الحقوا رحمكم الله بأهلكم ،وضعوا سلاحكم ، وداووا جراحكم ⁽¹⁾.

وفي كتاب الصلح هذا تحددت الأمور الآتية:

أولاً: أن يكون لعثمان بن حنيف ما يأتي:

1. دار الامارة - 2. الرحبة - 3. المسجد - 4. بيت المال - 5. المنبر - أي أن لعثمان المراكز السياسية والدينية والاقتصادية في البصرة ، ومركز إصدار القرار.

ثانياً: أن يكون لطلحة والزبير ومن معهما، أن ينزلوا من مدينة البصرة حيث شأؤوا ، أي أن لهم مساحة الارض فقط دون المراكز الحساسة في المدينة، وهذا يعني أن وجودهم وجود مؤقت لحين حضور الخليفة.

ثالثاً: أن لا يحق لكل طرف أن يضر الطرف الآخر في : الطريق، والفرصة، والسوق، والشرعة، والمرافق العامة، الى أن يحضر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الى البصرة.

رابعاً: لطلحة والزبير وأصحابهم الخيار بالدخول فيما دخلت فيه الامة، أو اللجوء بقومهم إذا شأؤوا حين يقدم أمير المؤمنين، كما لهم الخيار بالقتال أو القبول بالسلم، او الخروج من البصرة أو الاقامه فيها، وهي بنود منصفة لطلحة والزبير.

خامساً: على الطرفين أن يفيا بنود الصلح ، وعليهما في ذلك عهد الله وميثاقه، وأشد ما أخذه الله على نبي من أنبيائه، من عهد وزمة، لتوكيد الالتزام بتلك البنود ⁽²⁾.

⁽¹⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 88/1.

⁽²⁾ البلاذري، أنساب، 226/2.

والشئ الجميل أن عثمان بن حنيف التزم ببند الصلح ولم يخرقه ، بل أصدر أوامره الى أتباعه باللحوق باهلهم، كبادرة حسن نية، والتحق بدار الامارة المباشرة عمله

لكن طلحة والزبير لم يلتزما بما عاهدا عليه في وثيقة الصلح ، بل شحذا نفسيهما لاكمال ما أبتدأ به،" تناظر طلحة والزبير ، فقال طلحة: والله لئن قدم عليّ البصرة ليأخذنَ بأعناقنا!! فعزما على تبييت ابن حنيف وهو لا يشعر! ووطأ أصحابهما على ذلك" (1).

فقد ظهرت بوادر خرق اتفاق الصلح على يد طلحة ، وقد عزم هو وصاحبه على نقض الاتفاق والنيل من ابن حنيف، وكان عزمهما هدامقرون في تجميعهما الناس على القتال.

ثم أن طلحة والزبير قالوا: أن قدم عليّ ونحن على هذه الحالة من القلة والضعف ليأخذنَ بأعناقنا! فأجمعا على مراسلة القبائل وأستمالة العرب ، فأرسلوا الى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف، يدعوناهم الى الطلب بدم عثمان ، وخلع علي، وأخرج ابن حنيف من البصرة، فبايعهم على ذلك الازد وضبه وقيس بن عيلان كلها ألا الرجل والرجلين من القبيلة ، كرهوا أمرهم فتواروا عنها، وأرسلوا الى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم ، فجاءه طلحه والزبير الى داره ، فتوارى عنهما فقالت له أمة: ما رأيت مثلك !أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما ! فلم تزل حتى ظهر لهما، وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة الا بني يربوع ، فأن عامتهم كانوا شيعة عليّ وبايعهم بني دارم إلا نفر من بني مجاشع ذوي دين وفضل (2).

يتضح من هذه الرواية أن طلحة والزبير لم يدعا طريق لجمع الناس وتالبيهم على علي بن أبي طالب(عليه السلام) الا سلوكه، وأن لم يكتفوا بالرسائل ، بل كانوا يجوبون القبائل حتى يكسبوا ودها ، وتبايعهم على قتال علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وكان كما يتضح أن الغاية في أبرام كتاب الصلح مع عثمان بن حنيف هو كسب الوقت لجمع السلاح والرجال.

⁽¹⁾.البلاذري،أنساب الاشراف،2/227.

⁽²⁾.أبومخنف،نصوص،1/131.

أنه أمر لعجب أن يتقدم القوم في المطالبة بدم عثمان ، لكن هذه المطالبة مبنية على ما كان من عداوة بين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعثمان" هي عداوة قديمة النسب بين عبد شمس وعبد مناف ، وقد كان حرب بن أمية نافر عبد المطلب وأن جمعتهم المنافية، وكان أبو سفيان يحسد محمد ، وأن رسول الله (ﷺ) زوج علياً أبنته،⁽¹⁾.

يعرف طلحة والزبير هذا الخلاف العميق ، ويعرفان أن علياً (عليه السلام) لم يكن له يد في هذا الخلاف ، بل أن طلحة والزبير هما من حرصا على عثمان وعلى قتله، وهما الآن يطالبان بدم عثمان، وعندما يتصلان بالقبائل يريدان أن يجمعا أكثر عدد ممكن لمناهضة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهما يريدان قبل وصول علي البصرة ، خلع علي بن أبي طالب ، وإخراج عثمان بن حنيف من البصرة ، والاستيلاء على بيت المال، وهذه الأهداف كلها لم تكن شرعية، فأن في رقبتهم بيعة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلا يحق لهما خلعه، وأن عثمان بن حنيف عامل الخليفة ، فهو مفوض شرعياً بأدارة أعمال الخليفة في البصرة، وأما بيت المال ، فهو مال عام لكل الناس لا يحق لهما الاستحواذ عليه والتصرف فيه⁽²⁾.

وقاموا بأخذ رجالهم الى البصرة في ليلة مظلمة ، قد البسوهم الدروع، وظاهروا فوقها الثياب، فأنتهوا الى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف اليه، وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلي بهم، فأخذه أصحاب طلحة والزبير، وقدموا الزبير، فجاءت السباجة⁽³⁾، وهم الشرطه حرس بيت المال والقصر، فأخرجوا الزبير وقدموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير فقدموا الزبير، وأخروا عثمان، فلم يزالوا كذلك حتى كانت الشمس أن تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: إلا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس! فغلب الزبير فصلى بالناس، فلما أنصرف من صلاته ، صاح بأصحابه المتسلحين : أن خذوا عثمان بن حنيف ، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفهما، فلما أسر ضُرب ضرب الموت ! ومنتف حاجباه وأشفار عينيه ! وكل شعره في رأسه ووجهه! وأخذوا السباجة وهم

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 28/9.

⁽²⁾ نوري، علي محمد، الناكثون، بيروت، دار الحق، 2008، ص 67.

⁽³⁾ السباجة: مجموعة تقوم بالأعمال الإدارية والحراسة في دار الإمارة في البصرة.

سبعون رجلاً! فأنطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشه! فقال لأبان بن عثمان: أخرج اليه فأضرب عنقه! فأن الانصار قتلت أباك! وأعانت على قتله! فنادى عثمان بن حنيف: يا عائشه ويا طلحه ويا زبير: أن أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة، وأقسم بالله أن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم ، فلا يبقى أحد منكم ، فكفوا عنه! وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالهم وأهلهم بالمدينة فتركوه! (1).

فحالة الحرب أعلنها طلحة والزبير ، بل أنهما مارساها، فالخليفة عندما يعين عاملاً له في مصر من الامصار ، يكون هذا العامل أماماً للصلاة وقد يجمع معه القضاء، وبيت المال، فأمامة المسلمين تقع على عاتق عامل الخليفة، أما أن يقوم طلحة والزبير بمنعه من أتمام مهمته الشرعية فذلك ينتافي والدين وفروضة، بل أنهم يسحبونه ، ثم يضربونه، وينتفون شعر رأسه ولحيته وشاربه وحاجبيه، فذلك هو التعدي ، وهو التمثيل الذي نهى عنه الاسلام وحذر منه، ثم يؤمر به للقتل، لكن ابن حنيف أدرك أنه مقتول لولا قوله لهم بأن أهلهم سيقتلون، فتركوه.

لقد كان في وثيقة الصلح التي أبرمت بين الطرفين تنص على أن المسجد لابن حنيف، فكيف يؤمر به ويسحب من مكان أستوثق مع الطرف الثاني أن يكون في حوزته، ثم يقوم الزبير فيصيح بالمتسلحين لأخذ ابن حنيف ، قال الله تعالى " ائِلْ مَاْ اَوْحِيَ اِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَاَقِمِ الصَّلَاةَ اِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللّٰهِ اَكْبَرُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ " (2). فما بال الزبير يأمر بإلقاء القبض على عثمان بن حنيف، ولم تنته صلته عن ذلك، وسحب ابن حنيف أمام المصلين، واهانته، ونتف شعره، ثم ضربه ضرباً مبرحاً ، وهو شيخ كبير، ويؤمر بقتله ، لولا أنه هددهم بقتل أهليهم، وقد نهى رسول الله (ﷺ) أن يمثل بالبهائم (3)، فأى قول يكون أمام الله ورسوله (ﷺ) يوم يسألون.

(1). أبو مخنف، نصوص، 131/1.

(2). سورة العنكبوت الآية 45.

(3). ابن ماجه، سنن ابن ماجه، 136/2.

لم يبق في البصرة الا بيت المال، وكانت تحرسه مجموعة من الحرس عرفوا بالسباجة، وقد قاتلوا الزبير قتالاً شرساً دفاعاً عن بيت المال، إلا أنهم قبض عليهم وارسل من يبلغ عائشه بذلك فارسلت الى الزبير " أقتل السباجه، فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك، قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم! وليّ منهم عبد الله ابنه، وهم سبعون رجلاً ، وبقيت منهم طائفه متمسكين ببيت المال ، قالوا: لا ندفعه اليكم حتى يقدم أمير المؤمنين ، فسار اليهم الزبير في جيش ليلاً فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً⁽¹⁾.

أن ما أقدم عليه الزبير في قتل السباجة، لا يجعل طريق السلم والمصالحة بين الطرفين معبداً، فالدم عندما يراق لا يوقف جريانه الا السيف في ثأره، او الاعتراف بسفكه والرضوخ للخصم، وتلك الحالتين عرفت الثانية منها ، أما الاولى فهي التي ستأخذ مداها بين المتقابلين.

كانت عين طلحة والزبير ولاية المصريين ، الكوفة والبصرة، وقد كان أيقاف هذا الامر بأعطائهم ما طلبوه، لكن علياً(عليه السلام) وخطه القويم منعه من ذلك" طلب طلحة والزبير من علي(عليه السلام) أن يولييهما المصريين البصرة والكوفة، فقال: حتى أنظر، ثم أستشار المغيرة بن شعبة ، فقال له: أرى أن تولييهما الى أن يستقيم لك أمر الناس ، فخلا بابن عباس ، وقال: ما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين ، أن الكوفة والبصرة عين الخلافة ، وبها كنوز الرجال ، ومكان طلحة والزبير من الاسلام ما علمت، ولست آمنهما أن وليتهما أن يحدثا أمراً ، فأخذ علي(عليه السلام) برأي ابن عباس ، وكان قد أستشار المغيرة أيضاً في أمر معاوية ، فقال له: أرى أقراره على الشام ، وأن تبعث اليه بعدان يسكن شغب الناس ، ولك بعد رأيك ، فلم يأخذ برأيه⁽²⁾.

هو طريق الحق والشرعية وما تمليه عليه أرادة السماء بصحبته من رسول الله(ع)، فقد سمع أحاديث الرسول وشاهد وشارك في أفعاله، وهو ذراعه التي لا تلين .

⁽¹⁾ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 321/9.

⁽²⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 279/1.

فمال بال الزبير يقول لاصحابه" فأما أن أبيته بيّاتاً ، أو أصبحه صباحاً ،
لعلي أقتله⁽¹⁾.

وطلحة يقول لاصحابه" ودنا علي في أصحابه من البصرة، فقال طلحة"
أعلموا أيها الناس! أن علياً وأصحابه قد أضرّ بهم السفر وتعب
الطريق، فهل لكم أن ،أتيهم الليلة فنضع فيهم السيف؟ فقال مروان: والله لقد
أستبطأت هذه منك أبا محمد! وليس الرأي إلا ما رأيته، فضحك الزبير من
ذلك ،ثم قال: أمن عليّ تصاب الفرصة وهو من قد عرفتكم ؟ أما علمتم أنه
رجل ما لقيه أحد إلا ثكلته أمه ؟ فسكت طلحة ولم يرد الى الزبير شيئاً⁽²⁾.

لقد حاول طلحة والزبير أستغلال ظروف السفر وفيه التعب والاجهاد
لاصحاب علي(عليه السلام) ، في قتل علي بن ابي طالب(عليه السلام)
والتخلص منه، ومروان يمثل الحمل الوديع الذي يخاف على الاسلام وعلى
شريعة محمد(ع).

كان الزبير قريباً جداً لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) ، وما عساه تبدل
الحال وأصبح علي غريمه،وكان من حرص الزبير على بغض علي بن أبي
طالب(عليه السلام) ولده عبد الله"جرى حوار بين عبد الله بن الزبير وابيه
قبل وصول علي الى البصرة: إن الزبير قال لابنه يومئذ: ويلك ! لا تدعنا
على حال، أنت والله قطعت بيننا وفرقت ألفتنا بما بليب به من هذا المسير،
وما كنت مبالياً من ولى هذا الامر وقام به، والله لا يقوم أحد من الناس إلا
من قام مقام عمر بن الخطاب فيهم، فمن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب؟ فإن
سرنا بسيرة عثمان قتلنا، فما أصنع بهذا المسير، وضرب الناس بعضهم
ببعض ؟ فقال له عبد الله ابنه: أفندع علياً يستولى على الامر ؟ وأنت تعلم
أنه كان أحسن أهل الشورى عند عمر بن الخطاب ، وقد أشار عمر وهو
مطعون يقول لاهل الشورى: ويلكم أطمعوا علياً لا يفتن في الاسلام فتقاً
عظيماً ومثوه حتى تجمعوا على رجل سواه؟⁽³⁾.ولعل تلك المكانة التي

⁽¹⁾بيت القوم:أوقع بهم ليلاً بغته،والبياض:يقال أتاها لأمريبياتاً في جوف الليل،أنظر المعجم الوسيط،78/1.

⁽²⁾ابن أعثم،كتاب الفتوح، 462/2.

⁽³⁾ابن أعثم،كتاب الفتوح، 462/2.

أعطاهما عمر بن الخطاب لـعلي(عليه السلام) تأتي من الثقل الديني والاجتماعي الذي يتمتع به علي(عليه السلام).

أنهم يعرفون علياً(عليه السلام) بالمقياس الحقيقي في كل شيء، ولذا فالوصية أن يمنوه ، ويخدعوه حتى يختاروا رجلاً آخر، وهنا يبرز سؤال : هل يستحق علي الخلافة بعد وفاة رسول الكريم(ع)، ومع أن الافكار كانت متجاذبة في مسألة اختيار الخليفة بعد الرسول(ع)، إلا إن ما حصل في السقيفة يمثل الحالة المنفردة للاختيار في قلة من المسلمين.

المبحث الثالث:محاولات الإمام(ع) لوحدة الصف وتجنب الحرب

لم يكن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ظن من أن أهل البصرة منقسمون على أنفسهم، فأتباع عثمان بن حنيف يحيطون بعثمان ، وهم من أشياع علي بن أبي طالب، كما كان هناك أشياع طلحة والزبير ، وعزز هذه الجماعة وجود عائشة بين الطرفين المتخاصمين، ولعائشة في قلوب الناس وقع كبير فهي زوج النبي (ﷺ)، وأحب الناس الى نفسه ، كما أن أباهما أبا بكر رفيق رسول الله (ﷺ) في دربه الطويل وهو ينشر رسالة السماء بين الأعراب⁽¹⁾.

والناس في البصرة تنازع الامرين في هذا الصراع الذي سيتحول الى صراع دموي، كما يلوح في أفق الاحاديث المتشنجة والاحداث المهمة ، وخصوصاً بعد قتل السباجاة ونتف شعر عثمان بن حنيف⁽²⁾.

لكن علياً (عليه السلام) في أفقه الواسع ، وبلاغته المتميزة ، قد قرأ الرسالة التي تزفها عائشة و طلحة والزبير لأهل البصرة بالتحريض على منازعة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلا بد من رسائل أن تصل الى أسماعهم حتى يخرج علي (عليه السلام) من الاستحقاق الشرعي لو حصل قتال في المستقبل بينه وبين طلحة والزبير⁽³⁾.

فقد كتب علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو في الربذة الى عامله على البصرة عثمان بن حنيف ، " من عبد الله علي أمير المؤمنين الى عثمان بن حنيف ، أما بعد: فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا ، وتوجهوا الى مصرك، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، والله أشد بأساً ، وأشد تنكيلاً، فاذا قدموا عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع الى الوفاء والعهد والميثاق الذي فارقونا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك ، وأن أبوا الا التمسك بحبل النكث، فناجزهم القتال حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

⁽¹⁾نوري، الناكثون، ص68.

⁽²⁾التميمي، كاظم سلمان، الأوضاع السياسية في البصرة حتى نهاية الحكم الأموي، بيروت، دار العلم للملايين، 2009، ص43.

⁽³⁾نوري، الناكثون، ص70.

وكتبت كتابي هذا اليك من الربذة ، وأنا معجل المسير اليك أن شاء الله
وكتبه عبيد الله بن أبي رافع في سنة ست وثلاثين ⁽¹⁾.

ولو تأملنا في قول علي بن أبي طالب (عليه السلام) " ساقهم الشيطان لطلب
ما لا يرضى الله به " فأى قيمة لانسان عندما يسوقه شيطان ، ثم أن الشىء
الذي يطلبونه لا يرضى الله ، وهل يرضى الله ما يريده الشيطان، ثم أن علياً
اوعز لعامله على البصرة عثمان بن حنيف أن يدعو الناكثين لبيعته الى
الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقوا المسلمين عليه،
فعلي لا يقطع الطريق الى السلم على الرغم من أن الخارجين عنه جمعوا
الناس والسلاح لحربه.

لما وصل كتاب علي (عليه السلام) الى عثمان بن حنيف، أرسل الى أبي
الاسود الدؤلي وعمران بن حصين الخزاعي، فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه
بعلم القوم، وما الذي أقدمهم ! فأنطلقا حتى إذا أتيا حفر أبي موسى ، وبه
معسكر القوم، فدخلوا على عائشة ، فنالها ووعظاها، وأذكراها وناشدها الله،
فقالت لهما: القيا طلحة والزبير، فقاما من عندها، ولقيا الزبير فكلماه، فقال
لهما: أنا جئنا للطلب بدم عثمان، ! وندعو الناس أن يردوا أمر الخلافة
شورى! ليختار الناس لانفسهم، فقالا له: أن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب
دمه فيها، وانت تعلم قتلة عثمان من هم؟ وأين هم؟ وأنت وصاحبك وعائشة
كنتم أشد الناس عليه، واعظمهم أغراء بدمه! فأقيـدوا من أنفسكم ! وأما
أعادة أمر الخلافة شورى، فكيف وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين!
وانتياأبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول
الله (ع)، وأنت أخذ قائم سيفك ، تقول: ما أحد احق بالخلافة منه، ولا أولى بها
منه! وامتنعت من بيعه أبي بكر؟ فأين ذلك الفعل من هذا القول؟! فقال لهما:
أذهباً فالقيا طلحة ! فقاما الى طلحة فوجداه أخشن
الملبس، شديد العريكة، قوى العزم في إثارة الفتنة وأضرار
نار الحرب، فأنصرفا الى ابن حنيف ، فأخبراه ، وأرتجزأبو الاسود

⁽¹⁾. أبو مخنف، نصوص، 1/126.

شعرا يحرض فيه عثمان على رفع السيف بوجههم، فقال: أي والحرمين لافعلن، وأمر مناديه فنادى في الناس، السلاح، السلاح، فأجتمعوا إليه⁽¹⁾.

ذكر الزبير هدفين لمجيئهم البصرة:

الاول: الطلب بدم عثمان

الثاني: دعوة الناس، أن يردوا أمر الخلافة شورى

وفي هاتين الدعوتين، لا توجد حسن نية في الاصلاح، فالمطلب الاول، ذكرناه في أكثر من مكان، أن لعثمان أهل وبنين وعشيرة هي الأحق في المطالبة بدمه.

أما أنت رد أمر الخلافة شورى، فقد سبق وأن أختير أبو بكر بجمع قليل من الناس، كما أن عمر بن الخطاب جاء الخلافة بوصية من أبي بكر، ولم يتجرأ طلحة والزبير على القول فيها، فلماذا الآن ترد شورى، وعلي (عليه السلام) ببيع امام الناس، وأول المبايعين طلحة والزبير، ثم ما علاقة عائشة بالخلافة، ودم عثمان.

لم يسكن بال لعلي، فكان يقول لاهل البصرة " كل واحد منهما يرجو الامر له، ويعطفه عليه دون صاحبه، لا يمتان الى الله بحبل، ولا يمدان اليه بسبب، كل واحد منهما حامل ضب صاحبه، وعما قليل يكشف قناعه به، والله لئن أصابوا الذي يريدون، لينتزع عن هذا نفس هذا، وليأتين هذا على هذا⁽²⁾.

فقد درس علي (عليه السلام) نفسية الرجلين، وعرف مواطن الضعف فيها، ويقول أن طلحة والزبير كلٌ يريد الامر لنفسه، وهو حامل في قلبه غير ما في وجهه، ولو تحقق ما يريدون، فسيقتل أحدهما الآخر.

⁽¹⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 313/9.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 109/9.

عندما نتف شعر عثمان بن حنيف ،ثارحكيم بن جبلةعلى الخارجين على علي بن أبي طالب(عليه السلام) ،وثار معه سبعمائة رجل من عبد القيس ،وقدشهد حكيم بن جبلةعلى طلحة والزبير " اللهم أن طلحة والزبير لم يريدوا بماعملا القربة منك! وماأرادا الا الدنيا! اللهم أقتلهم بمن قتلا(1)ولاتعطهما ما املا" (1).

لمابلق حكيم بن جبلة ماصنع القوم بعثمان بن حنيف ،خرج في ثلثمائة من عبدالقيس مخالفاً لهم منابذاً ،فخرجوا اليه، وحملوا عائشة على جمل، فسمي ذلك اليوم الجمل الاصغر! ويوم علي (عليه السلام)الجمل الاكبر.

قتل في الجمل الاصغر حكيم بن جبلة ،وقتل أخوة له ثلاث، وقتل أصحابه كلهم، وهم ثلثمائة من عبدا لقيس،والقليل منهم من بكربن وائل،فلما

صفت البصرة لطلحة والزبير،بعد قتل حكيم بن جبلة واصحابه وخرج ابن حنيف منها، أختلفا في الصلاة ،وأراد كل واحد منهم ان يؤم الناس! وخاف ان تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً له ورضاً بتقدمه! فأصطلحت بينهما عائشة،بأن جعلت عبد الله بن الزبير، ومحمد بن طلحة يصليان بالناس،هذا يوماً وهذا يوماً(2).

أن إخراج ابن حنيف من البصرة يمثل التحدى الاكبر لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وخروج عامل علي (عليه السلام)يعني نهاية أمره وطاعته في المدينة، وأصبح من الملزم أن يؤم الصلاة من يقودها، وبما أن طلحة والزبير من يقودا الجمع، فوجب أن يؤم أحدهم الصلاة ،لكنهم اختلفوا فيمن يكون ،ولولا تدخل عائشة لحصل أمر غري ببين الطرفين.

حل علي بن ابي طالب(عليه السلام) ما يجول بأعماق طلحة والزبير فيقول "أيها الناس،أن عائشة سارت الى البصرة ومعها طلحة والزبير، وكل منهما يرى الامر له دون صاحبه ! أما طلحة فابن عمها، وأما الزبير فخنثهما،والله لوظفروا بماأرادوا ،ولن ينالوا ذلك أبداً،ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد

¹القرطبي،يوسف ب عبدالله بن عبدالبر النمري،الاستيعاب،بيروت،مطبعة دار الفكر،2006،1/324.

²ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،322/9.

تنازع منهما شديداً! والله أن راكبة الجمل الأحمر ماتقطع عقبه ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه! حتى توردد نفسها ومن معها موارد التهلكة⁽¹⁾.

ربما كان علي قد عرف ما يدور في عقلية طلحة والزبير، وكما درسها علي بن أبي طالب (عليه السلام) تقول انهما سيتنازعا لومال الامر اليهما، حتى يصل الامر أن يضرب أحدهما عنق صاحبه.

فهما اختلفا فيمن يؤم الصلاة، وكان من الممكن أن يحصل نزاع بينهما في حالة تحقيق نصر في المعركة مع جيش علي (عليه السلام)، كما اختلفا على من يسلم التابعين لهما بالأمر، فقد طلب طلحة من عائشة أن يسلم الناس عليه بالأمر! وأدلى اليه بالتيميه، فهو يظن أن الخلافة سلعة تباع وتشترى، كما طلب الزبير ذلك، وتحجج بأن عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار! وأنه أستخلفه على الصلاة، ولما رأت عائشة أصرارهما أمرت الناس أن يسلموا عليهما بالأمره⁽²⁾، ومعاويه ودهاؤه لم يدع الخلافة، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) حي، فكيف أجاز الزبير لنفسه ادعاء ذلك وعلي (عليه السلام) حي.

وما كان احتجاج الزبير مقبولا من الناس، لأن طلحة والزبير كانا مشغولين في تحريض الناس على عثمان، فكيف ينص عثمان بالخلافة الى من يريد قتله.

اراد طلحة مناغمة عقول أهل البصرة فقال " ولاغررناكم فيما دعوانكم اليه من قتال علي بن أبي طالب وأصحابه الصادين عن الحق، ولسنا نطلب خلافة ولا ملكاً، وأنا نحذركم أن تغلبوا على أمركم وتقصروا دون الحق، وقد رجونا أن يكون عندكم عون لنا على طاعة الله وأصلاح الامة⁽³⁾."

إذا كان طلحة لا يريد الخلافة، فلما يطلب السلام بالأمر من الناس، ولماذا خرج، ولماذا اختلف مع الزبير فيمن يؤم الصلاة، ثم ه يطلب أعانة أهل البصرة للقتال، ولقتال من؟!!

⁽¹⁾ صفوت، جمهرة خطب العرب، 210/1.

⁽²⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 110/9.

⁽³⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص 304.

موقف الخليفة من الحرب قبل نشوبها

لم يكن موقف علي بن أبي طالب (عليه السلام) يدور بالذهاب الى معركة بينه وبين طلحة والزبير ، بل كان ينظر الى طريق السلم وتجنب أراقة دماء المسلمين وتفتيت قوتهم، وهو يعرف أن وراء ما يدور في البصرة ، حوادث للشام فيها اليد الطولى، وأشار علي (عليه السلام) الى الرسائل التحريضية من معاوية الى طلحة والزبير وتحفيزهما للخروج عليه، " ولقد كان معاوية كتب اليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عني، وخرجا يطلبان بدم عثمان"(1).

فخرج طلحة والزبير بما فيه من متناقضات، لكن اليد الطولى كانت للرسائل التي حرصت على الخروج عن طاعة علي (عليه السلام)، وقد أرسل علي (عليه السلام) عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير لعله يجد طريق لحقن الدم الذي سيرا، فقال له: أنطلق اليهم فناشدهم وذكرهم العهد الذي لي في رقابهم، قال ابن عباس: فجئت فبدأت بطلحة فذكرته العهد، فقال لي: يا ابن عباس ، والله لقد بايعت واللع على رقبتني، فقلت له: أنارأيتك بايعت طائعاً، أولم يقل لك علي (عليه السلام) قبل بيعتك له: أن أحببت أن اباعك بايعتك؟ فقلت: لا، بل نحن نبايعك، فقال طلحة: أنما قال لي ذلك وقد بايعه قوم فلم أستطع خلافهم ، والله يا ابن عباس، أن القوم الذين كانوا معه يغرونه ولئن لقيانه يسلمونه، ما علمت يا ابن عباس أني جئت اليه والزبير، ولنا من الصحبة مالنا من الصحبة، والقدم في الاسلام وقد أحاط به ألفان قياماً على رأسهم السيوف فقال لنا بهزل: أن أحببنا بايعتنا، فلما قلنا نعم إفتراه كان يفعل وقد بايع الناس له، فيخلع نفسه ويبايعنا؟¹ لا والله، ما كان يفعل، وخشينا أن يغري بن امل ايرى لنا حرمه فبايعناه كارهين! وقد جئنا نطلب دم عثمان⁽²⁾

⁽¹⁾ .الشيخ المفيد، الجمل، ص26.

⁽²⁾ نوري، الناكثون، ص87.

نستنتج بالنهاية أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكن طالب حرب ، بل هو دفع اليها دفعاً، ولو وجدت النية الصادقة عند الطرف الآخر في حل النزاع لما وصل الامر الى ما وصل اليه.

الفصل الخامس

مجريات معركة الجمل وأحداثها

المبحث الأول: أجواء ما قبل المعركة

المبحث الثاني: تفاصيل المعركة وأحداثها

المبحث الثالث: تداعيات المعركة ونتائجها

المبحث الأول: أجواء ما قبل المعركة

لما رفض طلحة والزبير كل حوارات علي (عليه السلام) والرسائل التي أرسلها والبعوث اليهم ، أصبح عليه لزاماً مناجرتهم ، وإعادة الحق لأهله فيما قاموا به في البصرة، وإعادة هيبة الخلافة، حتى لا يحدث شرخ كبير فيها ، اكبر مما هي فيه⁽¹⁾.

فقد شهد علي (عليه السلام) على طلحة أنه بايع طائعاً ، وليس كما كان يدعي أمام الناس بالبيعة مكرهاً، كما ان علياً دعى على الزبير الذي قطع قرابته ، ونكث بيعته ، ونصب الحرب له⁽²⁾.

أن إخراج عائشة الى البصرة ووضعها في أتون الحرب ، هي متاجرة من النوع الذي يرفضه الاسلام ، فلا يحق لأحد أن يخرج نساء الرسول وهن أمهات المؤمنين وقرة عين الرسول الكريم (ع)، لكن ذلك الخروج لا يؤاخذ على طلحة والزبير دون أن يكون رضا عائشة مقروناً بذلك الخروج الذي أفسد عقول المسلمين⁽³⁾.

⁽¹⁾نوري، الناكثون، ص91.

⁽²⁾البلاذري، أنساب الأشراف، 22/3.

⁽³⁾الذفر اوي، يونس، شخصيات ومواقف، القاهرة، دار الامل، 1988، ص64.

ومهما تكن منزلة عائشة عند رسول الله (ﷺ)، فهذه المنزلة لا تسمح لها بأن تتجاوز حدود بيتها ، وتخرج الى ساحة الوغى ، تأمر ، وتنهاي ، وتحرض وهي بذلك تكون قد خالفت ما أمرت به، ولا يكون اعتزاز رسول الله (ﷺ) بها بطاقة إستئذان لها في قيادة حملة على خليفته.

" قالت عائشة: كان النبي (ﷺ) إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل خيراً منها ، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بماله إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء⁽¹⁾.

وهذا النفي لرسول الله (ﷺ) بأفضلية نسائه يجعل من خديجة دون عائشة، لكن عائشة كانت أحب نسائه بعد موت خديجة، وأما عليّ فلا يشك أحد بحب رسول الله (ﷺ) له، وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : لا يلام الرجل على حبه لقومه⁽²⁾.

والروايات الواردة تؤكد منزلة علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند الله وعند رسوله ، فعندما يدعو الرسول الكريم (ﷺ) ربه أن يأتيه بأحب الناس اليه ليشاركه أكل الطير ، فإن دعوى الرسول (ﷺ) لا تكون جزافاً ، أو أمراً ليس فيه الهام من الرحمن ، فالأحب علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فكيف يرفع الناس السيوف بوجهه وأن رفع السيوف في وجهه يعني رفعها في وجه رسوله الكريم (ﷺ)، وهي عصيان الناس لمن أحبه الله ورسوله.

وروى النسائي عن ابن بريده قال: جاء رجل الى أبي فسأله أي الناس كان أحب الى رسول الله (ﷺ) ؟ قال: من النساء فاطمة ، ومن الرجال عليّ⁽³⁾.

ويأبى الخارجون عن طاعة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أن يكون علي (عليه السلام) أحب الناس للرسول (ﷺ)، وهاهو طلحة يقول للناس من

⁽¹⁾ .جنبل، مسند أحمد، 6/1117.

⁽²⁾ ابن المغازي، مناقب الامام علي بن ابي طالب، ص170.

⁽³⁾ .النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص214.

تابعيه" فهذه معكم زوجة الرسول (ﷺ) وأحب الناس اليه وأبنة الصديق ،
الذي كان أبوها أحب الخلق الى رسول الله (ﷺ) (1).

والمرأة في بيتها ، لكن طلحة والزبير شاوراها على الخروج ، فأذعنت
لهم " قدم طلحة والزبير على عائشة فدعواها الى الخروج، فقالت: أتامراني
أن أقاتل ؟ فقالا: لا، ولكن تعلمين الناس أن عثمان قتل مظلوماً ! وتدعيهم
الى أن يجعلوا الأمر شورى بين المسلمين ! فيكونوا على الحالة التي

تركهم عليها عمر بن الخطاب ! وتصلحين بينهم (2) وهكذا أدخل طلحة
والزبير فكرة الرهط الذي اختاره عمر بن الخطاب في عقل عائشة، فأمنت
بالفكرة وتبنتها، لكن الحقيقة أن طلحة والزبير يسحبان النار الى رغيتهما،
ويخططان الى نيل الخلافة ضمن الاربعة، فسعد بن أبي وقاص اعتزل
الامر منذ البداية، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) خصيمهما ، فلم يبق
من الاربعة غيرهما في ساحة التنافس، بل أن الشرط الذي ألزمت به
المتبارين على منصب الخليفة أن لا يكون قد أشترك في قتل عثمان، فأى
مخالفة هذه التي يقوم بها المحاربون لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)،
فأصبح علي قاتل لعثمان ويبرأ منها طلحة والزبير.

وكانت فكرة الشورى قد ركبت رأس عائشة، لتقوم خطيبه عند وصولها
البصرة فتقول " ألا أن عثمان قتل مظلوماً فأطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم
فأقتلوهم ثم أجعلوا الأمر شورى، بين الرهط الذي اختارهم أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب ! ولا يدخل فيهم من شرك بدم عثمان (3).

كان طلحة من أشد الناقمين على عثمان بن عفان ، ولعل وقوفه في المربد
يوم دخل البصرة وقوله لاهلها " أن عثمان من أهل السابقة، ...جنناكم أيها
الناس نطلب بدم عثمان وندعوكم الى الطلب بدمه... وجعل الامر شورى (4)
، ويقوم الزبير مؤيداً كلام طلحة، لكن الناس تعرف موقفهما قبل هذا
الكلام " فبينما هم كذلك، اتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه

(1). الشيخ المفيد، الجمل، ص 329.

(2). البلاذري، أنساب الأشراف، 2/223.

(3). ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1/87.

(4). ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9/3114.

طلحة في التآليب على قتل عثمان، فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: فما ردك على ما كنت عليه؟ وكنت أمس تكتب إلينا تؤلبنا على قتل عثمان! وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه! وقد زعمتما أن علياً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله، إذ كنتما أسن منه فأبيتما ألا أن تقدماه، لقرابته وسابقته، فبايعتما، فكيف تنكثان بيعتكما بعد

الذي عرض عليكما؟ قال طلحة: دعانا إلى البيعة بعد أن أغتصبها وبايعه الناس، فعلمنا حين عرض علينا أنه غير فاعل، ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والانصار، وخفنا أن نرد بيعته فنقتل! فبايعناه كارهين! قال: فما بدأ لكما في عثمان؟ قالوا: ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إياه، فلم نجد من ذلك مخرجاً ألا الطلب بدمه! قال: ما تأمران به؟ قالوا: بايعنا على قتال علي ونقض بيعته! قال: رأيتما أن أتانا بعدكما من يدعون إلى ما تدعوان إليه، ما نصنع؟ قالوا: لا تبايعه! قال: ما أنصفتما؟ أتأمراني أن أقاتل علياً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما، وتنتهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما! أما أننا بايعنا علياً، فأن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا! قال: ثم تفرق الناس، فصارت فرقه مع عثمان بن حنيف، وفرقة مع طلحة والزبير⁽¹⁾.

أن طلحة والزبير لم يجدا غير رفع السلاح بوجه علي بن أبي طالب (عليه السلام) الوسيلة الوحيدة للنار من قتل عثمان، وإرجاع الأمر شورى، فهما خافا أن يردا بيعته فيقتلان، وكان علي (عليه السلام) لا يعرف حدود الله، وقد كان رسول الله (ع) يقول "من حمل علينا السلاح فليس منا"⁽²⁾، وروي أيضاً إن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله (ع) إلى الحرقه من جهينه، فصباحنا القوم فهزمناهم، ولقيت أنا ورجل من الانصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الانصاري، وطعنته برمحى حتى قتلتها، قال: بلغ ذلك النبي (ع)، فقال لي: يا أسامة! أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟

⁽¹⁾ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 88/1.

⁽²⁾ القشيري، صحيح مسلم، 111/1.

قال:قلت: يا رسول الله(ع)! أنما قالها متعوذاً، قال: فقال: أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل هذا اليوم⁽¹⁾.

رسول الله (ع) لا يرضى بقتل رجل ذمي ، لانه قال لا إله إلا الله، فكيف سيقتل المسلمون بعضهم الآخر ويقفون قبلها وبعدها للشهادة أن لا إله إلا الله، هي المخالفة التي لا يريدتها الله ورسوله(ع) ، ولا يقبلها كل من دخل الايمان قلبه بصدق، وما قيمة السابقة والصدق في القول ، والشجاعة في درء الخطر عن الاسلام ، اذا لم يكن هناك ألفه بين المسلمين، وتلك صفات الله الحسنة تركها القوم ، وساحوا في بידاء التناحر والاقتيال.

إن التجاذب بين طلحة والزبير في الأمرة على الناس ، تجعل العاقل فيهم يقف موقفاً متسائلاً، ماهي النتيجة التي يرجوها من قاتل مع طلحة والزبير في اعزاز الاسلام ، والحصول على المغفرة التي توصله الى الجنة المرتقبه في قتاله؟ وأذا كان القتال بين فئتين من المسلمين ، كيف يرى من لم يدخل الايمان قلبه بصدق الحق ومكانه والباطل وموقعه؟ وما الغاية من تجبيش الناس لقتال علي بن أبي طالب(عليه السلام) ؟ تكتب عائشه الى أهل المدينة " أن الحق قد ظهر ، وأن أهل البصرة قد أجمعوا كلمتهم على قتال علي⁽²⁾.

أن العلاقة المتوترة بين عائشة وعثمان والتي بدأت في قيام عثمان بإنقاص عطائها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيرها أسوة غيرها من نساء رسول الله(ع)⁽³⁾..

فكيف تحول ذلك العداء بين لحظة وأخرى الى نقيضه، فهي تكتب الى أهل اليمامة، " أما بعد: فاني أذكركم الله الذي أنعم عليكم وألزمكم بالاسلام، فإن الله يقول: {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا}⁽⁴⁾، فأعتصموا عباد الله بحبله ، وكونوا مع كتابه ، فإن أمكم

⁽¹⁾.المصدر نفسه1/135.

⁽²⁾.الشيخ المفيد،الجمال،299.

⁽³⁾.اليقوبي،تاريخ،2/122.

⁽⁴⁾سورة الحديد، الآية22.

ناصحكم فيما تدعوكم اليه من الغضب والجهاد لمن قتل خليفة حرمه! وأبتر المسلمين أمرهم! وقد أظهر الله عليه، وأن ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين الى سبيل النار! (1).

أن تشويه الصورة الحقيقية لما هو موجود على أرض الواقع كان السمة الأساسية للمخالفين لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، والا كيف يصور أصحاب علي بالصورة التي يكتب بها الى أهل الإمامة، وعندما تدعي عائشة انها ناصحه للناس في دعوتها للثأر من عثمان، ثم اعتبر قتالهم جهاد ضد علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وينسى الخارجون عن علي (عليه السلام)، كيف دخلوا بيت مال البصرة، ووزعوه وفق آرائهم، وعلي (عليه السلام) كان يدخل بيت المال ويوزع ما فيه على مستحقه ثم يكنس بيت المال، ويصلي فيه.

كانت عائشة تقول للناس "لما دنونا من البصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجموع، وأمرهم أن يلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر، وقالوا فينا المنكر، فاكذبهم المسلمون وأنكروا عليهم، وقالوا لعثمان بن حنيف: ويحك! أنما تابعنا زوج النبي (ع)، وأم المؤمنين وأصحاب رسول الله (ع) وائمة المسلمين، فتمادى في غيه، وأقام على أمره، " ثم تقول " ولم نشعر حتى في ثلاثة آلاف من جهلة العرب وسفائهم وصَفهم دون المسجد بالسلاح، فالتمسنا أن يبايعوا على الحق، ولا يحولوا بيننا وبين المسجد!! فرد علينا ذلك كله، حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرق الناس للصلاة عنه، دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون، وفتحوه عنوه، وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس. (2).

بالصورة الهزيلة تصور عائشة الناس في البصرة، وبالشكل المشين تصف عثمان بن حنيف، وعثمان صاحب رسول الله (ع)، ومن الصادقين، وكان عثمان يقوم بواجبه الشرعي في حفظ بيت المال، وأمامة المسلمين في الصلاة، والبصرة دار امارته، فما بال الغريب القادم من قلب

(1). الطبري، تاريخ، 181/5.
(2). صفوت، جمهرة رسائل العرب، 323/1.

الجزير هةيريد أن يمنعه الصلاة ، ويستولي على بيت المال، فأى حق هذا الذي يستتجد فيه الخارجون عن طاعة خليفة المسلمين.

ويستتجد طلحة والزبير بأهل الشام" أنا خرجنا لوضع الحرب! وأقامة كتاب الله عز وجل بأقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك، فبايعنا خيار اهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونزاعهم، فردونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينه أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه ، فأعطاهم الله عز وجل سنة المصلين مرة بعد مرة،حتى إذا لم يبق حجه ولا عذر أستبسل قتلة أمير المؤمنين ، فخرجوا الى مضاجعهم ، فلم يفلت منهم مخبر إلا حرقوص بن زهير، والله سبحانه مقيدة إنشاء الله ، وكانوا كما وصف الله عز وجل.

وأنا نناشدكم الله في أنفسكم ألا نهضتم بمثل ما نهضنا فنلقي الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا، وقضينا الذي علينا⁽¹⁾.

فعلي يحاول أن يطفىء النار الملتهبة، وطلحة والزبير يسكبون الزيت عليها، فيكتبون الى الشام، وكأن الشام هاديئة الطبع، وكأنها أذعنت لعلي بن ابي طالب وسلمت مفاتيح دمشق له ، ونسي الخارجون ما لمعاوية فيها من سلطان ، أستغله في أول رد فعل لعلي(عليه السلام) حين أمتنع عن بيعته، وأن أول جيش كان خارجاً من المدينة لقتال معاوية ومناجزته لولا خروج أهل الجمل الى البصرة.

بل أن الامر وصل بهم الى القول بأن أهل البصرة قالوا لهم" نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتم بالحق وحثتم عليه"، وهو قول باطل ، لان اتباع أبن حنيف لم يقولوا هذا أبداً ، بل نصحوها ، لكنها أبت النصيحة، ولم تتعظ ، أقبل رجل عليها فقال: يا أم المؤمنين ،لله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضه للسلاح، أنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، أنه من رأى قتالك

⁽¹⁾. الطبري، تاريخ، 5/181.

فأنه يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي الى منزلك ، وأن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس⁽¹⁾.

فالناس تعرف مكانة عائشة ، ولم يجرأ أحد على القول سنأخذها رهينة، بل أنهم قدموا النصح لها ، وذكروها بمكانتها، وبيتها والاقرار فيه.

أن دعوة أهل الشام الى الالتحاق بهم ، أو القيام بما قام به طلحة والزبير في مناجزة علي بن أبي طالب ، هو تفريق شمل الامة وتفتيت عضدها، ومحاولة شق عصا الطاعة عن الخليفة الذي يعاني الامرين من خروج طلحة والزبير الى البصرة ، وعصيان معاوية بالشام.

لقد فزع طلحة والزبير بما وصل اليهم من الرسائل والوعود الكاذبة من معاوية بن أبي سفيان ، في التحريض على منازعة علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ومحاولة أقصائه وأبطال بيعته والعوده بها الى الشورى، ولم تكن تلك الوعود إلا صب الزيت على النار، فالعلاقة غير الموفقة بين علي بن أبي طالب(عليه السلام) ومعاوية كانت علاقة دم وتفاضل فكري ، فأبو سفيان لم يكن يوماً في طوع الاسلام ، ولا أحبه ، ولم يدخل قلبه ويعمره ، ويزيده بريقاً وقوه ليكون مدافعاً عنه في الملمات، بل كان يجيش الجيوش في الحرب ضد الاسلام ، وقاد المعارك كلها التي كانت قريش طرفاً فيها من بدر الى معركة أحد ، حتى كان فتح مكة، فلم يجد أمامه إلا قبول الاسلام على مضض ، وذلك الغيظ من الاسلام أراد تجسيده في تولي عثمان الخلافة، فكان ما كان، وعرض ذلك الدفين في قلوب بني أمية عندما أستلمها معاوية في الشام، ومعاوية يريد أن يكون الرأس للاسلام بديلاً عن بن أبي طالب ، متناسياً أنه من طلقاء رسول الله، وناسياً ما لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) من فضل ومكارم طيلة وجوده بجانب الرسول الكريم(ع)، ومواقفه النبيلة مع الخلفاء الذين سبقوه.

أن التناغم بين أطراف النزاع أصبح من الصعوبة السكون إليه والاذعان لمستقبله، وحتى التخاطب بينهم كان يأخذ منحى الشتيمة ، فعائشة تنادي

⁽¹⁾.ابن كثير، البداية والنهاية، 224/7.

عثمان " نعثلاً"، والزبير يقول لابنه عبد الله منادياً طلحة: ابن الحضرمية⁽¹⁾.

وهذا التناحر يقود الناس الى الاعتقاد سلفاً بان السير وراء قيادة مختلفة بالرأي هو بداية الهزيمة.

أن الخارجين عن طاعة علي بن أبي طالب كانوا يتحينون الفرصة السانحة لقتله والتخلص منه، وها هو الزبير يطلب من أهل البصرة ألف فارس ليستقبل علي (عليه السلام) ويقتله، ويبيت بياتاً، أو يصبحه صباحاً، فلم يجبه أحد، لأن الناس في البصرة كانوا شتات الرأي، وعلي هو ابن خال الزبير، ويجمعهم الدم والسابقة والرحم، وكان رد فعل الزبير قوياً في عدم الاستجابة لطلبه في استقبال علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقتله، فقال: هذه والله الفتنة التي نحدث بها! فقال له بعض مواليه: رحمك الله يا أبا عبد الله! تسميها فتنة ثم نقاتل بها! قال: ويحك! والله أنا لنبصر ثم لا نبصر! فأسترجع المولى ثم خرج في الليل فاراً الى علي بن أبي طالب فأخبره، فقال: اللهم عليك به⁽²⁾.

كان الخلاص من علي بن أبي طالب (عليه السلام) هدفاً اسمى لهم، وكان الزبير من مؤيدي هذا الرأي مع طلحة، والزبير يشد من عزمه ابنه عبد الله الذي يكن كل الحقد لعلي (عليه السلام).

عندما خرج عثمان بن حنيف من البصرة، خطب الزبير بالقوم فقال: أن عدوكم قد أضلكم! والله لئن ظفر بكم لا ترك لكم عيناً تطرف، فأنهضوا اليه حتى نكبس عليه قبل أن تلحقه انصاره، وقال لهم: أمضوا فخذوا أعطيتكم، فلما رجع الى منزله قال له ابنه عبد الله: أمرت الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل أن يأتي علي بن أبي طالب؟! بئس الرأي الذي رأيت! فقال الزبير: أسكت ويلك! ما كان غير الذي قلت، فقال له

طلحة: صدق عبد الله وما ينبغي أن يسلم هذا المال حتى يقرب منا علي فنضعه في مواضعه فيمن يدفعه عنا! فغضب الزبير وقال: والله لو لم يبق

⁽¹⁾ ابن كثير، البدايات والنهاية، 224/7.
⁽²⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 114/14.

إلا درهم واحد لأعطيته ! فلامته عائشة! ووافق رأيها رأي الرجلين، فقال الزبير: لتدعوني أو لآلحن بمعاوية! فقد بايع بالشام الناس!! فأمسكوا عنه⁽¹⁾.

يتضح من الحوار الذي دار بين الاطراف الاربعة أن الزبير منقاد لرأي ابنه عبد الله ، وأن رأي الرجلين طلحة والزبير لم يكن متطابقاً في أمور كثيرة، وأن الزبير قد صدق برسائل معاوية بأن الاخير بايع له بالشام ، فهو يهددهم بتركه وعدم توجيه اللوم له ، أو أن يلتحق بمعاوية، وتشير روايه أخرى الى ضعف الزبير أمام ابنه عبد الله" أراد الزبير أن يعطي الناس أرزاقهم ويقسم ما في بيت المال، فقال له عبد الله: أن أرزق الناس تفرقوا"⁽²⁾.

فأمر الناس هنا مرهون بما يقدمه اليهم طلحة والزبير من أرزاق ، فإن حضورهم للقتال معهم كان بهدف الارتزاق بعد أن أطمعهم طلحة والزبير بذلك، فأى جيش يكون هذا الجيش الذي ينظر الى المطاعم قبل أن ينظر الى تحقيق المباديء، وهل نسي طلحة والزبير معركة أحد ، عندما ترك الرماة امكانهم وسرحوا نحو أرض المعركة ليسلبوا قتلى المشركين ويتقاسمون الغنائم ، فحلت الهزيمة بدل الانتصار.

والحال بين الخارجين عن طاعة علي فقد أنعدم الترابط الروحي بينهم، وقال الزبير يوماً لابنه"ويلك! لا تدعنا على حال، أنت والله قطعت ألفتنا بما بليت به من هذا المسير"⁽³⁾.

لقد أتهم الزبير ابنه عبد الله بالسبب الاول لقطع العلاقات بين ابيه وعلي بن أبي طالب(عليه السلام) ،وهو الذي فرق الالفه بينهما ، وقد أشار علي(عليه السلام) الى ذلك الدور السيء الذي قام به عبد الله بن الزبير في التحريض على قتال علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وفي روايه" أن علياً (عليه

⁽¹⁾. الشيخ المفيد، الجمل، ص287.

⁽²⁾. الطبري، تاريخ، 5/182.

⁽³⁾. الشيخ المفيد، الجمل، ص289.

السلام) التقى بالزبير قال له: قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ أبناك السوء ففرق بيننا وبينك⁽¹⁾.

أن الإيحاء إلى الأسباب للبغض الذي حصل بين الزبير وبين علي، مرده أسباب كثيرة، لكن السبب الرئيس، هو عبد الله بن الزبير، وتعلقه بخالته عائشة، التي تعلم منها ما تحب وتكره.

إن القادم في هذه الأحداث خطير جداً، وذلك لعدم وجود تجانس بالآراء، وتفاوت في التحليل لمجريات العمل الذي أقدموا عليه في مناجزة الخليفة وسحب الأمة إلى قتال لا يعرف نتائجه المستقبلية على الإسلام.

كما أن التابعين إلى المجموعة المخالفة لعلي، لم تكن عندهم العزيمة التي يستطيعون فيها حمل رسالة المعارضة بقدر ما جمعهم بغض عليّ وحب عائشة، فالأعراب ميالون دائماً للمخالفة في كل ديدن، والمعارضة عندهم أنما تعني الوصول للهدف المرجو، أو الإيغال في تحطيم المنافس حتى ولو كان ولاءهم مقروناً بمذهبه.

كان الأعراب التابعين يسلمون على الزبير بالإمرة، فهم عدوه أميراً للمؤمنين، مع وجود الخليفة الشرعي، لكن ذلك الولاء متفاوت في قوته نحو زعامتهم، "يقول أحد الأعراب، كنت مع الزبير، فجاء فارس يسير، وكانوا يسلمون على الزبير بالإمرة، فقال: السلام عليك أيها الأمير! قال: وعليك السلام، قال: هؤلاء القوم قد أتوا من مكان كذا وكذا، فلم أر ما ارتب سلاحاً ولا أقل عدداً ولا أرعب قلوباً من قوم أتوك، ثم انصرف عنه، قال: ثم جاء فارس فقال: السلام عليك أيها الأمير، قال: وعليك السلام، قال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا وكذا، فسمعوا بما جمع الله عز وجل لكم من العدد والعدة والحد فقفز الله في قلوبهم الرعب فولوا مدبرين، قال الزبير: أيها عنك الآن، فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب ألا العرفج لدب إلينا فيه، ثم انصرف، ثم جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرهج، فقال: السلام عليك أيها الأمير، قال: وعليك السلام، قال: هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت عماراً فقلت له وقال لي، فقال الزبير أنه ليس فيهم، فقال: بلى والله

⁽¹⁾ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص 76.

أنه فيهم، قال: والله ما جعله الله فيهم، فقال: والله لقد جعله الله فيهم، قال: والله ما جعله الله فيهم، فلما رأى الرجل يخالفه، قال لبعض أهله، أركب وأنظر أحقاً يقول؟ فركب معه فأطلقا وأنا أنظر اليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلاً ثم رجعا إلينا، فقال الزبير لصاحبه: ما عندك؟ قال: صدق الرجل، قال الزبير: يا جدع أنفاه، أو: ياقطع ظهره! ثم اخذ ينتفض، فقال صاحبه: ثكلتني أمي، هذا الذي كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه، والذي نفسي بيده ما أخذ هذا ما أرى إلا بشيء قد سمعه أو رآه من رسول الله(ع)⁽¹⁾.

فالناس الذين مع طلحة والزبير كانوا يرون أن الإمرة بين اثنين لا ترضى الآخرين بزعامه، فلا يمكن أن يكون اثنان في قيادة دولة، ثم أن الزبير قد تخوف حين قيل له، أن عمار بين جيش علي(عليه السلام)، فلم يصدق حتى رآه بنفسه فتعوذ، وأنسحب من مكانه، لأنه يعرف أن رسول الله(ع) قال: عمار تقتله الفئة الباغية، وهو ما سمعه من الرسول الكريم(ع)، فكيف يكون قاتل، أو مساعد في قتل عمار⁽²⁾.

أن المنتبغ لهذه الاحداث يرى التناقضات الكبيرة في أقوال عائشة وطلحة والزبير، وهؤلاء الثلاثة كانوا من أقرب الناس الى رسول الله(ع)، وكان رسول الله(ع) ينظر لأصحابه بنظرة الاكرام والمحبة، فهو يودعهم في أحاديثه وفي أعماله، حتى عرفوا مغزاها، فهم البقية الباقية بعد رسول الله(ع)، وهم الحافظون دين الله في الارض، والماسكون بالقرآن، والباذلون مهجهم لأعلاء دين الله، فكيف تنتظر اليهم الناس بغير هذا المنظر الحسن الذي منه يستشفون مبادئ الاسلام، وذكر رسول الله(ع)، ويتعلمون أحكامه التي فاتتهم في أنشغالهم وبعدهم عن الرسول(ع)، وأصحاب الرسول(ع) هم القرآن المتنقل فيما لو غابت الاحكام.

لكن الدنيا فيها من حب الذات، وحسد الطامع الكثير مما يفلت الامور زمامها، وتتكاثر الاحداث في حين غره، فلا يكون لها مخرج، ويكبر

⁽¹⁾. الطبري، تاريخ، 5/205.

⁽²⁾نوري، الناكثون، ص102.

النزاع ، فلا يبقى غير السيف والدم حلاً وفصلاً للوصول الى الهدف الذي قد لا يرقى الى الحقيقة⁽¹⁾.

المبحث الثاني: تفاصيل المعركة وأحداثها

لم يبق من النزاع غير السيف ، وكيف يكون السيف استحقاقاً إذ لم يكن في جسد عدو ، ويتقابل المسلمون ينظر أحدهم للآخر ، وحدقات العيون ترمق الكبار ، لعل امرهم يكون للسلم.

سار علي بن أبي طالب (عليه السلام) من ذي قار ، وسار طلحة والزبير ، وألتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد، ثم مال جيش طلحة والزبير الى عسكر علي (عليه السلام) ، فكان علي يكلمهم ويردعهم، وكان التقاؤه عند

⁽¹⁾ العمران، عباس، حقيقة الصحابة، بيروت، دار الجمل، 2007، ص34.

قصر عبيد الله في النصف من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين يوم الخميس⁽¹⁾.

وقام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خطيباً بالناس " ايها الناس قد ناشدت هؤلاء القوم كيما يرجعوا فلم يفعلوا ولم يستجيبوا وقد بعثوا إلي أن ابرز الى الطعان وأثبت للجلاد ، وقد كنت وما أهدد بالحروب ، ولا أدعي اليها وقد أنصف القارة من رماها ، ولعمري لئن برقوا وارعدوا فقد عرفوني ورأوني، الا وأن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يمت يقتل، وأن أفضل الموت القتل، والذي نفس علي بيده لالف ضربة بالسيف أهون علي من موة علي فراش! ثم رفع يده الى السماء وهو يقول: اللهم! أن طلحة بن عبيد الله أعطاني صفقة بيمينه طائعاً ثم نكت بيعته، اللهم! فعاجله ولا تميطه، اللهم! أن الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكت بيعتي وظاهر عدوي ونصب الحرب لي وهو يعلم أنه ظالم، فأكفنيه كيف شئت وأني شئت⁽²⁾.

فقد شهد الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) على طلحة بأن بايعه طائعاً ثم نكت بيعته، كما شهد على الزبير بن العوام بأن قطع قرابته ونكت عهده وظاهر عدوه ونصب الحرب له ، وهو يعلم بأنه ظالم ، وتلك الاحتجاجات من علي بن أبي طالب (عليه السلام) هي ذمه في عنق طلحة والزبير يطالبهما فيها يوم يقف الجميع على الحوض، وبأي عذر سيعتذران عما قاما فيه في مراحل الخروج عن طاعة الخليفة ، وتحريض الناس عليه ومحاولة عزله ، أو قتله .

وقام علي (عليه السلام) فخطب بالناس ، فقام اليه رجل فسأله عن أقدامهم للبصرة ، فقال له علي: على الاصلاح وأطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الامه بنا ويضع حربهم، قال: فأن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فأن لم يتركونا؟ قال: دفعنا عن أنفسنا ، قال: فهل لهم من هذا مثل الذي عليهم؟ قال: نعم⁽³⁾.

⁽¹⁾ ابن الأثير، الكامل، 121/3.

⁽²⁾ ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتح، 468/2.

⁽³⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص 212.

فعلي(عليه السلام) لم يأت للحرب ولا هو طالبها ، وأراد في كل الاحوال تحويل أنظار الخارجين عنه الى السلم ، لكن المماطله ، ودفع المتشددین ضد عليّ ، ورغبة طلحة والزبير في تولي زمام الامر، أفسد كل محاولات علي بن أبي طالب بالابتعاد عن الحرب.

ويرد علي في خطبته "أيها الناس املکوا عن هؤلاء الناس أیدیکم والسنتکم وأیاکم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم.

وببلاغته المعهودة ، يأمر علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، جيشه بعدم البدء بالحرب والضرب ، وعدم التناحر ونبذ كل ما يجرح شعور الخصم ، فإن بدأ فيها والا فإن خصمک اليوم سيناجزک يوم الحشر ، وأنت خاسر للنزال⁽¹⁾.

كان القعقاع بن عمر قد مهد الامر للسلام ، فأتفقوا على أن يرضی علیاً(عليه السلام) بذلك، وأرسل علي(عليه السلام) رجلين اليهما فقالا لطلحة والزبير: أن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر بالامر، وخرج الاحنف بن قيس وابوسعد مشمرين معترلين، وكان الاحنف قد بايع علیاً(عليه السلام) في المدينة بعد قتل عثمان لأنه كان قد حج وعاد من الحج فبايعه، قال الاحنف: ولم أبایع علیاً حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وأنا أريد الحج وعثمان محصور ، فقلت لكل منهم: أن الرجل مقتول فمن تأمروني ابایع؟ فكلهم قال : بايع علیاً ، فقلت: أترضونه لي؟ قالوا: نعم ، فلما قضيت حجي ورجعت الى المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت علیاً ورجعت الى أهلي ورأيت الامر قد أستقام، فبينما أنا كذلك أذ أتاني آت فقال: هذه عائشه وطلحه والزبير بالخريبة يدعونك، فقلت : من جاء بهم؟ قال: يستنصرونك على قتال علي في دم عثمان ، فأتاني أفضع امر، فقلت: أن خذلاني أم المؤمنین وحواري رسول الله(ع) شديد ، وأن قتال ابن عم رسول الله (ع)وقد أمروني ببيعته أشد، فلما أتيتهم قالوا: جننا لكذا وكذا⁽²⁾.

¹الحسيني،خالد،اخلاق الحرب عند الإمام علي(عليه السلام)،بيروت،دارالحق،2008،ص45.
²الشيخ المفيد،الجمال،ص231.

حديث الاحنف بن قيس ، فيه من الدلالات ما يمكن أن ندحض كثير من الاقاويل ، ويفند الحجج، وفيه الاشارة الى أن عثمان محصور وعلي(عليه السلام) بعيد عن الواقعة، وكذلك سؤال الاحنف لطلحة والزبير لمن يبايع ، فيقال له: بايع علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وقد رضوا له بيعته ، وهنا لا بد من الاشارة الى الادعاء الذي كان يسوقه طلحة والزبير حول بيعتهما ، وأنهما بايعا والسيف على رقبتيهما، فأن هذا الادعاء بعيد عن واقع الحال الذي جرى ، والاحنف ليس بالرجل العادي الذي يكذب، ولا هو محتاج لاحد من الجميع ، فهو رئيس قبيله يشار لها بالبنان، وهو شاهد على بطلان ما أدعاه طلحة والزبير.

نادى الاحنف بن قيس " يا أم المؤمنين ويا طلحة ويا زبير ، نشدكم الله أقلت لكم : من تأمرون أبايع؟ فقلتم: بايع علياً، فقالوا: نعم ولكنه بدل وغير، فقلت: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل ابن عم رسول الله (ع) وقد أمرتموني ببيعته، ولكني أعتزل، فأذنوا له بذلك⁽¹⁾.

وهنا يؤكد الاحنف تلك القضية التي روج لها طلحة والزبير، ولكنه حولوها الى أن علي بن أبي طالب(عليه السلام) بدل وغير، لكن الاحنف يعتزل القتال بعد أن يذهب الى علي(عليه السلام) ويقول له: أما أن أقاتل معك او اكفيك عشرة آلاف سيف ، قال فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال؟ قال: أن من الوفاء لله قتالهم ، قال: فأكف عنا عشرة آلاف سيف⁽²⁾.

أن الاحنف بن قيس يأمر فتكف عشرة الاف سيف، وما هذا الذي يدور إلا جزء من الجاهلية ، والعودة الى العصبية القبلية، وكأن الاسلام لم يدخل قلوبهم ، وكأن رحمة الله لم تغطيهم ، ونزع الشيطان من قلوبهم كل رحمة.

لما أقترب الجيشان من بعضهما البعض خرج علي بن أبي طالب(عليه السلام) حتى وقف بين الصفين، وكان عليه قميص ورداء، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو يومئذ على بغله رسول الله (ع) الشهباء التي يقال لها(دلدل) ثم نادى بأعلى صوته : أين الزبير بن العوام ؟ فليخرج إلي! فقال

⁽¹⁾. ابن الاثير، الكامل، 3/334.

⁽²⁾. ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 2/297.

الناس: يا أمير المؤمنين ! أخرج الى الزبير وأنت حاسر وهو مدجج في الحديد ؟ فقال علي(عليه السلام): ليس عليّ منه بأس فأمسكوا ، قال: ثم نادى الثانيه : أين الزبير بن العوام؟

فليخرج إليّ ! قال: فخرج اليه الزبير، ونظرت عائشة فقالت: واثكل أسماء! فقيل لها: يا أم المؤمنين! ليس على الزبير بأس ، فأن علياً بلا سلاح.

ودنا الزبير من علي(عليه السلام) حتى وافقه، فقال له علي(عليه السلام): يا أبا عبد الله ما حملك على ما صنعت؟ فقال الزبير: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان، فقال له علي(عليه السلام): أنت وأصحابك قتلتموه فيجب عليك أن تقيد من نفسك، ولكن أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو ، أما تذكر يوماً قال لك رسول الله (ع): يا زبير أتحب علياً؟ فقلت: يا رسول الله(ع) ! وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي؟ فقال لك: أما أنك ستخرج عليه يوماً وأنت ظالم؟ فقال الزبير: اللهم بلى! قد كان ذلك، فقال علي(عليه السلام): فأنشدك بالله الذي أنزل الفرقان أما تذكر يوماً جاء رسول الله(ع) من عند بني عمرو بن عوف ، وأنت معه وهو أخذ بيدك فأستقبلته أنا فسلم وضحك في وجهي وضحكت أنا اليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً! فقال لك النبي(ع): مهلاً يا زبير ! فليس به زهوه، ولتخرجن عليه يوماً وانت ظالم له؟ فقال الزبير: اللهم بلى! ولكني نسيت، فأما أذ ذكرتني ذلك فوالله لأنصرفن عنك ! ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك⁽¹⁾.

لقد أتهم الخليفة علي بن أبي طالب(عليه السلام) طلحة والزبير بقتل عثمان ، ولو لم يشترك الزبير في القتال بشكل أو بآخر لما قال علي: فيجب أن تقيد نفسك.

وكذلك قول النبي الكريم(ع) للزبير: " ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له"

فقد تأكد من قول الرسول الكريم (ع) أن الزبير ظالماً لامامه الشرعي، وهذا الظلم يشمل كل التابعين الذين يقاتلون مع طلحة والزبير، فالحديث النبوي

⁽¹⁾. ابن كثير، البداية والنهاية، 232/7.

يدين الزبير قبل أكثر من عقدين من الزمن، ولا بد من أن الزبير يذكر ذلك فتناساه، بعد أن وجد في عائشة وطلحة طريقاً للوصول الى سدة الخلافة والتحكم برقاب الناس.

والقرآن الكريم واضح في تحديد الظلم والظلمة ، قال سبحانه وتعالى {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ }⁽¹⁾، {يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}⁽²⁾.

رجع الزبير الى عائشة وهي واقفه في هودجها ، فقالت : ما وراءك يا أبا عبد الله؟ قال الزبير: ورأيي والله ما وقفت موقفاً قط ولا شهدت مشهداً من شرك وأسلام ألا ولي فيه بصيره، وأني اليوم لعلي في شك من امرك، وما أكاد وابصر موضع قدمي! فقالت عائشة: لا والله! ولكنك خفت سيوف ابن أبي طالب، أما أنها طوال حداد تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتها لقد خافها الرجال من قبلك، قال: ثم أقبل عليه ابنه عبد الله فقال: لا والله! ولكنك رأيت الموت الاحمر تحت رايات علي بن أبي طالب ، فقال له الزبير: والله يا بني أنك لمشؤوم قد عرفتك، فقال عبد الله: ما انا بمشؤوم ولكنك فضحتنا في العرب فضيحه لا تغسل منها رؤوسنا أبداً!! قال: فغضب الزبير

من ذلك ثم صاح بفرسه وحمل على أصحاب علي(عليه السلام) حملة منكروه، فقال علي(عليه السلام): أفرجوا له فإنه محرج، فأوسعوا له حتى شق الصفوف وخرج منها، ثم رجع فشققا ثانية ولم يطعن أحد ولم يضرب ، ثم رجع الى ابنه فقال: يا بني هذه حملة جبان! فقال له ابنه عبد الله: فلم تنصرف عنا وقد التقت حلقتا البطان؟ فقال الزبير: يا بني! أرجع والله لاخبار قد كان النبي(ﷺ) عهدها إلي فنسيتها حتى أذكرينها علي بن أبي طالب فعرفتها⁽³⁾.

وروى الطبري " لما رأى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعلي(عليه السلام) هذا الزبير، قال: أما أنه حرى الرجلين أن ذكر بالله

⁽¹⁾ سورة الكهف، الآية 29.

⁽²⁾ سورة غافر، الآية 52.

⁽³⁾ المسعودي، مروج الذهب، 363/2.

أن يذكر، وخرج طلحه فخرج اليهما علي بن ابي طالب(عليه السلام) فدنا منهما حتى أختلف أعناق دوابهم ، فقال علي(عليه السلام): لعمرى لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً أن كنتما أعددتما عند الله عذراً فأتقياً الله سبحانه ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما، فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟ قال طلحة: ألبت الناس على عثمان !قال علي يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ، يا طلحة تطلب بدم عثمان ، فلعن الله قتلة عثمان ، يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله(ﷺ) في بني غنم ، فنظر اليّ فضحك وضحكت اليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهو، فقال لك رسول الله(ﷺ) : صه، أنه ليس به زهو، ولتقاتلنه وأنت ظالم له، فقال: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك ابداً، فانصرف علي(عليه السلام) الى أصحابه ، فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً إلا يقاتلكم ، ورجع الزبير الى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت ألا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا، قالت: فما تريد أن تصنع ؟ قال: أريد أن أدعهم وأذهب، فقال: له ابنه عبد الله : جمعت بين هذين الغارين حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب؟! أحسست رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد؟!⁽¹⁾.

فقد أعاد علي(عليه السلام) الى أذهان الزبير المواقف التي قالها الرسول الكريم(ص)، وأدعى الزبير انه نسيها، وما أظن نسيها! ولكنه عرف أن علي بن أبي طالب(عليه السلام) قد ذاعها بين مقاتليه، ومن مقاتليه من صاحب رسول الله(ﷺ) ، فاستدرك الزبير عمق الفضيحة، واعتذره بأنه نسي ما قال الرسول الكريم(ﷺ)، كما أن أتهام طلحة لعلي(عليه السلام) بتأليب الناس على عثمان ولا عجب في ذلك ، فقد قال طلحة لاهل البصرة" .. ولا غررناكم فيما دعوناكم اليه من قتال علي بن أبي طالب وأصحابه الصادين عن الحق، ولسنا نطلب خلافة ولا ملكاً ، وأنا نحذركم أن تغلبوا على أمركم وتقصروا دون الحق ، وقد رجونا أن يكون عندكم عون لنا على طاعة الله وأصلاح الامة، فأن أحق من عناء أمر المسلمين

⁽¹⁾. الطبري، تاريخ، 200/5.

ومصلحتهم أنتم يا أهل البصرة لتمكنكم بالدين، وأن علياً لو عمل الجد في نصره أمكم لا اعتزل هذا الأمر حتى تختار الأمة لنفسها من ترصاه"⁽¹⁾.

وبهذا الاتهام الذي قاله طلحة بحق علي(عليه السلام)، أصبح من اليقين أن يقول أي شيء آخر، أنها الآن لعبة حربية سياسية بين الطرفين تجرى وقائعها على أرض عربية ، ولوجوه عربية ، تدين بالله الواحد القهار وبرسوله الكريم(ع)، وتتخذ من زوج النبي(ع) عائشة راية لها تعلق كل ما تريد عليها ، أنها لعبة الكبار الأجلاء، والصحابة الأبرار، فأين منهم المؤمن الضعيف بجسده وأيمانه من هؤلاء.

ثم يقول طلحة في خطبة أخرى لأهل البصرة" ثم أخذ هذا الرجل الأمر دوننا من غير مشورتنا، وتغلب عليه وهو فيه شرع سواء، فأتى بنا إليه ونحن أكره الناس إليه واللج على أعناقنا، فبايعناه كرهاً، والذي نطلب أيها الناس الآن منه أن يدفع لورثة عثمان قاتليه فإنه قتل مظلوماً ، ويخلع هذا الأمر ويعتزله ليتشاور المسلمون فيمن يكون لهم أماماً كسنة عمر بن الخطاب في الشورى ، فإن استقام رأينا ورأي أهل الاسلام على رجل بايعناه"⁽²⁾.

ذكر الطبري" فلما توافقوا خرج عليّ على فرسه، فدعا الزبير فتوافقا، فقال عليّ للزبير: ما جاء بك ؟ قال: أنت!! ولا أراك لهذا الأمر أهلاً! ولا أولاً به منا! فقال عليّ : لست له أهلاً بعد عثمان ؟! قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ أبناك ابن السوء ففرق بيننا وبينك، وعظم عليه الأشياء، فذكر له أن النبي(ع) مرّ عليهما فقال لعليّ: ما يقول ابن عمك؟ وهو لك ظالم، فأنصرف عنه الزبير وقال: فأني لا أقاتلك، فرجع إلى ابنه عبد الله فقال: ما لي في هذه الحرب بصيرة! فقال له ابنه: أنك قد خرجت على بصيرة، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب ، وعرفت أن تحتها الموت فجبنت! فأحفظه حتى أرعد وغضب، قال :ويحك أني قد حلفت إلا أقاتله ! فقال ابنه: كفر عن يمينك بعثك غلامك [سرجس] فأعتقه وقام في الصف

⁽¹⁾. الشيخ المفيد، الجمل، ص304.

⁽²⁾. المصدر نفسه، ص306.

معهم! وكان عليّ قال للزبير: أطلب دم عثمان وأنت قتلتها! سلط الله على أشدنا اليوم ما يكره! وقال عليّ: يا طلحة جئت بعرس رسول الله

(ع) تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت، أما بايعتني، قال: وعلى عنقي اللج⁽¹⁾.

وعندما نتأمل أقوال الزبير عندما سأله عليّ (عليه السلام) "ما جاء بك؟ قال: أنت!! ولا أراك لها أهلاً! ولا أولى بها مني"⁽¹⁾.

أن هذا الاتهام يوحي الى الحالة العدائية التي أوصلت الجميع الى البصرة، فليس من المعقول أن يصل تفكير أصحاب رسول الله (ع) وزوج رسول الله (ع) الى المستوى الذي يتهم فيه الزبير ابن خاله بأنه هو الذي جاء به الى البصرة ، ، وكيف لم يكن علي بن ابي طالب (عليه السلام) غير مؤهلاً للخلافة، وهو الذي قال فيه رسول الله (ع) "أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا بني بعدي" ، وهو الذي زحف فيه مع أبنيه الحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام) يوم المباهلة، وهو الذي أعطاه الراية يوم خيبر وقال: سأعطي الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"، وهو الذي كساه رسول الله مع الحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام) وقال "هؤلاء أهل بيتي، فكيف أجاز الزبير لنفسه القول بحق عليّ (عليه السلام) هذا القول، وكيف سمحت عائشة لنفسها أن تقف هذا الموقف من عليّ (عليه السلام) وهي تعرف حب رسول الله (ع) له ، وطاعة عليّ (عليه السلام) للرسول (ع) والله، والزبير يريد أن يعيدها عمره، وهل نسي الزبير يوم سلموا أنفسهم الى عبد الرحمن بن عوف بعد أن أخرج نفسه منها "فجعل الزبير أمره الى علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وجعل طلحة أمره الى عثمان ، وجعل سعد أمره الى عبد الرحمن بن عوف"⁽²⁾.

كيف تحول ذلك العشق الروحي بين الزبير وعليّ (عليه السلام) الى بغض، ومن أجج الهواجس ، وعظم الاحداث ، حتى يتحول الحب الى بغض، لا بد وأن يكون لعبد الله بن الزبير الدور الاكبر في ذلك، كما أشار علي بن

⁽¹⁾. الطبري، تاريخ، 204/5.
⁽²⁾. ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 44/1.

أبي طالب (عليه السلام)، " الزبير منا آل البيت ، حتى كبر أبناك عبد الله فأفسدك".

فقد رأى سعد بن أبي وقاص أن عبد الرحمن بن عوف أولى منه بالخلافة فجعل أمره اليه، وقد مات عبد الرحمن في زمن عثمان، ورأى طلحة أن عثمان أولى منه بالخلافة فجعل أمره اليه، ثم ألب الناس عليه، " فاقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً ، وطلحه يحرض الفريقين جميعاً على عثمان، ثم أن طلحة قال لهم: أن عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل اليه الطعام والشراب فأمنعوه الماء أن يدخل عليه"(1).

ثم قتل عثمان، فقاد طلحة مع صاحبه الزبير جيشاً ضد الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ويقف الزبير ليقول لعلي (عليه السلام) " ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا" وقد أخرجنا نفسيهما من الشورى العمريه.

ولم يكن الزبير يوماً بعيداً عن علي (عليه السلام) " ويوم ذهب عمر بن الخطاب الى بيت فاطمة (عليها السلام) ومعه مجموعة، فخرج اليهم الزبير بسيفه، ! فوثب اليه سلمه بن أسلم ، فاخذ السيف من يده وضرب به الجدار"(2).

أين ذلك الموقف المشرف الذي وقفه الزبير بعد السقيفة من موقف اليوم، وهاهو يقول لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) " ولا أراك لهذا الامر أهلاً ولا أولى به منا"، كما يشهد النبي " من نافذة الغيب" بأنه ظالماً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

لقد حاول الزبير أن يوقف ظلمه الى علي (عليه السلام) ، بعد أن تأكد له عياناً ظلمة لعلي (عليه السلام)، بعد أن ذكره بقول الرسول (ع)، لكن أبناه عبد الله حال بينه وبين ذلك وعيره بالجبن والخوف من رايات علي بن أبي طالب (عليه السلام) التي تحمل الموت ، فقال الزبير: ويحك! أني قد حلفت له إلا أقاتله ! فقال له أبناه: كَفَّر عن يمينك بعق غلامك سرجس فأعتقه وقام في الصف معهم.

⁽¹⁾. ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 57/1.
⁽²⁾. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 11/6.

ولقد جرى بين الزبير وابنه عبد الله حواراً حين قال عبد الله لابيّه: " لقد رجعت الينا بغير الوجه الذي فارقتنا به! فقال: أذكرني عليّ حديثاً أنسانية الدهر فلا أحاربه أبداً ! وأني لراجع وترككم منذ اليوم، فقال له عبد الله: ما أراك الا جنت عن سيوف بني عبد المطلب، أنها لسيوف حداد ، تحملها فتيه أنجاد، فقال الزبير: ويلك! أتهجيني على حربيه! أما أني قد حلفت ألا أحاربه ، قال: كفّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جنت ، وما كنت جباناً ، فقال الزبير: غلامي مكحول حر كفارة عن يميني! ثم أنصل رمحه، وحمل على عسكر عليّ برمح لا سنان له، فقال عليّ: أفرجوا عنه ، فإنه محرج ، ثم عاد الى أصحابه ، ثم حمل ثانية ، ثم ثالثة، ثم قال لابنه: أجبناً ويلك ترى! فقال: لقد أعذرت (1).

كيف يرجع وهو من ألب الناس على حرب علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، واتهمه بأن شارك في قتل عثمان، وأن الخلافة ليس أهلاً لها، لكن ولده عبد الله كان نده في العودة والتوبة.

ويذكر المسعودي الحوار بين علي(عليه السلام) والزبير حين قال له: " أما تذكر يوم لقيت رسول الله(ﷺ) في بني بياضة، وهو راكب حماره، فضحك أليّ رسول الله (ﷺ) وضحكت اليه، وأنت معه ، فقلت أنت: يا رسول الله(ﷺ) ما يدع علياً زهوه، فقال لك: ليس به زهو ، أتعبه يا زبير؟ فقلت: أني والله لأحبه، فقال لك: أنك والله ستقاتله وأنت له ظالم، فقال الزبير: أستغفر الله ، والله لو ذكرتها، ما خرجت، فقال له: يا زبير أرجع، فقال: وكيف أرجع الان وقد التقت حلقتا البطان؟ هذا والله العار الذي لا يغسل ! فقال: يا زبير أرجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار! فرجع الزبير. (2).

وعلي(عليه السلام) عندما يقول للزبير أرجع أرجع ، فقال: وكيف أرجع الان وقد التقت حلقتا البطان؟! هذا والله العار الذي لا يغسل!! فقال: يا زبير أرجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار!!.

(1). المصدر نفسه، 234/1.
(2). المسعودي، مروج الذهب، 363/2.

والرجوع الآن أفضل من النار، لكن الزبير زاد عناده " وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان؟! فقد أعتبر الرجوع عاراً، والبقاء في جيش المعارضين مروء، ونكت يمينه وعنق غلامه عدلاً وأنصافاً، وحملته على جيش علي(عليه السلام) برمحه عدة مرات شجاعة وأقدام، وتجاهله قول النبي(ع) " أنك والله ستقاتله وأنت ظالم له" تصديقاً وتسليماً بالنبوة وأداء لأجر الرسالة في مودة ذوي القربى ، لكن هل رجع حقاً؟ أن الزبير لم يرجع ، بل ظل يكابر في جيشه، وأمام ابنه عبد الله الذي أراد أن يفرغ كل حقه بصولة أبيه في الميدان حتى ولو أدى ذلك الى مصرعه، وحمل جولات عدة ، لكنه في النهاية فر من المعركة بعد أن لاحت هزيمة أتباعه.

والزبير يعلم المعصية لقول رسول الله (ع) الذي يوحى له، فإن الرسول الكريم (ع) لا يقول عن هوى، وقتل المسلم الذي قال " لا إله إلا الله" يعد باطلاً ، وملزم له برد الحقوق اليه والتكفير عن ذنب يقتضيه الآخر، بقوله تعالى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا }⁽¹⁾.

أن الجيش الذي خرج مع علي بن أبي طالب(عليه السلام) من المدينة بعد اربعة اشهر من توليه الخلافة، كان سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار، ومنهم سبعون بدرياً وباقيهم من الصحابة⁽²⁾.

وذكر أن عدد الذين خرجوا مع علي بن ابي طالب(عليه السلام) سبعمائة صحابي ، منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار ، ومنهم سبعون صحابياً من الصحابة الاوائل الذين أشرطوا في غزوة بدر،⁽³⁾.

وذكر أن علياً(عليه السلام) تردد في المدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية... فلما أتاه ذلك شخص من المدينة في تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق⁽⁴⁾.

⁽¹⁾. سورة النساء، الآية 93.

⁽²⁾. المسعودي، مروج الذهب، 358/2.

⁽³⁾. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص 72.

⁽⁴⁾. ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 74/1.

فلاجماع يقول أن جيش علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يضم من المهاجرين والانصار الكثير، لكن طلحة يقول " وقد أجمع معه منافقون مضر ونصارى ربيعة " فأى أتهم هذا لجيش علي (عليه السلام).

أن الذين خرجوا مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) هم وجوه القوم من الصحابة ومن أهل السبق، فكيف يحق لطلحة أتهم ذلك الجيش بالمنافقين ونصارى ربيعة، أن الجرم الكلامي كان أشد وقعاً على المقاتلين من كلا الجيشين ، ومادام المتحاربون هم من أهل السابقه ، فحري بالجميع الصدق بالقول ، وهي صفة ارادها الله ، ولا تليق بصحابي مبشر بالجنة.

لما إلتقى علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع الزبير ، وذكره بكلام الرسول الكريم (ع)، فإن الزبير أعطى عهداً أن لا يقاتل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وكان كلام الزبير ذو وقع سيء على اذني ابنه عبد الله، وكانت جولاته برمحه بين جيش علي (عليه السلام)، وأنقسم أهل البصرة فرق عدة ، فرقة مع طلحة والزبير ، وفرقة مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وفرقه لا ترى القتال مع الطرفين ، وكان أبرز دعائها الاحنف بن قيس ، وعمران بن الحصين.

وخرج طلحة والزبير فنزلا في الزابوقة⁽¹⁾، ونزل علي ابن أبي طالب (عليه السلام) بحيالهم ، ونزلت القبائل الى قبائلهم، مضر الى مضر، وربيعه الى ربيعة، واليمن الى اليمن، وهم لا يشكون بالصلح " فلما نزل الناس خرج طلحة والزبير وخرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى توافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ بالانقشاع، وأنه لا يدرك ، فأفترقوا من موقفهم على ذلك، ورجع علي (عليه السلام) الى عسكره، وطلحة والزبير الى معسكرهما⁽²⁾.

أن تتابع الاحداث وما فيها من مداخلات أستجدت من خلال اللقاءات التي تمت بين علي (عليه السلام) والزبير وطلحه قد أነعت عن تفاهم في إنهاء هذا الصراع المرير الذي سيقسم الاسلام الى ولايات عده، وعليه فإن

⁽¹⁾ موضع قرب البصرة، كانت فيه وقعة الجمل وهي مدينة المسامعة بنت ربيعة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/463.

الصلح هو الباب الامثل للخروج من هذه المحنة التي ساقطتها الاقدار لهذه الامة ، وجعل القرآن والسنة النبوية هي الفصل بين الاطراف المتحاربة ، وكان تردد الزبير في القتال ، هو مفتاح الامان في الولوج بطريق الصلح الى نهايته ، وافراغ فكرة القتال من محتواها في الوصول الى توافق بسفك الدم بين المسلمين.

وفي هذه الليلة التي توافقوا فيها على الصلح، أرسل علي بن أبي طالب (عليه السلام) عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير ، وارسلاهما محمد بن طلحة الى علي (عليه السلام)، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه ، فقالوا : نعم ، فلما أمسوا ، وذلك في جمادي الاخرة، أرسل طلحة والزبير الى رؤساء أصحابهما، وارسل علي (عليه السلام) الى رؤساء أصحابه، ما خلا أولئك الذين هضموا على عثمان ، فباتوا على الصلح وباتوا بلبلة لم يبيتوا بمثلها للعافية⁽¹⁾.

أن الجيشين مترقبان للقتال ، وقد جهزوا أنفسهم لذلك ، لكن الاتفاق الذي بدأ به القعقاع ، ثم لقاء علي (عليه السلام) بالزبير ، ثم لقاء علي (عليه السلام) بطلحة والزبير ، قد مهد الامر الى نبذ القتال ، ونام الناس في عافيه على أمل أن تنتهي هذه السحابة التي غطت سماء البصرة.

وكان علي (عليه السلام) قد رحل بالناس الى القوم غداة الخميس لعشرة مضين من جمادى الاول، وعلى ميمنته الاشر، وعلى ميسرته عمار بن ياسر ، واعطى الراية لمحمد بن الحنفية ابنه، وقال للناس: لا تعجلوا حتى أعذر الى القوم ، ودعا عبد الله بن عباس وقال له: أمض الى طلحة والزبير — وعائشتهما — وقل لطلحه والزبير: ألم تبايعاني مختارين

فما الذي دعاكما الى نكث بيعتي؟! وكتاب الله بيني وبينكم.

فبدأ ابن عباس بالزبير ، وكان ابن عباس يقول: الزبير عندي أبقاهما علينا، وكلمته في الرجوع، وقال له: أن أمير المؤمنين يقول لك: ألم تبايعني طائعا؟! فلم تستحل قتالي؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك، فأن شئت تحاكمنا اليه، فقال: أرجع الى صاحبك ، فأنا بايعنا كارهين وما لي حاجة

⁽¹⁾. الطبري، تاريخ، 4/344.

في محاكمته! فانصرف عنه الى طلحة والناس يشتدون والمصحف في يدي، فوجدته قد لبس الدرع وهو محتمل بحمائل سيفه ودابته واقفه، فقلت له: أن أمير المؤمنين يقول لك: ما حملك على الخروج؟! وبما أستحللت نقض بيعتي؟! والعهد عليك! فقال: خرجت أطلب بدم عثمان، أظن ابن عمك أنه قد حوى على الامر حين حوى على الكوفة، وقد والله كتبت الى المدينة تؤخذ لي البيعة في مكة! فقلت له: أتق الله يا طلحة! فإنه ليس لك أن تطلب بدم عثمان، وولده أولى بدمه منك، هذا إبان بن عثمان ما ينهض في طلب دم أبيه، قال طلحة: نحن أقوى على ذلك منه، قتله ابن عمك! وابتر أمرنا!! فقلت له: اذكرك الله في المسلمين وفي دمائهم، وهذا المصحف بيننا وبينكم، والله ما أنصفتكم رسول الله(ع)، أذ حبستم نساءكم في بيوتكم واخرجتم حبيسة رسول الله، فاعرض عني ونادى بأصحابه: ناجزوا القوم فانكم لا تقومون بحجاج ابن أبي طالب، فقلت: يا أبا محمد أبالسيف تخوف ابن أبي طالب؟! أم والله ليعاجلنك بالسيف! فقال: ذلك بيننا وبينكم⁽¹⁾.

ثم أنصرف ابن عباس الى عائشة وهي في هودج مدفف على جملها عسكر، وكعب بن سور القاضي أخذ بخطامه وحولها الازد وضبة، فلما رأنتني قالت: ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟! والله ما سمعت منك شيئاً!! أرجع الى صاحبك فقل له: ما بيننا وبينك إلا السيف!! وصاح من حولها: أرجع يا ابن عباس لا يسفك دمك⁽²⁾.

لو تأملنا رد الزبير " أرجع الى صاحبك، فأنا بايعنا كارهين وما لي حاجة في محاكمته" فالزبير هنا يؤكد ان شرعية علي بن أبي طالب(عليه السلام) في تولى الخلافة ناقصة، وغير مكتملة، لان دليل قوله لابن عباس " أرجع الى صاحبك" تؤكد يقينه من كلامه، وهو تأكيد لكلامه " أنه بايع مكرهاً" كما رفض الحوار مع علي بن أبي طالب(عليه السلام)، في الوقت الذي جعل علي القرآن حكماً بين الطرفين.

⁽¹⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص335.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص336-338.

أما طلحة فأن الأمر معه وصل الى القطيعة التي لا رجعة فيها، فقد لبس درعه ، وأستعد للقتال ، فهو أكثر عدائية لعلي(عليه السلام) في هذا الموقف ، وأكثر حباً للقتال، فقوله حين سأله ابن عباس عن الذي حملك على الخروج؟ ونقض البيعة ؟ والعهد عليك، قال: خرجت أطلب بدم عثمان !! أيظن ابن عمك أنه قد حوى على الكوفة؟! وقد والله كتبت الى المدينة تؤخذ لي البيعة بمكة!!.

أن طلب طلحة في دم عثمان، يؤكد حالة التناقض الروحي عند طلحة، فهو لم يمت بصلة الى عثمان ، وأولاد عثمان موجودون بينهم، ولو كان صادقاً في الطلب بدم عثمان، لاتخذ من الطريق الشرعي والقانوني في أخذ الحق من قتلة عثمان ، وعدم الخروج بالناس الى قتال الخليفة، وهل نسي طلحة مواقفه مع عثمان، وتحريض الناس عليه ، بل أن أول من رمى سهم على دار عثمان هو طلحة وأمام الناس وعلى مسمع منهم، بل أن بعض بني أمية أرادوا إخراج عثمان من بيته سراً والسير به الى مكة، وعندما عرف

طلحة بذلك ، حرض الناس على من يريد إخراجهم ، وأفضل خروجه الى مكة، وهل نسي طلحة ترك عثمان بلا دفن ، حتى أذن علي(عليه السلام) للناس بعدما أعلموه بدفنه في بستان خارج البقيع، ويقول لابن عباس: وقد والله كتبت الى المدينة أن تؤخذ لي البيعة بمكة" وهل نسي طلحة وهو من العشرة المبشرة بالجنة، أن نقض البيعة هي الميتة الجاهلية⁽¹⁾، وما اسوأ من أن يموت المسلم ميتة جاهلية، فكيف إذا كان ذلك طلحة.

ولما ذهب ابن عباس الى عائشة " قالت له: من الذي جاء بك يا ابن عباس؟! والله لاسمعت منك شيئاً! أرجع الى صاحبك فقل له: ما بيننا وبينك إلا السيف! وصاح من حولها: ارجع يا ابن عباس لا يسفك دمك" وقد دلت عائشة على قرارها النهائي بالحوار بينها وبين علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، فلم يجد الحوار له أدناً صاغية، لأن قبول الحوار يأتي من القبول الروحي والنفسي لمجمل القضية، وما دامت هذه القضية فيها من المحاور المتشعبة التي يداخلها سوء النية والقصد والضعينة وتراكمات الماضي ،

⁽¹⁾.الفتن، صحيح مسلم، 4/124.

فأن حلها لم يات بالسهولة التي يريدّها علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، فالاحتكام أصبح للسيف في هذه المرحلة،والدم المسفوك هو المعيار للنصر ، فأني نصر يكون بقتل المسلمين بعضهم لبعض ، أن من يتحمل ذلك من دفع الناس الى هذه الدرجة من الكراهية وعدم قبول الرأي الآخر، بل عدم قبول الآخر مجملًا.

لما رأى علي بن ابي طالب(عليه السلام) أن لا رجعة للمناهضين له قام في الناس خطيباً فقال:عباد الله، أنهدوا الى هؤلاء القوم منشرحه صدوركم ، فانهم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي، ونكلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بع

بعد أن آلموه بالضرب المبرح والعقوبة الشديدة ، وهو شيخ من وجوه الانصار والفضلاء ولم يرع له حرمة ، وقتلوا السبباجة رجالاً صالحين وقتلوا حكيم بن جبلة⁽¹⁾ ظلماً وعدواناً لغضبه الله ، ثم تتبعوا شيعتي بعد أن هربوا منهم وأخذوهم في كل غائطة، وتحت كل رابية، يضربون أعناقهم صبراً!!! ما لهم {قاتلهم الله أئسي يؤفكون}⁽²⁾، فأنهدوا اليهم عباد الله وكونوا أسوداً عليهم ، فأنهم أشرار ومساعوهم على الباطل ، فآلقوهم صابرين محتسبين موطنين أنفسكم ، أنكم منازلون ومقاتلون قد وطئتم أنفسكم على الضرب والطعن ومنازلة الاقران، فأني أمريء أحس من نفسه رباطة جأش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلاً ووهناً فليذب عنه كما يدب عن نفسه ، فلو شاء لجعله مثله⁽³⁾.

وفي قول علي(عليه السلام) هذا تفصيل لكل مجريات الاحداث التي رافقت حملته الحوارية مع عائشة وطلحة والزبير، والتي باءت بالفشل من كل الوجوه التي قابلها وأستمع اليها ، رغم وجود بوادر روح السلم بين الجيشين، لكن ركوب العناد من طلحة والزبير أوصل الامر الى ما هي عليه الآن ، انها الحرب، والدم المسفوك ، والايام الذين سيقتل آباءهم،والارامل الفاقات أزواجهن، والغيض بعض لبعض بسبب الدم المسفوك فوق ثرى البصرة.

⁽¹⁾حكيم بن جبلة بن معن بن عبد القيس، هاجر الى البصرة في خلافة عمر، أحد الثائرين على عثمان، قتل في موقعة الجمل. أنظر: الزركلي، الاعلام، 2/269.

⁽²⁾سورة المنافقون، الآية 4.

⁽³⁾الشيخ المفيد، الجمل، ص 334.

رجع ابن عباس الى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فاخبره الخبر ، وقال له: ماذا تنتظر؟ والله ما يعطيك القوم ألا السيف، فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك فقال: نستظهر الله عليهم، قال ابن عباس: فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع عليّ بسهامهم كأنه جراد منتشر، فقلت : اما ترى يا أمير المؤمنين الى ما يصنع القوم؟ مرنا ندفعهم ، فقال: حتى أعذر ثانية، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم اليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة؟ فلم يقم أحد إلا غلام عليه قباء ابيض حدث السن من عبد القيس يقال له مسلم، كاني أراه، فقال: أنا أعرضه عليهم يا امير المؤمنين وقد احتسبت نفسي عند الله تعالى، فأعرض عنه أشفاقاً عليه، ونادى ثانية: من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم ، وليعلم انه مقتول وله الجنة؟ فقام مسلم بعينه وقال: أنا أعرضه ، فأعرض، ونادى الثالثة فلم يقم غير الفتى ، فدفع اليه المصحف وقال: أمض اليهم وأعرضه عليهم وأدعهم الى ما فيه.

فاقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف وقال: هذا كتاب الله عز وجل ، وأمير المؤمنين يدعوكم الى ما فيه، فقالت عائشة: أشجروه بالرماح قبحه الله! فتبادروا اليه بالرماح فطعنوه من كل جانب ، وكانت أمه حاضره فصاحت وطرحت نفسها عليه وجرت من موضعه، ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين أعانوها على حمله حتى طرحوه بين يدي امير المؤمنين واهمه تبكي⁽¹⁾.

لم يدع ابن عباس يصل الى علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى رموه بالسهام التي أصابت عدد من جيش علي (عليه السلام).

" لما تراحم الناس يوم الجمل والتقوا، قال علي (عليه السلام) لأصحابه: لا يرمين رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح ، حتى أحدث اليكم، وحتى يبدؤوكم بالقتال وبالقتل، فرمي أصحاب الجمل عسكر علي (عليه السلام) بالنبل رمياً شديداً متتابعاً، فضج اليه أصحابه ، وقالوا: عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين، وجيء برجل اليه، وأنه لفي فسطاط له صغير، فقيل له: هذا فلان قد قتل، فقال: اللهم أشهد، ثم قال: أعذروا الى القوم

⁽¹⁾.المسعودي،مروج الذهب،361/2.

فأتى برجل آخر فقيل: وهذا قد قتل، فقال: اللهم أشهد ، أعذروا الى القوم، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء⁽¹⁾ يحمل أخاه ، وقد أصابه سهم فقتله، فوضعه بين يدي عليّ(عليه السلام) ، وقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخي قد قتل ، فعند ذلك أسترجع عليّ(عليه السلام)⁽²⁾.

فقد قدم عليّ(عليه السلام) عدد من القرابين قبل أن يرد على اعتداءات جيش طلحة والزبير، وما تريد عليّ(عليه السلام)، " اللهم أشهد ، أعذروا الى القوم " هي كلمات حالم بالامل الى السلام، وكان دليل السلام الاكبر القرآن الكريم الذي رفعه الفتى وذهب به الى القوم، فلم يجد غير الرماح قد أهدت به وأردته قتيلاً.

" لما رأى عليّ(عليه السلام) ما أقدم عليه القوم من العناد وأستحلوه من سفك الدم الحرام، رفع يديه الى السماء وقال: اللهم اليك شخصت الابصار وبسطت الايدي وافضت القلوب وتقربت اليك بالاعمال " ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين " ثم دعا ابنه محمد بن الحنفية ، فأعطاه الراية، وهي راية رسول الله (ع) وقال: يا بني! هذه راية لم ترد قط ولا ترد أبداً، قال محمد بن الحنفية: فأخذتها والريح تهب عليها، فلما تمكنت من حملها صارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل، فاردت أن أمشي بها فقال امير المؤمنين : قف يا بني حتى أمرك، ثم نادى : أيها الناس ! لا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة، ولا تهيجوا أمراه ، ولا تمثلوا بجريح⁽³⁾.

لم يصدر علي بن أبي طالب أمر(عليه السلام) بقتال أحد ،الا بعد أن استنفذ كل السبل التي توصل الجميع الى السلام، فأصدر أوامره التي هي أساساً وصايا رسول الله(ع) في غزواته ومعاركه، وهي دليل الالتزام الفكري بالقرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة، كذلك امرهم أن لا يقاتلوا حتى

⁽¹⁾ .عبدالله بن بديل، أسلم يوم مكة، أشترك في معركة الجمل وصفين، قتل في عام 37 هـ في معركة صفين. أنظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 45.

⁽²⁾ .أبو مخنف، نصوص، 136/1.

⁽³⁾ .المسعودي، مروج الذهب، 362/2.

يبدؤوا ، وأن لا يجهزوا على جريح ولا يمثّلوا ولا يدخلوا داراً بغير إذن ولا يشتموا أحد ولا يهيجوا أمراه ولا يأخذوا ألا في عسكرهم (1).

ولم يمهل جيش طلحة والزبير علياً (عليه السلام) وجيشه ، فقد بدأوا الزحف على جيش علي (عليه السلام) ، فلم يكن من علي (عليه السلام) إلا أن أمر ابنه محمد بن الحنفية بتقديم اللواء فألتحم الجيشان ، وقال محمد بن الحنفية " قال لي أبي حين زحف القوم نحونا: قدم اللواء، فقدمته، وزحف المهاجرون والانصار ، فلما رأي القوم قد زحفت باللواء بارزاً عن أصحابي رشقوني رشقة رجل واحد فوقفت مكاني أتقيت منهم، وقلت: ينقضي رشقهم في مرة أو مرتين ، ثم أقدم، فلم اشعر إلا امير المؤمنين قد ضرب بين كتفي بيده، ثم اخذ اللواء مني بيده ونادى: يا منصور أمت! فوالله ما سمعت القوم حتى رأيتهم وقد زلزلت اقدامهم وأرتعدت فرائضهم ، والقى بعضهم ببعض وتزايلا وقد رأت عائشة موضع كل فريق منهم (2).

فقول محمد بن الحنفية " قال لي أبي حين زحف القوم نحونا: قدم اللواء فقدمته، وزحف المهاجرون والانصار " دليل على أن جيش طلحة والزبير هو الذي بدأ الزحف على جيش علي (عليه السلام)، لبدء القتال بين الطرفين ، ويتضع جيش طلحة والزبير، فيطلبون المبارزة ، وتبدأ الشجاعة المثلى تأخذ مداها، فيخرج عبد الله بن خلف شيخ البصرة ، وأكثر أهلها مالاً وضياًعاً فطلب البراز، وسأل أن لا يخرج اليه إلا علي (عليه السلام)، وهو يرتجز شعراً، فخرجاله علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ولم يمهل أن ضربه علي فقتله (3).

فما هو مصير من قتل بسيف علي (عليه السلام) ، لأظن أن الجنة مثواه، وعلي (عليه السلام) يقول " والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي الي: أن لا يحبني ألا مؤمن ولا يبغضني الا منافق " (4)، وعن أم سلمة " سمعت رسول الله يقول لعلي (عليه السلام) " لا يبغضك مؤمن ولا

(1). البلاذري، أنساب الاشراف، 240/2.

(2). ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 257/1.

(3). الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي، المناقب، تحقيق مالك المحمودي، ط2، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، 1395 هـ، ص188.

(4). القشيري، صحيح مسلم، 120/1.

يحبك منافق"⁽¹⁾، فيا ترى ما هو المصير المحتوم لعبد الله بن خلف الخزاعي، فحين طلب البراز قال له علي بن أبي طالب (عليه السلام) "ولكن ويحك يا ابن خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال عبد الله بن خلف: ذرني من بذحك يا ابن أبي طالب وأدن مني لترى أينما يقتل صاحبه"⁽²⁾، ويخرج آخر ، ويذهب الى مثواه قلقاً من المصير المحتوم، بل ويصف آخر " أن بغض علي (عليه السلام) شريعة من السنن " فقد أوصل المعارضين للناس أن بغض علي بن أبي طالب (عليه السلام) شريعة وهي من سنن الدين.

ولا غيظ في ذلك لأن السوء يجلب السوء، فقد كتبت أم سلمة بنت أبي أمية الى علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند خروج طلحة والزبير من مكة " لعبد الله علي أمير المؤمنين ، من أم سلمه بنت أبي أمية، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فأن طلحة والزبير وعائشة وبنيتها بني السوء وشيعة الضلال خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر الى البصرة"⁽³⁾.

وخرج شيخ وقور، صبيح الوجه، يحرض الناس على قتال علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهومن قبيلة الأزدي ، داعياً الناس الى القتال بجانب عائشة ، وقد اعتبر هذا الشيخ علي بن أبي طالب (عليه السلام) عدوه وعدو قبيلته، ناسياً حديث رواه زيد بن أرقم عن الرسول (ع) " لما رجع رسول الله (ع) من حجة الوداع ونزل غدير خم ، قال: كأي قد دعيت فاجبت، اني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي ، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، ثم اخذ بيد علي (عليه السلام) ، فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"⁽⁴⁾.

لما أتفق الطرفان على الصلح، قرر الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها، أن ينشبوا القتال عندما يجتمع الناس، وأستسروا بذلك خشية أن يفتن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس ، وما يشعر بهم جيرانهم ،

⁽¹⁾ ابن عساکر، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، 208/2.

⁽²⁾ الاربلي ابوالحسن علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الاثمه، تحقيق هاشم الرسولي، قم، المطبعة العلمية، 1411هـ، 242/1.

⁽³⁾ ابن أعم الكوفي، كتاب الفتوح، 455/2.

⁽⁴⁾ ابن عساکر، ترجمة تاريخ الامام علي من تاريخ دمشق، 82/2.

أنسلوا الى ذلك أنسلالا، وعليهم ظلمه ، فخرج مضريهم الى مضريهم ، وربيعهم الى ربيعهم، ويمانيهم الى يمانيهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم ⁽¹⁾.

ان تصور الأمر بهذا الشكل فيه من الواقعية التي يقبلها العقل، فالذين شاركوا في قتل عثمان سيكونون في مهب الريح يوم تستقر الامور ويبدأ أخذ الجزاء.

خرج طلحة والزبير على تلك الضجة، فقالا: ما هذا؟ قالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء، وقصف أهل البصرة أولئك، حتى ردهم الى عسكرهم، فسمع علي (عليه السلام) وأهل الكوفة الصوت ، وقال علي (عليه السلام) لصاحب ميمنته : أنت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: أنت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء، ويستحلا الحرمة، ونادى علي في الناس: كفوا فلا شيء، فكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة الا يقتتلوا ، ويطلبون بذلك الحجة ويستحقون على الآخرين، ولا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح ⁽²⁾.

وعلت ضجة الناس، وجاء كعب بن سور الى عائشة وقال لها: أدركي فقد أبى القوم إلا القتال، فركبت الجمل وألبسوا هودجها الادراع، وبرزت من البيوت وهي تسمع الغوغاء ، فأقتتل الناس، وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه ويقول : أنقتلني يا أبا اليقظان؟ فيقول: لا يا أبا عبد الله ، وإنما كف الزبير عنه لقول رسول الله (ع) " تقتل عمار الفئه الباغية" ولولا ذلك لقتله، وبينما عائشة واقفة أذ سمعت ضجة ، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضجة العسكر، قالت: بخير أو بشر؟ قالوا : بشر ، فما فجأها إلا الهزيمة ، فمضى الزبير من وجهه الى وادي السباع، وأما فارق المعركة أنه قاتل تعذيراً لما ذكر له علي (عليه السلام) ⁽³⁾.

⁽¹⁾ الطبري، تاريخ، 4/345.

⁽²⁾ الطبري، تاريخ، 4/345.

⁽³⁾ ابن الاثير، الكامل، 3/337.

ركبت عائشة الجمل ، فهي عازمة على القتال مع طلحة والزبير ، وأخذ بخطام جملها كعب بن سور،الذي امتنع من المشاركة في هذه المعركة ، لكن عائشة ركبت له واقنعتة بالانضمام الى جيش طلحة والزبير⁽¹⁾.

وكان كل من يأخذ بخطام الجمل يقتل حتى أخذ به عبد الله بن الزبير، فقالت عائشة: من أنت؟ قال: ابن أختك، قالت: واثكل أسماء! أقسمت عليك ما تنحيت! ففعل وأخذه بعض بنو ضبه فقتل⁽²⁾، وأخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش ، قتلوا كلهم، وجاءت بنو الناجية فأخذوا الخطام، وعندما عرفت عائشة بنو الناجية، قالت: صبراً بنو الناجية، فأني أعرف فيكم شمائل قريش، وكان بني الناجية مطعون في نسبهم، فقتلوا حولها جميعاً ، وكان عددهم أربعمئة رجل⁽³⁾. وكانوا قد اعتزلوا علياً (عليه السلام) عندما بايع أهل البصرة له، وبني الناجية امرأة سامة بن نوح .

لماذا تمالك الخوف عائشه عندما أخذ بخطام جملها عبد الله بن الزبير، فشبهت " واثكل أسماء" اليس الذين يقاتلون أقرب من عبد الله بن الزبير، ومن هو أقرب للنسب، الأم او الخاله.

وقاتلت قبائل الازد وبني ضبه حول الجمل قتالاً شرساً ، وقتل من الازد أربعة آلاف رجل، ومن بني ضبة ألف رجل⁽⁴⁾، وكان عمرو بن يثربي الضبي فارساً شجاعاً ، أخذ بخطام الجمل ، وقتل الكثير من أصحاب علي (عليه السلام)، وبرز اليه زيد بن صوحان بعد أن أستأذن من علي فقتله الضبي⁽⁵⁾.

وكان الضبي من أشد الناس على علي (عليه السلام) وقال له " أما والله لو وصلت اليك لعضضت أنفك عضه ابنته منك ، " أما والله ولو وصلت اليك لقطعت أذنك - أو قال :أنفك⁽⁶⁾، ثم يترك الخطام ابن يثربي الضبي، ويطلب المبارزه، فيخرج له عمار بن ياسر، فأختلفا بضربتين، فنشب سيف ابن

⁽¹⁾العسكري،أحاديث أم المرمين عائشة،168/1

⁽²⁾البلاذري،أنساب الاشراف،243/2.

⁽³⁾ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،265/1.

⁽⁴⁾ابن أعثم الكوفي،كتاب الفتوح،ج2ص487؛ابن هلال،أبواسحاق محمد بن سعيد،الغارات،تحقيق عبدالزهره الحسيني

الخطيب،بيروت،مطبعة دار الاضواء،1407هـ،ص219.

⁽⁵⁾أبومخنف،نصوص، 138/1.

⁽⁶⁾ابن أعثم الكوفي،كتاب الفتوح،477/2.

يثربي في جحفة عمار، فضربه عمار على رأسه فصرعه، ثم أخذ برجله يسحبه حتى أنهى إلى علي (عليه السلام)، فقال ابن يثرب: أستبقتني أجاهد بين يديك، وأقتل منهم مثل ما قتلت منكم، فقال علي (عليه السلام): أبعد زيد وهند وعلباء أستبقيك؟! لاها الله إذا!! قال: فأدني منك أسارك! فالله: أنت متمرّد، وقد أخبرني رسول الله (ع) بالمتمردين!! وذكرك منهم! فقال: أما والله لو وصلت إليك لعضضت أنفك عضة أبنته منك!! وخرج رجل من بني عدي، فقتل الكثير من جيش علي (عليه السلام)، فخرج إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) متكرراً فقتله⁽¹⁾. وكان أول من رمى من جيش طلحة والزبير جيش علي (عليه السلام) فقتل رجلاً⁽²⁾. ومن هذه الرواية نستنتج، ضعف الايمان بما يقاتل به جيش طلحة والزبير، والحد الذي يحملونه على علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وأما طلحة، فقد قاتل قتالا جهادياً، فاتاه سهم غرب، فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس، وهو ينادي: اليّ اليّ! الصبر الصبر! فقال له القعقاع: يا أبا محمد أنك لجريح وأنك عما تريد لعليل، فأدخل البيوت، فدخل ودمه يسيل وهو يقول: اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى، فلما أمتلأ خفه دماً وثقل قال لغلامه: أودفني وأمسكني وأبلغني مكاناً انزل فيه، فدخل البصرة، فأنزله بدار خربة فمات فيها، وقيل أنه أجتازه رجل من أصحاب علي (عليه السلام) فقال له: أنت من أصحاب أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: أمدد يدك بأبيك له، فبايعه، فخاف أن يموت وليس في عنقه بيعه، ولما قضي دفن في بني سعد، وقال: لم أرَ شيخاً اضيع دماً مني، وكان من رمى طلحة بالسهم مروان بن الحكم⁽³⁾، وروى "كان مروان بن الحكم يقول: أنا قتلت طلحة!⁽⁴⁾، وقال عبد الملك بن مروان: لولا أن أبي أخبرني أنه رمى طلحة فقتله، ما تركت تيمياً إلا قتلته بعثمان؟! قال: يعني أن محمد بن أبي بكر وطلحه قتل عثمان⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، بيروت، مطبعة دار الاضواء، 1985، 3/156.

⁽²⁾ سلامه، بولس، التاريخ الاسلامي من الجاهلية الى آخر دولة بني أمية، بيروت، مطبعة داركميل، 1980، ص 171.

⁽³⁾ ابن الاثير، الكامل، 3/338.

⁽⁴⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9/114.

⁽⁵⁾ أبو مخنف، نصوص، 1/148.

فقتل عثمان أصبح ثأراً لبني أمية وآل مروان ، فأين الاسلام من هذا وذاك، انها العصبية التي لا زالت تمخر في الصدور.

أما الزبير، فترك المعركة بعد رأى الهزيمة بين أصحابه، " قال أبو مخنف: مضى الزبير حين هزمت الناس، يريد المدينة حتى مرّ بالاحنف او قريباً منه، فقال الاحنف رافعاً صوته: ما أصنع أن كان الزبير لف بين غارين من المسلمين ثم يريد اللحاق بقومه ⁽¹⁾، فتبعه عمير بن جرموز فقتله بوادي السباع ⁽²⁾، ويأتي الى عليّ (عليه السلام) بسيف ودرع الزبير، فيبشره عليّ (عليه السلام) بقول النبي " قاتل ابن صفية بالنار، ويقتل ابن جرموز يوم النهر وهو يقاتل عليّ (عليه السلام) ⁽³⁾ .

أما عائشة فكانت على الجمل، ولقد كانت الرؤوس تنذر عن الكواحل، والايدي تطيح من المعاصم وأقتاب البطن تتدلق من الاجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلل ولا تتزلزل، حتى لقد صرخ عليّ (عليه السلام) بأعلى صوته: ويلكم أعقروا الجمل فانه شيطان!! ثم قال: اعقروه وإلا فنيت العرب، لايزال السيف قائماً وراكعاً حتى هوى البعير الى الارض ، فصمدوا له حتى عقروه فسقط وله رغاء شديد ، فلما برك كانت الهزيمة ⁽⁴⁾ .

وكان الجمل هو السارية لجيش طلحة والزبير، وعلى الرغم من ان الزبير ترك المعركة، وطلحة قتل ، إلا أن أمر المعركة تولاه مروان وقبائل البصرة المتحالفة مع طلحة والزبير، وكان رمز المعركة وأستمرارها وأنتهائها هو بقاء الجمل واقفاً وهو يحمل عائشة.

وروى البعض " ذكروا يوم الجمل، فقال: كأني أنظر الى خدر عائشة كأنه قنفذ مما رمي فيه من نبل" ⁽⁵⁾ .

كان عدد القتلى حول الجمل عشرة آلاف ، نصفهم من أصحاب عليّ (عليه السلام)، ونصفهم من أصحاب عائشة، من الازد ألفان، ومن سائر اليمن

⁽¹⁾ البلاذري، انساب الاشراف، 254/2.

⁽²⁾ ابن طباطبا، الفخري في الاداب السلطانية والدولة الاسلامية، بيروت، دار بيروت للطباعة، 1961، ص87.

⁽³⁾ الشلبنجي، نور الابصار في مناقب البيت المختار، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، ص101.

⁽⁴⁾ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 253/11.

⁽⁵⁾ الطبري، تاريخ، 336/3.

خمسمائة، ومن مضر الفان وخمسمائة من قيس، وخمسمائة من تميم، والـف من بني ضبة، وخمسمائة من بكر بن وائل، وقيل قتل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف، وقتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف فذلك عشرة آلاف من أهل البصرة، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف، وقتل من بني عدي يومئذ سبعون شيخاً كلهم قد قرأ القرآن⁽¹⁾.

كانت الواقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة.

مصير عائشة

لما كثرت القتلى حول الجمل تقدم عبد الرحمن بن صرد التنوخي الى سيفه، وقاتل حتى وصل الجمل، فعرقه من رجليه جميعاً، فوقع الجمل لجنبه وضرب بجرانه الارض ورغا رغاء شديداً، وبادر عمار بن ياسر فقطع أنساع الهودج بسيفه⁽²⁾، وجاء علي (عليه السلام) وقال: يا عائشة، اهكذا أمرك رسول الله (ع) أن تفعلي؟! فقالت عائشة: قد ظفرت فأحسن⁽³⁾، وحملت الى البصرة الى دار عبد الله بن خلف الخزاعي، ودخل الدار كثير من الجرحى ومنهم مروان بن الحكم، ودخل علي (عليه السلام) الى دار ابن خلف، وقال لعائشة "أما لهمت"، وأشار الى الابواب من الدار أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا، ثم هذا، وكانت في حجر الدار جرحى ومن فر من المعركة⁽⁴⁾.

وأرسل علي (عليه السلام) الى عائشة عبد الله بن عباس أن ارحلي، فأبت، فأرسل ولده الحسن (عليه السلام)، فرضيت بالرحيل، وبكت بكاءً شديداً ثم قالت: نعم والله أرحل عنكم! فما خلق الله بلداً هو أبغض الي من بلد انتم به يا بني هاشم! فقال ابن عباس: ولم ذلك فوالله ما هذا بلاؤنا عنك يا بنت أبي بكر! فقالت: وما بلاؤكم عندي يا ابن عباس؟ فقال: بلاؤنا عندك أننا

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 336/3.

⁽²⁾ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 482/2.

⁽³⁾ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص34.

⁽⁴⁾ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 54/4.

جعلناك أم المؤمنين وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة، وبنا سميت أم المؤمنين لا بتيم وعدي⁽¹⁾، وهنا تبرز شيمة علي

(عليه السلام) في العفو عن من قاتله وهنا تبرز شيمة علي (عليه السلام) ، فقد قام بتجهيز عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع ، وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام وأختار لها أربعين أمراًه من أهل البصرة المعروفات ، وسير معها أخاها محمد ، فلما كانت في اليوم الذي أرتحلت فيه أتاها علي (عليه السلام) فوقف لها ، وحضر الناس فخرجت تودعهم ، وقالت: يا بني لا تعتب بعضنا على بعض ، أنه والله ما كان بيني وبين علي من القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وانه عندي على معتبتي من الاخير ، فقال علي (عليه السلام): صدقت، والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وأنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة⁽²⁾، وخرجت يوم السبت غرة رجب ، وشيعها أميالاً وسرح بنيه معها يوماً، فكان وجهها مكة، فأقامت الى الحج ثم رجعت المدينة، وكانت تقول: والله لو وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة⁽³⁾، وكانت إذا قرأت "وَقُرْنِ فِي بَيْوتِكُنَّ" تبكي حتى يبل خمارها⁽⁴⁾، وتقول "يا ليتني كنت نسياً منسياً"⁽⁵⁾.

ومن هذا الواقع الذي أنهت اليه معركة الجمل، نرى مروءة علي في الجرحى ، وفي معاملة عائشة بعد الذي فعل به في أول خلافته، فهو يجهزها ، ويشيعها، ويرسل بنيه مسيرة يوم معها، فأى شهامة رضعها من رسول الله (ﷺ)، وأي أنسانية ملأت قلبه من كتاب الله ومن صحبة رسوله (ﷺ).

لم يحسب علي بن أبي طالب أن هذه المعركة نصراً على أحد، بقدر ما حسبها تجربة حكم بالنسبة له ، وشهوة منصب لخصمه، ولو قارنا ذلك النصر بما فعله طلحة والزبير بعثمان بن حنيف حين دخلوا البصرة، لوجدنا

⁽¹⁾ الشيخ المفيد، الجمل، ص 406.

⁽²⁾ ابن الأثير، الكامل، 3/348.

⁽³⁾ الطبري، تاريخ، 4/365.

⁽⁴⁾ السيوطي، الدر المنثور، 5/203.

⁽⁵⁾ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 9/185.

الفرق شاسعاً بين الاثنين، فهو كالفرق بين الذهب والحصى ، والخير والشر ، والعفو والانتقام ، ونشر السلم وبث الرعب (1).

ولم يكن علياً (عليه السلام) شامئاً بهم ، لكنه كان يعطي حق القاتل والقتيل، فقد مرّ علي (عليه السلام) على طلحة وهو قتيلى بين القتلى فقال: أقعدوه، فأقعد، فقال: أنه كانت لك سابقة من رسول الله ، لكن الشيطان دخل في منخريك فأوردك النار (2).

أن الخروج عن طاعة الامام وهو في قمة قياده فيه من الازلال لمن خرج من الله ورسوله (ص)، فكيف اذا كان الخارج من أصحاب رسول الله (ع) ومن الذين دافعوا عن الاسلام وتحمل الوزر الاكبر في معركة أحد حتى شلت يده ، وهو الذي سمع رسول الله (ع) وصاحبه.

لما فرغ علي (عليه السلام) من المعركة ذهب للقاء عائشة، وقال لها: أمرك الله أن تقرى في بيتك ، وتحتجبي بسترِكَ ولا تبرجي ، فعصيته وخضت الدماء، تقاطيني ظالمة! وتحرضين عليّ الناس ، وبنا شرفك الله وشرف أباك ، وسماك أم المؤمنين (3)

أن تواتر الاحداث التي سبقت الجمل ، حملت في طياتها الكثير من المتناقضات التي برزت بصورة فاضحة وواضحة بعد تولى عثمان السلطة ، فكانت تلك الهجمة من طلحة وعائشة على الخليفة، مما شجع الناس على التماذى على الخليفة والتجاوز عليه ، وكان الرد من الناس الذين شجعهم ذلك التحريض من أصحاب الرسول الكريم (ع) على صاحب رسول الله (ع) وخليفته، وما آلت اليه النتيجة النهائية والتي أدت الى مقتل الخليفة عثمان، ووضع الامة الاسلامية في موضع الاتهام برجالها ، بأعتبار أن الصحبة كانت درساً بليغاً في التسامح والصدق والاخوة التي لم يستوعبها

(1). الهمداني، أحمد الرحمانى، الامام علي بن أبي طالب، بيروت، مطبعة مؤسسة أهل البيت، 1989، ص 482.

(2). الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الشافي في الامامة، تحقيق عبد الزهره الخطيب الحسيني، ط 2، طهران، مطبعة مؤسسة الصادق، 1410 هـ، 344/4.

(3). القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد، دعائم الاسلام، تحقيق صافي علي أصغر، القاهرة، مطبعة المعارف، 1963، 394/1، القرطبي، الاستيعاب، ص 234، الطبرسي، ميرزا حسين النوري، مستدرک الوسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت، بيروت، 1987، 246/2.

الكثير منهم ، مما يدل على ضعف تمسكهم بما جاء به الرسول الكريم (ع)، وما أراد أن يرسخه في عقول الناس وخصوصاً المقربين منه.

ولم تمنح الأيام التي تلت معركة الجمل من ضغائن المعركة وما سبقها، فقد ظل أثرها ينخر في الصدور ، فيلوك الاحشاء ، ويفتت الاوصال، حتى يذوب كل وهن ألا ما حملته صدورالقائمين على معركة الجمل ، وما حملته من آلام أوجعت القلوب، فلا أستطاع الخارجون عن طاعة علي بن أبي طالب(عليه السلام) تحقيق ما أبتغوه ، ولم يسلموا على حياتهم ، فكانوا للتاريخ مضغ يلوكه كل من يريد اللعب بعقول الناس ، حرصاً على نقل الحقيقة، أو بغضاً لطرف فيه، أو أرضاءللنفوس المتسلطة على رقاب الناس،وينقل لنا أحدهم "لما أن جاء عائشة قتل علي(عليه السلام) سجدت!!⁽¹⁾.

فهل يعقل أن يصل الامر في قلوب الناس الى هذا المستوى الذي لا ينم عن أيما ن وصحبه لرسول الله(ع).

¹.الاصفهانى،أبوالفرج علي بن الحسين،مقاتل الطالبين،تحقيق أحمد صقر،ط2،بيروت،مؤسسةالاعلمى،1987،،ص55.

المبحث الثالث: تداعيات المعركة ونتائجها

بيعة أهل البصرة لعلي(ع):

لما أنتهت المعركة ، بايع الاحنف من العشّي لانه كان خارجاً هو بني سعد، ثم دخلوا جميعاً البصرة، فبايع أهل البصرة على راياتهم، وبايع علياً (عليه السلام) أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنه، ولما فرغ من بيعة أهل البصرة ، تفرغ الى تقسيم الغنائم " دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والانصار، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: غري غيري مراراً، سعد بصرة وصوب ، وقال: أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة! فقسم بينهم والذي بعث محمد ما نقص درهم ولا زاد درهم! كانه يعرف مبلغه ومقداره ، وكان ستة آلاف درهم، والناس اثني عشر ألف (1).

وعلي(عليه السلام) معروف عنه زهدة في الحياة ، وترفعه عن زهوها ، في كل شيء ، أكله وملبسه، وسكنه، حتى أنه قدم الكوفة فلم يرض السكن في قصرها، واتخذ من دار جعدة اخته سكناً، وكان يقف كل يوم في بيت المال يوزع ما فيه ، ويكنس أرضه ويصلي لله.

وقام بتقسيم السلاح والدواب والمتاع من مخلفات معركة الجمل بين اصحابه، وقيل له: أقسم بيننا أهل البصرة فأجعلهم رقيقاً، فقال: لا، فقالوا: فكيف تحل لنا دماءهم وتحرم علينا سبيهم؟ ! فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجر وإسلام؟! أما ما أ جلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور وأغلقت الابواب فهو لاهله، ولا نصيب لكم في شيء منه، فلما أكثروا عليه القول، قال: فأقرعوا على عائشة، لأدفعها الى ما تصيبه القرعة! فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين! ثم أنصرفوا (2).

(1). المسعودي، مروج الذهب، 371/2.

(2). الدينوري، الاخبار الطوال، ص151.

كان عدل علي(عليه السلام) يفوق تصور الاحاسيس التي أنتهى الناس بها بعد معركة الجمل، فقد كانت نفوسهم تجيش على كل ما تركه المنهزمون ، حتى وصل الامر بهم الى أستعباد أخوانهم الذين ناجزوه في أرض المعركة، لكن فكر علي(عليه السلام) وسلوكه أقوى مما يطلبون ، فرضوا بما حاججهم به.

وقام علي(عليه السلام) خطيباً في البصرة بعد أن قسم ما حواه العسكر فقال: أيها الناس: أن الله عز وجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لاهل طاعته، وقضى أن نقمته وعقابه على أهل المعصية، يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة ! ويا جند المرأة! واتباع البهيمة! رغا فأجبتم، وعقر فانهمزمتهم، احلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مراءق، يا أهل البصرة! أنتم شر خلق الله! أرضكم قريبه من الماء، بعيدة عن السماء! خفت عقولكم، وسفهت أحلامكم، شهرتم سيوفكم، وسفكت دماءكم، وخالفتم أمامكم، فانتم أكلة الأكل، وفريسة الظافر، فالنار لكم مدخر، والعار لكم مفخر، يا أهل البصرة نكنتم بيعتي، وظاهرتم عليّ ذوي عداوتي! فما ظنكم يا أهل البصرة الان؟ فقام رجال منهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ، نرى أنك ظفرت وقدرت، فأن عاقبت فقد أجرمنا، وان عفوت فالعفو أحب الى رب العالمين فقال: قد عفوت عنكم، فأياكم والفتنة ، فأنكم أول من نكث البيعة، وشق عصا الامه، فأرجعوا عن الحوبه، أخلصوا فيما بينكم وبين الله التوبة⁽¹⁾.

لقد وصف علي(عليه السلام) أهل البصرة كما رآهم في أرض المعركة، أنداداً له ، يقاتلون حول الجمل ، فيسقطون الواحد تلو الآخر، وينهزمون عندما يعقر الجمل ويهوي.

ويخرج علي(عليه السلام) الى الكوفة مشيعاً من أصحابه ومحبيه من أبناء البصرة، بعد ان أستخلف عليها عبد الله بن عباس.

ما كان خروج علي بن أبي طالب(عليه السلام) الى الكوفة إلا نتيجة ذلك الاستتفار الذي وجده علي بن أبي طالب(عليه السلام) من أهل الكوفة في

⁽¹⁾المحمودي،محمدباقر،نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة،طهران،مطبعة مؤسسة الطباعة والنشر،1418هـ،368/1.

معركة الجمل، وكانت الكوفة متعددة الاهواء ، وقد سكنتها قبائل شتى من الجزيرة واليمن ، وتعددت فيها الولاءات للرموز التي كانت لها في ساحة القيادة الاسلامية، فكان لعثمان فيها موالين ، كما كان لعلي(عليه السلام) والزبير ، وهذه الولاءات أفرزت بعد هذا التاريخ كثير من الأحداث التي شغلت الساحة الاسلامية، وتبقى أشارات الناس دليل الولاء القطعي الروحي، كما يبقى الخبث مرتعاً لذوي العقول المزيفه، سألت أحد النساء عائشة بعد معركة الجمل فقالت: يا أم المؤمنين ، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت عائشة: وجبت لها النار! قالت: فما تقولين في أمراه قتلت من أولادها الاكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد؟! قالت عائشه: خذوا بيد عدوة الله!!⁽¹⁾.

كما يشهد التاريخ ما لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) من احترام للناس الذين قاتلوه ، فأن ذلك أنسحب بعد سنوات طويله على سنن وأدب أولاد علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، ولعل التاريخ يعيد نفسه ولكن بصورة متناقضه مع الحدث الاول، ففي ثورة المدينة التي أعقبت ثورة الحسين بن علي(عليه السلام) ، ثار أهل المدينة على والي يزيد بن معاوية ، وفزع مروان بن الحكم من الثورة فالتجأ الى عبد الله بن عمر الذي رفض أجابته في حمايته مع نسائه، فما كان من مروان إلا أن يلتجأ الى علي بن الحسين(عليه السلام) الذي أجاره وضم نساء مروان وبني أمية الى نسائه⁽²⁾.

هي المروءة عند علي(عليه السلام) ، والتي أكتسبها من رسول الله(ع) ، وحملها من بعده أولاده.

⁽¹⁾ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، عيون الاخبار، تحقيق د يوسف علي الطويل، بيروت، مطبعة دار الاضواء، 1960، 1/ القرشي، باقر شريف، حياة الامام زين العابدين، تحقيق مهدي باقر القرشي، قم، مطبعت شريعت، 1429هـ، ص 339.

تداعيات المعركة ونتائجها:

انتهت المعركة وكل ذهب الى سبيله، فذاك للثرى ، وآخر حمل الجرح ونزيف الدم لا زال يسيل على جسده، ومتمن فقد كل أحلامه في ساعة الوغى، وشاكي جراحات الزمان لم تندمل جراحه بعد ، وكل يقول الحق معي...وكان لهذه المعركة عدة نتائج وتداعيات وهي:

(1) انتصار جيش الإمام علي(عليه السلام) وهزيمة جيش الناكثين⁽¹⁾ .

(2) مقتل طلحة والزبير , وكان الزبير بن العوام قد لمح الخسارة في صفوف جيشه وانسحب إلا أن رجلاً تعقبه وقتله وهو يصلي خارج المعسكر واسمه عمرو بن جرموز⁽²⁾ أما طلحة فقد رماه مروان بن الحكم بسهم فمات⁽³⁾ .

(3) قتل في معركة عشرة آلاف من جيش البصرة (ثلث الجيش) وخمسة آلاف من جيش علي بن أبي طالب(عليه السلام) (ربع الجيش) .⁽⁴⁾

(4) وقوع عائشة في الأسر بعد عقر جملها (عسكر) فأسر هاعلي (عليه السلام) وأرسلها مع أخيها محمد بن أبي بكر الذي حارب إلى جانبه إلى مكة⁽⁵⁾ .

(5) انتقل مركز الخلافة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة , من شبه الجزيرة العربية إلى أطراف الدولة الإسلامية⁽⁶⁾ .

⁽¹⁾ البلاذري، انساب الاشراف، 62/6.

⁽²⁾ - نبيه عاقل , تاريخ خلافة بني أمية , ص 31 .

⁽³⁾ - أبو بكر بن العربي , العواصم من القواصم , ص 304 .

⁽⁴⁾ - فواز بن سراج عبدالقفار , سيرة شهداء الصحابة , ص 84 .

⁽⁵⁾ الحمزاوي، عائشة والجمل، 254/1.

⁽⁶⁾ الخليفة، محمد علي، أمراء الكوفة وحكامها، طهران، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، د.ت، ص 11.

6) دخل علي(عليه السلام) البصرة وعاتب أهلها على موقفهم المعادي , وتقبل البيعة منهم⁽¹⁾ .

7) تصالح علي مع عائشة التي انسحبت من المسرح السياسي حتى ماتت سنة 58 هجري .

8) دانت جميع الأمصار الإسلامية لحكم علي(عليه السلام) عدا الشام بقيت تحت إمرة معاوية بن أبي سفيان .

9) سياسة علي التسامحية اتجاه أعدائه , فقد أطلق سراح الأسرى الذين لجأوا إلى معاوية في الشام .

10) القضاء على الهالة المقدسة حول الخليفة والخلافة الإسلامية .

11) الاعتماد على السيف لفض النزاع بين المسلمين .

12) استعداد علي لملاقاة معاوية بن أبي سفيان الذي كان يُجهّز له , لولا واقعة الجمل.

13) رأفة علي(عليه السلام) بأعدائه , فقال في خطبته قبل القتال :- "أيها الناس ساذا هزمتهم فلاتجهزوا على جريح, ولا تقتلوا أسيراً , ولا تتبعوا مولياً , ولا تطلبوا مدبراً , ولا تكشفوا عورة , ولا تمثلوا بقتيل , ولا تهتكوا سترأ"⁽²⁾

⁽¹⁾ الحمزاوي، عائشة والجمل، 257/1.
⁽²⁾ - المسعودي , مروج الذهب , 3 / 358 .

الخاتمة

بعد أن مكنا الله سبحانه وتعالى في التعرف على أحداث معركة الجمل وظروفها، أمكن لنا أن نسجل عدة نقاط لتكون خاتمة لبحثنا هذا:

- 1- شكلت حرب الجمل أول حرب أهلية في تاريخ الإسلام.
- 2- كانت المصلحة والرغبة في الإستئثار بالسلطة، وكره الإمام علي (عليه السلام) هو العامل الأكبر الذي لم شمل الناكثين ودفعهم لقتال الإمام.
- 3- شكلت حرب الجمل خروجاً غير شرعياً على سلطات الحاكم الشرعي المنتخب من قبل الشعب.
- 4- مخالفة السيدة عائشة زوج الرسول (ﷺ) لروح النص القرآني الذي دعا نساء النبي (ﷺ) إلى لزوم البيوت وعدم التدخل في أمور ليس من اختصاصهن.
- 5- شهدت حرب الجمل أول شهادة زور في الإسلام.
- 6- تعامل الإمام (عليه السلام) بروح إنسانية عالية مع خصومه.
- 7- حفظ الإمام لشخص السيدة عائشة وإرجاعها معززة مكرمة إلى المدينة المنورة.
- 8- كانتت حرب الجمل رسالة إلى كل الأطراف بدفاع الخليفة الشرعي عن الحقوق العامة للمسلمين مهما كانت شخصية وقيمة الشخص الذي يتجاوز على حقوق الآخرين.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر الاولية

*القرآن الكريم

*ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، (ت630هـ)

1. أسد الغابة، دار أحياء التراث العربي، (بيروت1996م).

2. الكامل في التاريخ، تحقيق مكتبة التراث، دار أحياء التراث العربي، (بيروت1430هـ).

3. الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى، (ت639هـ)، كشف الغم في معرفة الأئمة، تحقيق هاشم الرسولي، المطبعة العلمية، (قم1381هـ).

4. الاستربادي، شمس الدين علي الحسيني، (ت940هـ)، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العتره الطاهره، تحقيق حسين الاستادولي، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم1409هـ) ط1.

5. الاصفهاني، أبوبكر أحمد بن موسى بن مردويه، (ت410هـ)، مناقب علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبدالرزاق محمد حسين، دار الحديث (قم1422هـ)، ط

6. الاصمعي، أبوسعيد عبدالملك بن قريب، (ت216هـ)، الفرق، تحقيق د صبيح التميمي، دار أسامه (بيروت1987م) ط1.

7. ابن أعثم، أبو محمد أحمد، (ت314هـ)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الاضواء، (بيروت1991م) ط1.

8. ابن بابويه، أبو جعفر بن علي بن الحسين، (ت381هـ)، معاني الاخبار، مكتبة الصدوق، مطبعة الحيدري، (النجف1990م) ط1.
9. البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت265هـ)، صحيح البخاري باب فضل أصحاب النبي، تحقيق د مصطفى ديب، دار ابن كثير، (دمشق1414هـ) ط1.
10. ابن البطريق، يحيى بن الحسن الاسدي الحلبي، (ت600هـ)، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب أمام الأبرار، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم1407هـ)
11. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت279هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار الفكر، (بيروت1417هـ) ط1.
12. البلخي، أبوزيد أحمد بن سهل، (ت507هـ)، البدء والتاريخ، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت1997م) ط1.
- *البهقي، أحمد بن الحسين، (ت458هـ).
13. دلائل النبوة، تحقيق عبدالمعطي أمين قلمجي، دار الكتب العلمية، (بيروت1405هـ) ط2.
14. السنن الكبرى، دار المعرفه، (القاهره1413هـ) ط1.
- *الترمذي، محمد بن عيسى بن سوري الترمذي، (ت295هـ).
15. كتاب اللباس، دار المعرفة، (بيروت1982م) ط1.
16. تفسير الترمذي، دار الكتب العلمية، (بيروت1984م) ط1.
17. التستري، نور الدين الحسيني المرعشي، (ت1019هـ)، أحقاق الحق وأزهاق الباطل، (قم1989م) ط3.
18. ابن أبي ثابت، أبو محمد ثابت، (ت288هـ)، الفرق، تحقيق د حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، (بيروت1987م) ط1.

19. الجويني، أبراهيم بن محمد بن مؤيد، (ت، 730هـ)، فرائد السبطين، مؤسسة المحمودي، (بيروت، 1978م) ط1.
20. الحاكم الحسكاني، عبيدالله بن عبدالله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري، (ت، 405هـ)، شواهد التنزيل، مؤسسة الا علمي، (بيروت، 1974م) ط1.
21. الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري، (ت، 405هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الفكر، (بيروت، 1978م) ط1.
22. الحبري، الحسن بن الحكم بن مسلم، (ت، 286هـ)، تفسير الحبري، تحقيق محمدرضا الحسيني، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، (قم، 1359هـ) ط1.
23. ابن الحجام، محمد بن العباس بن علي مروان، (ت، 329هـ)، تأويل مانزل على النبي وآله، تحقيق فارسبيريزيان، (قم، 1420هـ) ط1.
- * ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن يحيى، (ت، 852هـ).
24. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1417هـ) ط1.
25. الاصابة في تمييز الصحابة، مركز هجر للبحوث والدراسات، (القاهرة، 1429هـ) ط1.
26. تهذيب التهذيب، دار المعرفه، (بيروت، 1380هـ).
- * ابن حجر، أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الانصاري الشافعي، (ت، 974هـ).
27. الصواعق المحرقة، تحقيق عبدالرحمن عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1417هـ) ط1.

28. تطهير اللسان والجنان، مكتبة القاهرة، (القاهرة، 1965م) ط2.

29. الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت، 1104هـ) وسائل الشيعة، تحقيق عبدالرحيم الرباني الشيرازي، دار أحياء التراث العربي، (بيروت 1319هـ) ط4.

30. ابن أبي الحديد، عز الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله، (ت، 656هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل سبأراهيم، مطبعة أنوار الهدى، (قم، 1429هـ).

31. ابن حنبل، أحمد، (ت، 241هـ)، مسند أحمد، تحقيق حمزه أحمد الزين، دار صياد، (بيروت، 1421هـ).

32. ابن حنبل، عبدالله بن أحمد، (ت، 290هـ)، السنن، تحقيق أبو هاجه محمد السعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1985م) ط1.

33. الحويزي، عبدالرحمن بن عبد علي بن جمعه، (ت، 1112هـ)، تفسير نور الثقلين، مؤسسة مطبوعات أسما عليان، (قم، 1412هـ).

34. الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت، 463هـ)، تحقيق بشار عواد، دار الكتب العلمية، (بيروت 1422هـ) ط1.

*. الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق أحمد المكي، (ت، 538هـ).

35. مقتل الحسين، تحقيق محمد السماوي، مكتبة المفيد، (قم، 2006م).

36. المناقب، تحقيق مالك محمودي، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم —

1411هـ) ط2.

37. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت، 282هـ)، الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار أحياء التراث العربي، (بيروت، 1960م) ط1.

- *.الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله، (ت، 236هـ).
- 38.مختصر صحيح البخاري، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف، (ت، 893هـ)، تحقيق رضوان محمد رضوان، مؤسسة المختار، (القاهرة، 1427هـ).
- 39.نسب قریش، تصحيح أ بروفنسال، دار المعارف، (القاهرة، 1982م) ط4.
- *.الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت، 538هـ).
- 40.الفائق، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، (بيروت، 1414هـ) ط2.
- 41.الكشاف، تحقيق عادل أحمد، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1407هـ) ط3.
- 42.الزهري، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت، 230هـ)، دار الزهراء للإعلام العربي، (القاهرة، 1988م) ط4.
- 43.سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف شمس الدين، (ت، 654هـ)، تذكرة الخواص، المطبعة العلية، (النجف، 1369هـ) ط1.
- 44.السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد، (ت، 248هـ)، الفرق، تحقيق حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، (بيروت، 1987م) ط1.
- 45.ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، (ت، 230هـ)، طبقات ابن سعد، دار الصياد، (بيروت، 1958).
- *.السيوطي، جلال الدين أبي بكر، (ت، 911هـ).
- 46.الدر المنثور، مطبعة الانوار المحمدية، (القاهرة، 1986م) ط1.
- 47.تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (بيروت، 1431هـ - 2010م).

48. ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد اليعمرى، (ت، 734هـ)، تحقيق محمد الخطراوي، دار صادر، (بيروت، 1407) ط1.

49. ابن شاذان، محمد أبو الفضل، (ت، 260هـ)، مؤسسة الاعلمي، (بيروت، 1982م) ط1.

50. الشريف الرضى، أبو الحسن محمد بن الحسين، (ت، 400هـ)، شرح نهج البلاغه، تحقيق الشيخ محمد عبده، دار المعرفه للطباعة، (بيروت، 1397هـ).

51. الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، (ت، 436هـ)، الشافي في الامامه، تحقيق عبد الزهره الحسيني الخطيب، مؤسسة الصادق، (طهران، 1410هـ) ط2.

52. ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي، (ت، 588هـ)، مناقب آل أبي طالب، دار الاضواء، (بيروت، 1985م) ط1.

*. الشيخ المفيد، ابو عبد الله محمد بن محمد الكعبري، (ت، 413هـ).

53. الجمل، مكتبة الاعلام الاسلامي، (قم، 1413هـ) ط1

54. النصره لسيد العترة، مكتبة الاعلام الاسلامي، (قم، 1413هـ) ط1.

55. الاختصاص، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، 1982) ط1.

56. الامالي، دار التيار الجديد، (بغداد، 1414هـ) ط1.

57. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (ت، 212هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد، مطبعة الزهراء، (الموصل، 1982م) ط2.

58. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت، 3110هـ)، تاريخ الامم

والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار الكتب العلمية، (بيروت 1407هـ).

59. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج،

(ت، 622هـ)، مؤسسة الا علمي، (بيروت، 1983م) ط2.

60. الطبرسي، ميرزا حسين النوري، (ت، 132هـ)، مستدرک الوسائل، تحقيق

مؤسسة آل البيت، (بيروت، 1987م) ط1.

61. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين، (ت، 548هـ)، مجمع البيان في

تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي، دار أحياء التراث العربي، (بيروت،

1379هـ).

62. ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا، (ت، 345هـ)، الفخري في الاداب

السلطانية والدولة الاسلاميه، دار بيروت للطباعة، (بيروت 1966)

ط1.

63. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت، 460هـ)، الامال، مؤسسة

الوفاء، (بيروت، 1982م) ط1.

64. الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله، (ت، 694هـ)، ذخائر العقبى في

مناقب ذوي القربى، مكتبة القدس، (القاهرة، 1356هـ) ط1.

65. العاملي، محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارث

يالهمداني، (ت، 1031هـ)، كتاب الكشكول، تحقيق محمد عبد الكريم

النمري، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1412هـ-1998م) ط1.

66. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد الاندلسي، (ت، 328هـ)، العقد الفريد،

دار الهلال، (بيروت، 1986م) ط1.

67. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي،

(ت، 543هـ)، العواصم في القواصم تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة
الجزائرية الإسلامية، (الرياض، 1345هـ) ط1.

68. ابن عقده، أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد، (ن، 333هـ)، فضائل أمير
المؤمنين، جمع وترتيب عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، (قم،
1421هـ) ط1.

69. ابن فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات، (ت، 307هـ)،
تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، مؤسسة النعمان، (بيروت،
1992م) ط1.

70. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن عمر، (ت، 173هـ)، كتاب العين،
تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، (قم،
1409هـ) ط1.

*أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين القرشي الأموي، (ت، 356هـ).
71. الأغاني، تحقيق محمد أبو الفضل، بولاق، (مصر 1390هـ-1970م)،
ط1.

72. مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي، (بيروت
1978م) ط1

73. القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد، (ت، 363هـ)، دعائم
الاسلام، تحقيق آصف بن علي أصغر، دار المعارف، (القاهرة، 1963م).
*. ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت، 276هـ).

74. الامامه والسياسه، تحقيق علي شيري، منشورات الشريف الرضي،
(بيروت، 11990) ط1.

81. عيون الاخبار، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الاضواء، (بيروت،
1960م) ط1.

*. القرطبي، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (ت، 460هـ).

75. الاستيعاب في معرفة الاصحاب، دار الفكر، (بيروت، 1428هـ
2006م) ط1.

76. تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وأبراهيم أطفيش، دار الكتب
المصرية، (1354هـ - 1964م) ط2.

*. ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا أسماعيل القرشي، (ت، 773هـ).

77. تفسير ابن كثير، مكتبة التراث العربي، (القاهرة، 1412هـ) ط1

78. البداية والنهاية، تحقيق محمد إبراهيم الطرابلسي ويوسف أحمد، دار
الاخبار، (الرياض، 1427هـ) ط1.

79. السيرة النبوية، دار الرائد العربي، (بيروت، 1987م) ط3.

80. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي، (ت، 328هـ)، الكافي
، دار الكتب الاسلاميه، (طهران، 1388هـ) ط3.

81. الكنجي الشافعي، محمد بن يوسف، (ت، 658هـ)، كفاية الطالب في
مناقب علي بن أبي طالب، تحقيق محمد هادي الامين، دار أحياء التراث أهل
البيت، (قم، 1404هـ) ط3.

82. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت، 273هـ)،

سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، (بيروت،
1420هـ) ط1..

83. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري، (ت، 450هـ)، الاحكام
السلطانية والولايات الدينية، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع، دار الحرية،
(بغداد، 1989م) ط1.

84. المجلسي، محمد باقر (ت 1111هـ)، بحار الانوار، تحقيق وتعليق محمد
باقر المحمودي، (طهران، 1992).

85. المحب الطبري، أبو جعفر أحمد، (ت، 694هـ)، الرياض النظره في
مناقب العشرة، دار الكتب العلميه، (بيروت، 11984م) ط1.

86. ابو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي، (ت، 158)، نصوص من
تاريخ أبو مخنف، تحقيق كامل سلمان، دار المحجه
البيضاء، (بيروت، 1996) ط1.

87. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت، 346هـ)، مروج الذهب،
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الاندلس، (بيروت، 1973م) ط2.

88. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت، 421هـ)، تجارب الامم،
تحقيق أبو علي أمامي، دار سروش للطباعة، (طهران، 1429هـ) ط1.

89. مسلم الشقيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، (ت، 261هـ)، مختصر
صحيح مسلم، تحقيق موسى شاهين لاسين وأحمد عمر هاشم، مؤسسة عز
الدين، (بيروت، 1987م) ط1.

90. المطهر الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن محمد، (ت، 726هـ)، نهج
الحق وكشف الصدق، تحقيق عين الله الحسني، دار الهجره، (قم، 1406هـ)

ط1.

91. ابن المغازي، أبو الحسن علي بن محمد الشافعي، (ت، 483هـ)، مناقب

الامام علي بن أبي طالب، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار الاضواء،

(بيروت، 1983م) ط1.

92. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن جلال بن مكرم بن منصور،

(ت، 711هـ)، لسان العرب، دار لسان العرب، (بيروت، 1971م) ط1.

93. المنقري، نصر بن مزاحم، (ت، 212هـ)، وقعة صفين، تحقيق عبد

السلام محمد هارون، مطبعة الاندلس، (بيروت، 1431هـ - 2010م) ط1.

94. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت، 303هـ)، خصائص

الامام علي بن أبي طالب، تحقيق محمد باقر المحمودي، المطبعة الحيدرية

(النجف، 1308هـ) ط1.

95. النيسابوري، علي بن أحمد بن محمد بن منويه الواحدي، (ت، 468هـ)،

اسباب النزول، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (القاهرة،

1411هـ - 1991م).

96. أبونعيم الاصفهاني، أحمد بن عبدالله، (ت، 430هـ)، حلية الاولياء، تحقيق

مصطفى عبدالقادر، دار الكتب العلمية (بيروت، 1412هـ) ط1.

97. ابن هشام، عبد الملك، (ت، 761هـ)، سيرة ابن هشام، مراجعة فتحي

مجدي داود، دار الوفاق، (بيروت، 1995م) ط2.

98. ابن هلال، أبو أسحاق محمد بن سعيد، (ت، 283هـ)، الغارات، تحقيق عبد

الزهره الحسيني، دار الاضواء، (بيروت، 1407هـ - 1987م) ط1.

99.الهندي،علاء الدين علي المتقي ،(ت،975هـ)،منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال،تحقيق محمود عمر الدمياطي،دار الكتب العلمية،(بيروت،1988م)ط1.

100.الهيثمي،نور الدين علي بن أبي بكر،(ت،807هـ)،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،دار الكتاب العربي،(بيروت،1983م)ط1.

101.الواقدي،أبو عبد الله محمد بن عمر،(ت،203هـ)،المغازي،تحقيق محمد عبد القادر عطار،دار الكتب العلمية،(بيروت،1997م)ط1.

102.اليقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر،(ت،292هـ)،تاريخ اليعقوبي، علق عليه حميد منصور،مطبعت شريعت،(قم،1425هـ).

المراجع

1.إبراهيم،علي عزيز،العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع، مؤسسة الاعلمي،(بيروت،1415هـ -1995م)ط1.

2.الأميني، عبد الحسين أحمد،الغدير،دار الكتاب العربي،(بيروت،1977م)ط4.

3.باقر،محمدسعد،حروب الامام الثلاث،قم،دارالحق،1425هـ.

*.البحراني،هاشم الحسيني.

4.غاية المرام في حجة الخصام،دار القاموس ،(بيروت1983)ط1.

5..البرهان في تفسير القرآن،موسسة مطبوعات أسماعليان،(قم،1986م).

6. البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح، الحقائق النظره، دار الانوار، (بيروت، 1985م) ط2.
7. البدران، علي، حقيقة اسلام الأمويين، دمشق، دار العرب، 1988.
8. البنداري، سعيد، مواقف حاسمة في تاريخنا الاسلامي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1978.
9. بيضون، كامل محمد رشيد، الامامه في عهد الخلافه، دار الاضواء، (بيروت، 2006م) ط1.
10. توكلي، علي اكبر، الحاكم الزاهد، قم، مطبعة ستارة، 1427هـ.
- * التميمي، كاظم سلمان، الأوضاع السياسية في البصرة حتى نهاية الحكم الأموي، بيروت، دار العلم للملايين، 2009، ص43.
- * التيجاني، محمد السماوي.
11. الشيعة هم أهل السنه، مؤسسة الفجر، (لندن، 1427هـ).
12. فأسألوا أهل الذكر، مؤسسة الفجر، (لندن، 1991م).
13. الجابري، منعم حسن، ادارة الدولة في زمننا لامام علي (عليه السلام)، بيروت، دار الهدى، 2009.
14. الجميل، عادل، الغايه من التاريخ، بيروت، دار المثقف، 1995.
15. الحائري، فديك، مطبوعات النجاح، (القاهره، 1977م) ط2.
- * الحسني، هاشم معروف.
16. الانتفاضة الشيعية عبر التاريخ، دار التعارف، (بيروت، 1985م) ط1.
17. سيرة الائمة الاثنا عشر، مطبعة ذي القربى، (قم، 1430هـ) ط2.

*الحمزاوي،ليل الشيخ فارس ،عائشة والجمل،النجف الاشرف
،مؤسسة البلاغ،د.ت.

18. الحنفي، سليمان أبراهيم القندوري،دار الاسوه للطباعة والنشر،

(قم، 1416هـ)ط1.

19. حيدر،أسد،الامام الصادق والمذاهب الاربعه،مؤسسة العطار الثقافيه،

(النجف،1430هـ - 2010م)ط1.

20. خالد، محمد خالد،خلفاء الرسول،مطبعة منير،(بغداد،1986م)ط1.

21.الخالدي،صلاح عبد الفتاح الخالدي،الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف

والاستشهاد،دار القلم،(دمشق، 1957م)ط1.

22.الخالدي،علي محمد،الامام علي رجل كل العصور ،بيروت ،دار

المعرفة ،2008.

23.الخطيب،نور الدين،الفسادالاداري في الدولة الاسلاميه ،دمشق ،دار

العروبة ،1999.

24.الخليفة،محمد علي،امراء الكوفة وحكامها،طهران،مؤسسةالصادق

للطباعة والنشر،د.ت.

25.خليل،عماد الدين، التفسير الاسلامي للقرآن،منشورات مكتبة 30تموز،

(بغداد،1985م)ط1.

26.الدفر اوي،عبدالرحمن،نظريةبني امية في الحكم ،القاهرة ،دارالشعب

،1989.

27.الدفر اوي،يونس،شخصيات ومواقف،القاهرة،دارالامل،1988.

28.الدمياطي،منصور،لحظات حاسم في التاريخ الاسلامي ،القاهرة ،دارالعرب،1977.

29.زاده،أصغر ناظم، الفصول المائه في حياة أبي الائمة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب،مطبعة أنتشارات أهل البيت،(قم،1421هـ)ط1.

30.السالم،احمدعلي،تحديات حكومة اميرالمؤمنين ،قم،مطبعةستارة ،1423هـ.

31.السبزواري،عبد الاعلى الموسوي، مهذب الاحكام،مطبعة الاداب،

(النجف،1989م)ط1.

32.سلامه،بولس،التاريخ الاسلامي في الجاهلية الى نهاية دولة بني أمية،

دار كميل،(بيروت،1980م)ط1.

33.السلبنجي،مؤمن بن حسن بن مؤمن،نور الابصار في مناقب آل بيت

المختار،دار الكتب العلمية،(بيروت،1978م)ط1.

34.السلمان،حيدر مال الله،أضواء على التاريخ الاسلامي،بيروت،دارالمجد،

2003.

34.شبر، حسن، خلفاء بني العباس والمغول أسقطوا بغداد،دار الملاك،

(بيروت،2006م)ط1.

35.الشيباني،هادي سلمان،أخطاء الخليفة عثمان،قم،شريعة،1429هـ.

36.الشيرازي، ناصر مكرم،نفحات القرآن،مؤسسة أبي صالح للنشر

والطباعه،(قم،1998م)ط1.

37. شهري، محمدي، ميزان الحكمة، مطبعة الدار الاسلامية، (ق—م، 1985م) ط1.
- *. صفوت، أحمد زكي.
38. جمهرت رسائل العرب، المكتبة العلمية، (بيروت، 1985م) ط1.
39. جمهرت خطب العرب، دار الحداثة، (بيروت، 1985م) ط1.
40. الصلابي، علي بن محمد ، أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب، مكتبة الصحابة، (الشارقة، 1425هـ) ط1.
41. الصيداوي، محمد، معاوية والشام، بيروت، دار العلم للملايين، 1978.
- الطائي، نجاح، نساء النبي وبناته، ط2، لندن، دار الهدى لإحياء التراث، د.ت.
42. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، أعداد كمال مصطفى شاكر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، 1978م) ط3.
43. عاقل، نبيه ، تاريخ خلافة بني أمية , دمشق، دار الجامعة، 1977.
44. العاملي، محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمـداني، (ت، 1031هـ)، كتاب الكشكول، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1412هـ) ط1.
45. عبدالشافى، محمد، صور من أحداث التاريخ الاسلامي ، القاهرة ، دار العرب ، 1992.
46. عبدالكريم، سلمان، الثورة على عثمان دراسة في الأسباب والدوافع ، بيروت، دار الأمل، 1998.
47. العبودي، عبدالباري، مطاعن الخليفة عثمان، بيروت، دار الحق، 2007.

48. العدوي، أبو عبد الله مصطفى، الصحيح المسند في فضائل الصحابة، دار الهجرة، (صنعاء، 1416هـ) ط1.
49. الزيات ومجموعته، أحمد حسن وأبراهيم مصطفى وحامد عبد القادر، المعجم الوسيط، دار المعارف، (القاهرة، 1972م).
- *. العسكري، مرتضى.
50. أحاديث أم المؤمنين عائشة، مطبعة الحيدري، (بغداد 1418هـ) ط1.
51. معالم المدرستين، مؤسسة النعمان، (بيروت، 1991م) ط1.
52. العسكري، نجم الدين بن جعفر، علي والوصيه، دار الزهراء، (بيروت، 1978م) ط2.
53. العلوي، محمد حسن، الامام علي ومعارضوه، بيروت، دار الجمل، 2005.
- العمران، عباس، حقيقة الصحابة، بيروت، دار الجمل، 2007.
54. العمري، أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، (الرياض، 2006م) ط2.
55. فرحات، عبد القادر، الاحوال القتصادية في عهد الخليفة عثمان (رض)، عمان، دار العرب، 1998.
56. فرحات، موسى، التضلليل الأموي، بيروت، دار الحق، 1999.
- *. الفيروز آبادي، مرتضى السيد محمد الحسيني.
57. السبعة من السلف، مكتبة فيروز آباد، (قم، 1982م) ط1.
58. فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مؤسسة الاعلمي، (بيروت، 1421هـ) ط2.

59. الفيومي، محسن جاد الله، سعد بن أبي وقاص القائد الخالد، القاهرة، دار العلم، 1969.

60. القرشي، باقر شريف، حياة الامام زين العابدين، تحقيق مهدي باقر القرشي، مطبعت شريعت، (قم، 1429هـ-1908م).

61. القطان، سعيد، الأحوال السياسية في الدولة العربية الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (رض)، الموصل، مطبعة الجامعة، 1987.

*. القمي، عباس بن محمد بن أبي القاسم.

62. سفينة البحار، المطبعة العلمية، (النجف، 1355هـ-1936م).

63. بيت الاحزان، دار الحكمة، (بيروت، 1412هـ-1991م).

64. القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم، تفسير القمي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت 1991م) ط1.

65. الكهنوتي، حامد حسين بن محمد، عبقات الانوار، ترجمة علي حسين الجلاني، مؤسسة البعث، (طهران، 1405هـ-1984م) ط1.

المجدلاوي، سامح، بنو أمية والسلطة، عمان، دار العرب، 1999.

66. محمد عبدة، محمد عبدة، شرح نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، 1982م).

67. المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مؤسسة الطباعة والنشر، (طهران، 1418هـ-1997م) ط1.

68. المسلماوي، حميد، عائشة وأثرها في احداث عصرها، قم، مطبعة ستارة، 1422.

96. المصري، زكي الدين، السيرة النبوية، تحقيق د محمد محمود، دار

بيروت، (بيروت، 2008).

*. المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد.

70. أطلس الخليفة أبي بكر، مكتبة العبيكان، (الرياض، 2007/).
71. أطلس الخليفة عمر، مكتبة العبيكان، (الرياض، 2008) ط1.
72. أطلس الخليفة عثمان، مكتبة العبيكان، (الرياض، 2008م).
73. أطلس الخليفة علي، مكتبة العبيكان، (الرياض، 2007) 2م).
74. منصور، أحمد صبحي، الفتح الاسلامي لمصر، الشركة الدولية للطباعة، (القاهرة، 2003م) ط1.
75. الورداني، صالح، السيف والسياسة في الإسلام، ط2، بيروت، دار القارئ، 2002.
76. الموسوي، علي، الفكر العسكري عند امير المؤمنين، بيروت، دار صادر، 2007.
77. الموسوي، فاضل عباس، القضاء في عهد الامام علي (عليه السلام)، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008.
- المنصوري، حافظ، حقيقة الثورة على عثمان، بيروت، دار المهدي، 1997.
78. النجار، عبدالحسن، عائشة بنت أبي بكر وأثرها في أحدث. عصرها، بيروت، دار الجمل، 2006.
79. نوري، علي محمد، الناكثون، بيروت، دار الحق، 2008.
80. الهمداني، أحمد الرحمان، الامام علي بن أبي طالب، مكتبة أهل البيت، (بيروت، 1989م).

Abstract.

The End of this study is the beginning of dangerous events of Islamization so the Arab nation had been having a deep roots in human history. It had been giving humanity many lessons in peoples experiences. In spite of the existence of Christians and Jewish in Arab land knew that a prophet is going to appear and Justice would be spread. But those who got in touch with their religion prevented from saying openly of what their book said. Mohammad began of his mission to spread Islam among Urban but Qurish harmed him, but God want this religion to be spread. The student who studies the rising of the Islamic state in its earlier stages could find many unique events that accompanied the emergence of the this state, for example the caliph is the symbol who represents the messenger of God so the rebellion against the caliph means rebellion against the messenger of god and that leads to rebellion against God himself, so can the rebels against Authman be considered rebels against God? or did they find legal text that authorized them to rebel against the head of the state? Getting the answer for that question required a comprehensive study for all aspects of the Arabic and the Islamic state that can be seen -by the student of the subject - relevant to this study or research . Muslims realized that caliphate transits from one caliph to another by the different legal ways but the process of transmission out of the legal framework is forbidden. The events which accompanied Uthman's caliphate had generated new directions in dealing with the caliph and his enemies. These directions were also new in the way of planning and standing against the caliph's highest decision as well as in the way of weaving the new strategies -depending on the external support- in putting forward , execution and dealing

with the events which finally led to the assassination of the caliph Authman , such event of the caliph's assassination happened for the first time in the rising Islamic state because the caliph was killed by those who had been ordered by God and his messenger to be obedient to the caliph in order to carry out and apply the laws of heaven on the earth. The dealing with that conflict requires performing a comprehensive study for all the major and minor events which surrounded it and led to a war because of the disagreement among the Islamic sides. Uthman is one of the prophets followers who struggle for the sake of god but his relatives had no faith. So Uthman stopped with confusion between his love for his tribe and the harm of people. his relatives gave him advice but the surrounded failed this advice and Uthman had killed . Ali came to the caliph ,but Talaha and Isha came out from Basra h asking Ali by the blood of Uthman.The nation divided and the blood shedding between the two sides.Talaha and AL zubair were killed and isha came back.AL – Jamal battle is aseparated battle between Arab reason and spirit challenge to authority which was put by the prophet.AL-Jamal battle was a new Islamic experience of unfaithfulness of God's saying Aisha and Talaha were the nearest to Ali and they demanded of Uthman